جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى عام٤١هـ/٦٦١م

اطروحة تقدّم بها الطالب

ميثاق كاظـم هادي الخفاجي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي

بإشراف

أ.د زمـان عبيد ونـّاس

1443هـ 2022م

اقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، نشهد أنّنا اطلعنا على هذه الاطروحة الموسومة بـ: **(أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٤١هـ/٦٦١م)** التي قدّمها الطالب **(ميثاق كاظم هادي الخفاجي)** وناقشناه في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونرى بأنها جديرة بالقبول، لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي بتقدير (أُمتياز).

الإمضاء:

أ.م.د محمد مهدي علي

(عضواً)

الإمضاء:

أ.د عبد الستار نصيف جاسم

(عضواً)

الإمضاء:

أ.د حميد سراج جابر

(رئيساً للجنة)

الإمضاء:

أ.م.د سوسن عباس حسين

(عضواً)

الإمضاء:

أ.م.د سلوى حسن عيدان

(عضواً)

الإمضاء:

أ.د زمان عبيد وناس

(عضوا ومشرفاً)

مصادقة مجلس الكلية:

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء بتاريخ / /٢٠٢٢.

الامضاء:

أ.د حسن حبيب عزر الكريطي

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية

٢٠٢٢/٦/٢٩

إقرار المشرف

أَشهدُ أنَّ هذهِ الاطروحة الموسومة بـ: (**أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٤١هـ/٦٦١م**)، التي قدَّمها الطالب (**ميثاق كاظم هادي الخفاجي**)، قد أُعدت بإشرافي، في قسم التاريخ، بكليّة التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، وهي جزءٌ من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي.

الإمضاء :

المشرف: أ. د. زمان عبيد وناس

التاريخ: ٢٠/ ٣/٢٠٢٢م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذهِ الاطروحة للمناقشة.

الإمضاء :

الاسم :أ.م.د. سلام فاضل حسون

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: ٢٢/ ٣/٢٠٢٢م

إقرار المقوم اللغوي

أَشهدُ أنَّ هذهِ الأطروحة الموسومة بـ: (**أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى عام ٤١هـ/٦٦١م**)، التي قدَّمها الطالب (**ميثاق كاظم هادي الخفاجي**)، قد قمت بمراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء وأغلاط لغوية وتعبيرية، وبذلك أصبحت الاطروحة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة اللغة والأسلوب وصحة التعبير.

الإمضاء :

المقوم اللغوي: أ.م. د. محمد عبد الرسول جاسم

التاريخ: ٢٠/٣/٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة البقرة، من الآية:279)

الإهداء

إلى:

روح أخي سمير

أهدي ثمرة جُهديَّ ...

وفاءً وعرفاناً.

شكر وعرفان

اللهمّ لك الحمد حمد الشاكرين على آلائك، ونسألك الهداية إلى مرضاتك، لك الحمد ربّي لأنْ وفقتني لإتمام بحثي، فأتمم اللهمّ عليّ نعمتك بأنْ تقبله مني لوجهك خالصاً.

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعد وأسهم في هذا البحث وواكب ظهوره ونمائه وتطوره، وألقى إليّ يد العون والمساعدة ولقّاني منه البسمة والمودّة وتلقّاني بالغبطة والسرور، شعوراً منه صادقاً ومودّة منه لي وحباً في العلم وطلابه.

ولا يسعني وأنا أشكر الذين أسهموا معي في البحث، إلّا أنْ أخصّ بالشكر العميم مشرفي الاستاذ الدكتور زمان عبيد وناس، لما أبداه من سعة صدر ومواكبة للبحث وتصحيحه وتنميقه وبما ألفيته أستاذاً مخلصاً وصديقاً ناصحاً.

وأجد لزاماً عليّ أنْ أذكر فضل أساتذتي الكرام الذين نهلت من نمير عطائهم الثرّ في السنة التحضيرية، وقد أحببت أن أشيد بـ: أ. د اياد عبد الحسين الخفاجي، و أ. د حسين كاظم حسون قطب، و أ. د عمار محمد يونس، و أ . د ميثم مرتضى نصر الله، و أ. د هاشم ناصر الكعبي، و أ . د عباس جبير التميمي، و أ . د انتصار لطيف السبتي، و أ . د نعيم عبد جودة الشيباوي ، أدعوا الله أنْ يمنّ عليهم ببركاته ويزيدهم رفعة في سبيل العلم وطلابه.

ولا أنسى الأساتيذ الكرام في كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التاريخ، وموظفي شعبة الدراسات العليا فلهم مني وافر الشكر والتقدير، وأتقدم بالشكرِ الجزيل والثناء الجميل إلى

الاستاذ الدكتور يوسف كاظم الشمري، الذي لم يألُ جهداً في أبداء النصح والإرشاد، فكان لي أخاً وفياً وصديقاً ناصحاً وشيخاً تلمذتُ على يده، فله مني وافر الشكر والامتنان، كما أشكر الدكتور قاسم كاظم حسن الذي تفضل عليَّ بتنقيحِ هذه الرسالة وتصحيح المفردات اللغوية في ثناياها.

وأتقدم بالعرفان الجزيل والشكر المديد إلى والديّ الكريمين اللذَين حظيت بصالح دعائهما وبركة وجودهما، فلهما منّي الدعاء بالخير ما حييت.

وختاماً أقدمُ شُكري وأمتناني إلى عائلتي التي تحملت عناء مسيرتي العلمية، ولكلّ مَنْ قدمَ لي النُصْحَ وشدَّ على عَضُدي في إكمالِ أطروحتي، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

الباحث

المحتويات

العنـــــــــــــوان	الصفحة
الآية القرآنية	أ

الاهداء	ب
الشكر والعرفان	ت- ث
قائمة المحتويات	ج
المُقَدِّمَةُ وعرضٌ لأهمِ المصادرِ	11-1
الفصل الأوَّل: مفهوم رأس المال وأثره في مكة قبل البعثة النبوية	67- 12
المبحث الأوَّل: مفهوم رأس المال وبدايات تشكيله في مكة	34-13
المبحث الثَّانيّ: موارد رأس المال	67 -35
الفصل الثَّانيّ: أثر رأس المال في القرار السياسي والديني	112 -68
المبحث الأوَّل: مفهوم الدولة وأثر رأس المال في القرار السياسي	96-69
المبحث الثَّانيّ: أثر رأس المال في القرار الديني	112-97
الفصل الثَّالث: أثر رأس المال في الانقلاب السياسي والديني	147 -113
المبحث الأوَّل: أثر رأس المال في الانقلاب السياسي(إمرة المسلمين).	129 -114
المبحث الثَّانيّ: أثر رأس المال في الانقلاب الديني (الزامهم الطاعة والجماعة)	147 -130
الفصل الرَّابع: أثر رأس المال في الاصلاح السياسي والديني	191 -148
المبحث الأوَّل: أثر راس المال في مواجهة الإصلاح السياسي والديني	169-149
المبحث الثَّانيّ: أثر رأس المال في الانقلاب على رائد الاصلاح السياسي والديني	191-170
الخاتِمَةُ	195-192
قائمة ثبت المصادر والمراجع	224 -196
العنوان، والملخص باللُّغة الإنجليزيَّة	A-D

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام من بن عبد الله واله الكرام، اللهم صل على محمد والِ محمد.

يعد راس المال واحد من المقومات الاساسية لأي عمل منذ اللحظة التي الاولى التي وجدت فيها المجتمعات البشرية على وجه البسيطة، ومن ثم فأن ذلك العمل أو المشروع سيلاقي صعوبات جمه قد تؤدي إلى انهياره أو وأده مبكراً إذا لم يتوفر له رأس المال الكافي لتغطية مستلزماته الضرورية.

وعلى هذا فأن الباحث اتخذ من قوة رأس المال معياراً اساسياً في ثنايا بحثه، وما يترتب على تلك القوة من آثار رافقت بناء الدولة العربية الاسلامية منذ قيامها، وبعد المشورة مشرفي الاستاذ الدكتور زمان عبيد وناس رجح لي الكتابة عن هذا الموضوع الذي يعد من المواضيع الهامة وقد اطلعت على ما ورد فيها من حودث تاريخية فوجدتها تستحق الدراسة.

وعلى هذا الأساس وسمت أطروحتي بعنوان: **(أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى عام 41هـ/661م)** بعد أن قسمته على أربعة فصول تقفوها خاتمة للبحث وقائمة بالمصادر والمراجع.

جاء **الفصل الاول** بعنوان: **مفهوم رأس المال وأثره في مكة قبل البعثة النبوية.** بعد أن قسمته على مبحثين **المبحث الأول:** التعريف برأس المال وبدايات تشكيله في مكة أوضحت فيه المراد من رأس المال وما يعطي من معان كثيرة، ثم تناولت فيه أنواع رأس المال المادي منها والمعنوي.

أما **المبحث الثاني:** فقد أستعرض فيه الباحث موارد رأس المال وتشمل: (التجارة والغزو والعقلية العربية مع عدم اهمال الموارد الآخرى) وبوصف التجارة تمثل المورد الرئيس في الجزيرة العربية فقد سلطت الضوء على تجارة الخمور والرقيق بوصفها بضائع رائجة أنذاك، أما العقلية العربية فهي ترتبط بمفهوم رأس المال الرمزي وقد بينت موقف قصي وابناءه ثم أبو طالب (عليه السلام) كيف تمكن من حماية النبي (O) الذي أخذ فسحة تمكن إبَّانها من الجهر بالدعوة الإسلامية.

كان الفصل الثاني: أثر رأس المال في القرار السياسي والديني، بعد أن قسمته على مبحثين جاء المبحث الاول بعنوان: **مفهوم الدولة وأثر رأس المال في القرار السياسي.** وضع الباحث فرضية: هل أن النبي (O) كان يسعى لبناء دولة أو هل أن ما بناه النبي (O) يصدق على مفهوم الدولة بالمعنى الحديث من عدمه، مما حدى بالباحث الرجوع المصادر أو المراجع التي تعني بهذا الخصوص واعني بذلك المصادر القانونية لدى فقهاء القانون الدولي التي بينت عناصر قيام الدولة(الإقليم– الشعب– التنظيم القانوني– السيادة) وكانوا متفقون على العناصر الثلاثة الأولى ومختلفون في العنصر الرابع (السيادة) يراد به ان الدولة مطلقة السيادة في التصرف لا يقيدها إلا ارادتها . وعند امعان النظر في تلك العناصر وجدتها تنطبق مع دولة المدينة.

ثم اثر رأس المال في القرار السياسي وقد قدمته على القرار الديني بوصفه الراجح عند العرب آنذاك فهم ينظرون إلى مصالحهم السياسية في العلية والسيادة على القوم اكثر منه في المسائل العقدية او الدينية. وعضَّتها بالحوادث التاريخية التي تنسجم وعنوان الفصل.

الفصل الثالث: أثر رأس المال في الانقلاب السياسي والديني، وقسمته على مبحثين أيضا: **المبحث الأول:** سلطت الضوء فيه على الحوادث التاريخية التي رافقت حادثة السقيفة وكيف انقلبت الامة على اعقابها، ثم **المبحث الثاني:** اثر رأس المال في الانقلاب الديني والزامهم الجماعة والطاعة خلافا لما جاء به النبي (O) ليمحق الدين رويدا رويدا .

الفصل الرابع: أثر رأس المال في الاصلاح السياسي والديني. المبحث الأول : بينت فيه أثر رأس المال في مواجهة الاصلاح السياسي والديني وضفت بعض الحوادث التاريخية التي واجهة حركة الاصلاح الديني الذي تبناه نخبة من الصحابة منهم، عبد الله بن مسعود وابي ذر الغفاري وعمار بن ياسر ونفيي جماعة من القراء مثل رهط عامر بن عبد القيس وصعصعة بن صوحان الذين تعرضوا الى سياسة النفي والابعاد. ثم اثر رأس المال في الانقلاب الطبقي الذي ظهر في اوج عظمته زمن عثمان بن عفان الذي قاد إلى ثورة شعبية ادت إلى مقتله. اما المبحث الثاني أثر رأس المال في الانقلاب على رائد الاصلاح السياسي والديني الذي مثله الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابنه الامام الحسن(عليه السلام) بعد أن تمكن الامام علي (عليه السلام) من تحقيق التوازن الاقتصادي ابتداء بارجاع الاقطاعات والتسوية في العطاء بعد أن واجه صعوبات جمة تَكْمنُ في خروج الناكثين للبيعة ثم المارقين(الخوارج)، ثم ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) الذي نحى ذات المنحى مع معاوية أما أن يقاتل وأما أن يساير الأحداث للحفاظ على الدين من أن يمحق فرجح كفة الحفاظ على الدين على كفة ولاية الامر للمسلمين، دون ولاية امر المؤمنين، فقال: "**كرهت ان اقاتلهم في طلب الملك**".

لا خلص بعد ذلك إلى أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة ويقع في مقدمتها:

- شكل رأس المال حجر الزاوية في مواجهة الدعوة الإسلامية مما أدى إلى عرقلة مسيرتها منذ بواكيرها الاولى، بيد أنه جوبه بقوة رأس المال الرمزي عند أبي طالب التي تساوي في التاثير قوة رأس المال الاقتصادي عند قريش حتى تمكن النبي (O) من وضع اللبنات الاولى وعلى ذلك يكون مسار الدولة الإسلامية الذي أخذ بالتنامي حتى أكمل الدين واتمم النعمة، لكن شكل رحيله بداية النهاية فحصل الانقلاب السياسي والديني رويدا رويدا طيلت مدة حكم الثلاثة، ثم جاء الامام علي (عليه السلام) لإصلاح ذلك الانحراف ومن بعده الإمام الحسن (عليه السلام) فكان عام

41هـ/661م، المنعطف الخطير في تاريخ الدولة العربية الإسلامية فهد ما بناه رسول الله (O) ومحق الدين وذهبت الامة مذاهب شتى فظهرت الفرق والمذاهب.

أما المنهجية التي اعتمدها الباحث فهي تقوم على أساس ايراد المشهور من اسم المؤلف والكتاب مختصراً والاكتفاء بذكر التفاصيل في قائمة المصادر والمراجع طلبا للدقة وعدم التكرار وتقليلا للأخطاء والجهد المبذول وسهولة الرجوع إليها عند الطلب فهي مرتبة في ذيل الأطروحة على أساس الحروف الالف باء كما اعتمدت المنهج التحليلي النقدي الذي يقوم على أساس تفكيك النص واعادة بناءه ومن ثم ربطه بالنصوص الاخرى للخروج بنتائج مقبولة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

المُقدِّمة وعرضٌ لأهمِ المصادرِ

أولاً: المُقدِّمةُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين المبعوثِ رحمةً للعالمين محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

يُعد رأس المال أحد المقومات الأساسية لتحقيق الأهداف المنشودة لأي عمل، ومن ثم فإنَّه مصدر قوة للأشخاص الطبيعية والمعنوية؛ لذا فإنَّ قيام أي دولة وأفولها يرتبط ارتباطاً مباشراً بقوة رأس المال، ويلعب دوراً رئيسياً وأساسياً في تقويمها ونجاحها بالتظافر مع المقومات الأخرى اللازمة لها، وعلى هذا كان لرأس المال الأثر البيّنُ على قيام الدولةُ العربية الإسلاميةُ، وتركَ بصماتٍ واضحةً عليها منذُ قيامها، ولمّا كان له أنواع مختلفة منها مادية وأُخرى معنوية تعطي ذات الأثر الذي يَكْمُنُ في القوة التي تفعل فعلها في التأثير على مجريات الأحداث، وبالتالي انحرافها عن المسار المرجو لها، وعند تتبع مسار الدولة العربية الإسلامية حتى عام 41هـ/661م، أجد الأثرُ البيّنُ لرأس المال في تغيير المسار الذي وضع أُسه نبيُّ الأمة، الذي أرد منها أنْ تكون خيرَ أمةٌ أُخرِجتْ للناس، وهنا تكْمنُ أهمية الدراسة، وإبَّان تتبع مسار الدولة العربية الإسلامية، وجد الباحث أنَّ قوة رأس المال وَقفتْ بالضدِ من أحكامِ الشريعة المقدسة، وإنَّ الأمة الإسلامية متمثلة بمن جاء بعد النبيُّ (O) في إمرة المسلمين لم ترعَ تلك الأحكام حق رعاية ما خلى ثُلةٌ قليلة، مما أدى بها إلى تشتت الآراء ومن ثمَّ الانحلال والانقسام على نفسها.

وعليه وسَمتُ عنوانَ الدراسةِ بـ:(أثر رأس المال في الدولة العربية الإسلامية حتى 41هـ/661م)، إنَّ تحديدَ الدراسة في الحقبة الزمنية مارة الذكر يعود إلى بيان ما كان يرمي إليه الرسول الأعظم (O) في رسالته السَّماوية التي بُعِث من أجلها في الجزيرة العربية؛ لتكون المشكاة التي يقتدى بها لتصحيح المسار، وما درَجتْ عليه العرب من العادات والتقاليد والأعراف التي لا تستقيم مع الشرائع السماوية، ولتكون الدولة الإسلامية المنار الذي يَعمُّ أرجاء المعمورة، ولكن بعض العقبات التي حالت دون استمرار ما بناه النبيُّ (O)، والتي يقع في مقدمتها رأس المال، وعلى هذا الأساس حُدِّدَتْ الدراسة في الجزيرة العربية التي تضم عديداً من المدن أهمها: (مكة والمدينة والطائف)، لما شَهِدَتهُ هذه المدن القريبة من مركز الدولة الرئيس، إذ كان لها أثر ملحوظٌ رافق الدولة الإسلامية منذُ قيامها؛ وبعد المشورة مع

الأستاذ الدكتور زمان عبيد ونّاس المشرف على الأطروحة رجَّح لي الكتابة عن هذا الموضوع، الذي يُعدُّ من المواضيعِ الهامّة، وقد اطَّلَعْت على ما ورد فيها من حوادثٍ تاريخيةٍ فوجدتها تستحق الدراسة، وهنا تكمن أسباب اختياري لموضوع البحث.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وأربعة فصول، تقفوها استنتاجات البحث وقائمة بالمصادر والمراجع، فوسَّمتُ **الفصل الأول** بعنوان: مفهوم رأس المال وأثره في مكة قبل البعثة النبوية، وقسَّمته إلى مبحثين، تناولت في **المبحث الأول:** مفهوم رأس المال وبدايات تشكيله في مكة، أوضحتُ فيه مفهوم رأس المال وما يعطي من معانٍ كثيرة، ثم أنواعه الثابت والمنقول والحاكم والرمزي والفكري، التي تؤدي الغرض ذاته، أي أنَّها تفعل فعلها في الأثر، بمعنى أنَّ رأس المال الرمزي يعطي ذات الأثر الذي يتركه غيره من أنواع رأس المال، كما وقفتُ عند بدايات تشكيل رأس المال في مكة مع إيراد بعض الشواهد التاريخية؛ لبيان مُراد البحث، أمَّا **المبحث الثاني:** فاستعرضت فيه موارد رأس المال، والتي تقع التجارة في مقدمة تلك الموارد، تناولتُ فيها تجارة الرقيق والخمور بوصفها السلع الرائجة إبَّان تلك الحقبة، مع عدم إهمال الموارد الأخرى؛ لأركُنَ بعد ذلك إلى **الفصل الثاني**، الذي جاء بعنوان: أثر رأس المال في القرار السياسي والديني؛ لأهمية هذين القرارين من جهة، وللتلازم والاقتران بينهما من جهة أُخرى وقسمته إلى مبحثين: كان **المبحث الأول** بعنوان: مفهوم الدولة وأثر رأس المال في القرار السياسي، وقد قدمته على القرار الديني، بوصفه القرار الراجح على القرار الديني عند العرب وقتئذ، كما بيَّنتُ مفهوم الدولة وأشرتُ إلى المرتكزات الأساسية لقيام الدولة، فوجدتها تنطبق على دولة المدينة (يثرب)، وإنْ كان نبيُّ الأُمة(O) قد وضع النواة الأولى لدولة العدل الإلهي على أمل اكمال ما بناه بمَنْ خلفه، أمَّا **المبحث الثاني** فقد وَسمتُه بعنوان: أثر رأس المال في القرار الديني، تناولتُ فيه بعض الحوادث التاريخية التي كان لرأس المال أثر فيها، لأنتقل بعد ذلك إلى **الفصل الثالث** الذي سمّيته: أثر رأس المال في الانقلاب السياسي والديني، بعد أنْ قَسّمتهُ إلى مبحثين أيضاً، تناولتُ في **المبحث الأول:** أثر رأس المال في الانقلاب السياسي (إمرة المسلمين)، سلَّطتُ الضوءُ فيه على الحوادث التاريخية التي رافقت حادثة السقيفة، وكيف انقلبت الأمةُ على أعقابها لأنتقل بعد ذلك إلى أثر رأس المال في الانقلاب الديني، أي إلزامهم الجماعة والطاعة، خلافاً لمِا جاء به نبيُّ الأمة (O)، بأنْ مُحق الدين رويداً رويداً وذلك في **المبحث الثاني** من هذا الفصل. لأركنَ بعد ذلك إلى **الفصل الرابع** الذي جاء بعنوان: أثر رأس المال في الإصلاح السياسي والديني، بعد أنْ قَسمّتهُ إلى مبحثين

أيضاً، كان **المبحث الأول:** أثر رأس المال في مواجهة الإصلاح السياسي والديني، تناولت فيه بعض الحوادث التاريخية التي واجهت الإصلاح الديني الذي تبنَّاه نخبة من الصحابة، وكان لرأس المال الأثر في مواجهة حركة الإصلاح، أمّا **المبحث الثاني** فقد وَسمّتهُ بعنوان: أثر رأس المال في مواجهة رائد الإصلاح السياسي والديني، الذي مثله الإمام علي بن أبي طالب وابنه الإمام الحسن (h)، ليُبّين الباحث النظرية التي اعتمداها في الإصلاح والتي أتت أُكلها في تصحيح مسار الدولة الإسلامية، وكيف واجهت المعوقات التي اعترضتها، فيما كان لرأس المال الأثر في اضعافها ومن ثم حَرفِها عن مسارها، بعد شهادتهما (h)، ثم النتائج التي تَمخَضتْ عنها الدراسة والتي تَعّدُ باكورة بحثي.

أمّا المنهجية التي اعتمدها الباحث فهي إيراد المشهور من أسم المؤلِّف والكتاب مختصَراً والاكتفاء بذكر التفاصيل في قائمة المصادر والمراجع؛ طلباً للدقة وعدم التكرار وتقليلاً للأخطاء والجهد المبذول وسهولة الرجوع إليها عند الطلب، كما اعتمدتُ المنهج التحليلي النقدي الذي يقوم على أساس تفكيك النص وإعادة بنائه، ومن ثمَّ ربطه بالنصوص الأُخرى للخروجِ بنتائجَ مقبولةٍ، فأنْ أصبت كبد الحقيقة فهي غايتي وُمنيتي، وأنْ زلَّ قلمي فهي جهود باحثٍ تكْتنفهُ الهِنات والهَفوات، ومع محاولة الخوض في هذا الموضوع واجهتُ فيه عدداً من الصعوبات زيادة على الصعوبات التقليدية من قلة المصادر التي تناولت الدراسة، إذ إنَّ البحث في هذا الموضوع من الأمور الشائكة والصعبة التي تتطلب وقتاً وجهداً مضاعفين؛ لقلة وجود المصادر المتخصصة بهذا العنوان، ما كلَّفني البحث في بطونِ أُمهات الكتب التاريخية باختلاف أنواعها؛ للحصول على مادة أستطيع من خلالها استيفاء المادة العلمية لإكمال البحث، ولله الحمد والشُّكر على ما أنْعَمَ.

ثانياً: عرضٌ لأهمِ المصادرِ.

استقى الباحث معلوماته معتمداً على عديد من المصادر والمراجع المتنوعة التاريخية والجغرافية والأدبية والمعاجم اللُّغوية وغيرها، أَثْرَتِ البحثَ بمعلومات مهمة، وأفرد في نهاية الدراسة قائمة تفصيلية بها، من أهمها:

1. **كتب السيرة النبويَّة.**

اعتمد الباحث عديد من مصادر السيرة النبوية التي اختصت برواية الحوادث التاريخية لسيرة النبيُّ الأعظمُ (O) التي أثْرَتِ الدراسة بموضوعات تتصل بمادة البحث تمكن الباحث من توظيفها ويقع في مقدمتها:

كتاب (السيرة والمغازي) لابن إسحاق، محمد (ت:151هـ/798م)، جاء بمعلومات اختصت بسيرة الرسول (O)، فكان مَنْ خَلفَه عَيالٌ عليه في استقاء الرواية الخبرية، شمل كتابه مقدمّة سُميَّتْ(المبتدأ)، ثم حياة الرسول الأولى والمبعث وامتداد الرسالة في مراحلها الأولى ثم الحوادث التي جرت بعد الهجرة في المدينة، وأشار ابن هشام (ت:213هـ/828م) إلى حذّفه أو اقتضابه بعض ما ذكره ابن إسحاق، ما يعني أنَّ بعض الحوادث تم حذّفها لو قُدر أنْ وصلت لكشفتْ عن بعض الغوامض التي رافقت تاريخ السيرةُ النبويَّةُ، ومع هذا فإنَّها افادتْ الباحث في معظم فصول الأطروحة.

عُني بعض المستشرقين بالكتابة عن سيرة الرسول الأكرم (O) منهم: المستشرق البريطاني مونتكمري واط، الذي تناول سيرة النبيُّ (O) بالدراسة والتحليل في ثلاثة كتب مهمة هي: (محمد في مكة، ومحمد في المدينة، ومحمد النبي ورجل الدولة)، ويمثل كتابهُ الأخير عصارة أفكاره التي نهلَها في تتبع السيرة بحثاً وضرباً وتنقيباً، فجاءت أبحاثه – على الرغم ما فيها من الهِنات–، لتُجسدَ صورة الباحث عن الحقيقة، أفادت الباحث في الفصلين الأول والثاني. وكتاب (سيرة النبي محمّد [O]) للراهبة البريطانية كارين أرمسترونج، تناولتْ سيرة النبيُّ (O) بأسلوبٍ قَصَصي رائع، وجاء كتابها موجهاً للغرب أنفسهم أكثر منه للمسلمين. كما اعتمد الباحث على غيرهم من المؤرخين المسلمين والمستشرقين الذين كتبوا عن سيرة النبيُّ (O).

2. كتب التاريخ العام.

اتكأ الباحث على مجموعة من كتب التاريخ العام التي أفادت البحث، ولاعتماد هذه الكتب في ترتيب الحوادث على النظام الحولي مكَّنت الباحث من الرجوع إليها واستقاء المعلومة منها، وعمل على عرضها بحسب التسلسل الزمني لوفيات مؤلفيها ومنها:

كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، للطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ/922م)، الذي اشتهر كتابه هذا بـ: (تاريخ الطبري)، وهو موسوعة تاريخية مهمة تناولت الحوادث على أساس نظام الحوليات، وتميَّز الطبري بإيراده للحوادث بأكثر من رواية، ممّا يعطي الفرصة للباحث بمقارنة الحوادث الواردة عنده مع بعضها أو مع غيره من المؤرخين، ويعدُ هذا السفر من المصادر القيمة التي لا غنى عنها لإيِّ باحث في التاريخ الإسلامي، ولا سيمّا الذي يتناول في دراسته القرون الهجرية الثلاثة الأولى من أنْ ينهل منه لاحتوائه على كثيرٍ من الموضوعاتِ، أفادتْ البحث في كافة فصول الدراسة.

حوى كتابُ (الكاملُ في التاريخِ)، لمؤلفه ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن علي (ت:630هـ/1232م)، على مادة مهمة، على الرغم من أنَّه اعتمد كثيراً في نقله عن المؤرخين السابقين له أمثال: الطبري والمسُعودي ومِسكويه والصَّابي وغيرهم، إلّا أنَّهُ أضاف بعض المعلومات التاريخية التي أغنت جميع فصول الدراسة.

أمّا كتابُ (البدايةُ والنهايةُ)، لابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت:774هـ/1372م)، فقد مزج فيه بين الحوادث والتراجم، وذكر روايات المؤرخين السابقين له؛ لذا جاءت كتاباته مطوّلة في بعض الحوادث، مع أنَّهُ في كثير من الأحيان نجده يصدر أحكاماً جُزافاً، إلّا أنَّ الباحث استفاد منه في مقارنة نصوصه مع غيره من المؤرخين على طول الدراسة.

3. كتب التراجم والسير.

انمازت كتب التراجم والسير مع ما توفره من معلومات عن الشخصيات التاريخية، باحتوائها على معلومات الحوادث التاريخية لأثر رأس المال، لذا فإنَّ تلك المصادر أغنت البحث بمادة ثرّة، ومن أهمها:

كتابُ (الطبقاتُ الكُبرى) لابْن سَعْد، محمد (ت:230هـ/844م)، الذي يُعد من أقدم كتب التراجم، نهلَ منهُ الباحثُ تراجم شخصيات الدراسة، فضلاً عن احتوائهِ على مادةٍ تاريخيةٍ وظّفها الباحثُ عندَ مقارنةِ الحوادث التاريخية الواردة عنده مع غيره من المؤرخين. أمَّا كتابُ (وفيّاتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ) لمؤلفه ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت:681هـ/1282م)، فيُعد من كتب التراجم التي أغنت الدراسة لما حوته من تراجم ووفيات الصحابة والأعيان، وكتاب (سيّرُ أعلام النبلاء) للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:748هـ/1347م)، حوى بين طياته تراجم موَسَّعة للشخيصاتِ التي وردت في الدراسةِ محلِ البحثِ، وأرود معلومات اغفلها غيره من المؤرخين بقصد أو بغير قصد.

4. كتب التفسير للقرآن الكريم.

اعتمد الباحث على كتب التفسير للقرآن العظيم، في تفسير الآيات القرآنية الواردة في متن البحث، ومن أهم تلك الكتب:

كتاب (تفسير مقاتل) لمؤلفه مقاتل بن سليمان (ت:150هـ/767م). وكتاب (جامع البيان في تفسير القرآن)، للطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ/922م)، وغيرها من كتب التفسير التي أفادت البحث في تفسير بعض الآيات القرآنية التي اعترضت البحث.

5. كتب الحديث الشريف.

استقى الباحث الأحاديث النبوية الشريفة من مداركها المقرّرة، والتي تتمثل بمتون الحديث النبوي الشريف التي تعني بالدراسة محل البحث، إذ حوت تلك المصادر على أحاديث شريفة، خصَّتْ بعض شخصيات الدراسة، ومن أهم تلك المصادر:

كتاب(مسند أحمد بن حنبل)، لابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت:241هـ/855م). وكتاب(صحيح البخاري) للبخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت:256هـ/869م). وكتاب(أصول الكافي)، للكليني، محمد بن يعقوب (ت:329هـ/940م). وكتاب (صحيح ابن حبان)، لابن حبان، محمد بن أحمد (ت:354هـ/965م). وكتاب (السُنن الكبرى)، للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت:458هـ/1065م). وغيرها من كتب الحديث التي استقى الباحث منها الأحاديث النبوية الشريفة للدراسة محل البحث.

6. كتب اللُّغة.

اتخذَ الباحثُ من كتبِ اللغةِ مصدراً أساسياً للتعرف على مراد بعض المفردات اللغوية التي رافقت الدراسة، إذ حوت تلك المصادر على معلومات جمّة أغنت البحث، ومن أهم تلك المصادر:

(كتاب العين)، للفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت:170هـ/786م)، وكتاب (تهذيب اللغة)، لأبي منصور الهروي، محمد بن أحمد (ت:370هـ/980م)، وكتاب (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة)، للجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حمَّاد (ت:393هـ/1002م)، وكتاب (معجم مقاييس اللغة)، لابن فارس، أحمد بن فارس (ت:395هـ/1004م)، وكتاب (المخصص)، لابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت:458هـ/1065م)، وكتاب (لسان العرب)، لابن منظور، محمد بن مكرم (ت:711هـ/1311م)، وكتاب (القاموس المحيط)، للفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت:817هـ/1414م)، وغيرها من المعاجم اللغوية التي أثرَّت الدراسة موضوع البحث.

7. كُتب التاريخ الخاص.

تضمنت كتب التاريخ الخاص مادة علمية أغنت البحث بمظاهر رأس المال، أفادت الباحث في جميع فصول الدراسة، ومن أهم تلك الكتب:

كتاب (الأموال) لأبي عبيد، القاسم بن سلّام (ت: 224هـ/838م)، أفاد الباحث في إيراد بعض الحوادث التاريخية التي تتصل برأس المال. وكتاب (أخبار مكة) للأزرقي، محمد بن عبد الله (ت: 250هـ/864م) وقرينه (أخبار مكة) للفاكهي، محمد بن إسحاق(ت: 272هـ/886م)، التي أفادت البحث في تاريخ مكة قبل المبعث النبوي، ولا سيمّا الفصل الأول من الدراسة، وكتاب (تاريخ الخلفاء) لابن قتيبة الدينوري (ت:276هـ/889م) المشهور بالإمامة والسياسة، فهو من الكتب التي تناولتْ تاريخ الحقبة الزمنية التي تلت وفاة النبيَّ (O)، رغم اقتضابه لبعض الحوادث التاريخية، إلّا أنَّه أفاد البحث في الفصلين الثالث والرابع. وكتاب (إعلام الورى بأعلام الهدى)، للطبّرسي، الفضل بن الحسن (ت:548هـ/1153م)، الذي استقى الباحث معلوماته عن أئمة الهدى وما اختصوا به من مآثر ومناقب.

8. كتب الجغرافية والرحلات.

حوت كتب الجغرافية والرحلات على وصفٍ عام للمدن والأقاليم كما تضمنت مادة تاريخية مهمَّة، لا غنى لكلِّ باحثٍ في التاريخ الإسلامي عنها ومن أهم تلك الكتب:

كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل، أبي القاسم محمد (ت:367هـ/977م)، وكتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات) للهروي، علي بن أبي بكر (ت:611هـ/1214م)، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت:626هـ/1228م)، حوَتْ هذه الكتب على مادة تاريخية زيادة على المادة الجغرافية، استفاد منها الباحث في جميع فصول الدراسة.

9. الكتب الأدبية.

استقى الباحث موضوعاته الأدبية من الكتب التي أغنت البحث من حيث الاستشهاد بالأبيات الشعرية التي تناسب الحدث التاريخي، إضافة إلى احتوائها على الحوادث التاريخية؛

لتناولها الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لذا نهل منها الباحث المعلومات في جميع فصول الدراسة ومن أهم هذه المؤلفات:

كتاب(الشعر والشعراء) لابن قتيبة الدّينوَري (ت:276هـ/840م)، الذي حوى على مادة تاريخية وأدبية في آنٍ واحدٍ، لذا اعتمد عليه الباحث في كثير من مباحث الدراسة، إذ تضمن معلومات أدبية وأخرى تاريخية لما فيها من أقوالٍ وأبياتٍ شعريةٍ استدل بها الباحث بعد الرجوع إلى الدواوين الشعرية لأصحابها، وغيرها من الكتب الأدبية.

10. كتب الأنساب.

تُعد كتبُ الأنسابِ من المصادرِ المهمةِ؛ لأهميتها التاريخية من جهة، ولمعرفة أصول بعض الشخصيات التي تعترض البحث من جهة أُخرى، ومن أهم تلك المصادر التي عوَّل عليها الباحث هي:

كتاب (نسب معد واليمن الكبير)، لابن الكلبي، هشام بن محمد (ت :204هـ/ 819م)، ويُعد هذا المصدر من المصادر القيمة في الأنساب ولعله أقدمها، إذ أخذ هشام معظم مادته من أبيه محمد الكلبي، استعمله الباحث في التعريف بأسماء شخصيات القبائل العربية التي نزَحتْ من الجزيرة العربية واستقرت بالأمصار، وكتاب (الأنساب)، للسمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت:562هـ/1166م)، وكتاب (اللباب في تهذيبُ الأنساب) لابن الأثير (ت:630هـ/1232م)، الذي جاء تلافياً للإشكالات التي وقع فيها السمعاني في كتابه اعلاه، وكتاب (نهايةُ الأرَب في معَرفَة أنْسَاب العرَب)، للقلقشندي، أبي العباس أحمد (ت:821هـ/1418م).

12- المراجع.

اعتمد الباحث على عديد من المراجع التي مكَّنته من التعرف على بعض المفردات التي يصعب الوصول إليها، فهي اختصرت له المسافة وهوَّنتْ له الصِعاب، ويقع في مقدمتها: كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد علي، حوى هذا السفر على مادة تاريخية أغنت البحث، ويعد من المؤلفات القيّمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ أورد فيه العلاّمة جواد علي كل شاردة وواردة، بشيء من التفصيل، واتسم كتابه بجمع الأخبار من مصادرها المعتبرة، ثم يعمل فيها نقداً وتحليلاً، فجاء غايةٌ في الروعة، أفاد الباحث في الفصل الأول من الدراسة، وكتابيّ (سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي) و (دراسات في الفكر الاقتصادي

الإسلامي) لمشرفي الاستاذ الدكتور زمان عبيد ونّاس أفادت البحث في ثنايا الدراسة. ثم بعض كتب المستشرقين التي أتسمت كتاباتهم بالموضوعية إلى حدٍ ما، يقع في مقدمتهم، المستشرق البريطاني مونتكمري واط في كتبه الثلاثة: (محمد في مكة ومحمد في المدينة ومحمد النبي ورجل الدولة)، إذ مثل كتابه الاخير عصارة افكاره التي نهلها من أمهات المصادر العربية والاجنبية، مكنت الباحث من الاتكاء عليها في الرد على بعض الهنات التي أصابت كتابات غيره من المسلمين والمستشرقين.

مختصر القول: نحنُ لا ندعي الكمال، فالكمال لله وحده، لكن الباحث أقحم نفسه في فرضية الأطروحة التي شكلت تحدٍ كبير له تمكّن بعون الله ومنِّه من إتمام البحث فيها، نسأل الله العلي القدير، القبول والرضا لما قدمناه، والعفو عمّا زل فيه قلمنا، أنَّه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربَّ العالمين وصلى الله على محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين.

الباحث

الفصل الأول

مفهوم رأس المال وأثره في مكة قبل البعثة النبوية

المبحث الأول

مفهوم رأس المال وبدايات تشكيله في مكة

أولاً: مفهوم رأس المال وأنواعه.

وردت مفردة (رأس) في المعاجم اللغوية العربية لتعطي مدلولات كثيرة، وهي بطبيعة الحال تأخذ عادةً الجانب المجازي في اللغة فكلمة (الرَّأْسُ) للوهلة الأولى تعني: أعلى كُلِّ شيْءٍ، ومجازاً، رأس الشهر ورأس السنة أول يوم فيها[1] ورأس الجبل قمته، قَالَ امْرُؤُ القيس[2]:

فيَوْماً إِلَى أَهْلِي ودهري إِلَيْكُمُ ويَوْماً أَحُطُّ الخَيْلَ مِنْ رُؤوسِ أَجْبَالِ

مقارنة منه بين الكرم والشجاعة وأنَّه إذا سار للعدو فارقت رؤوس الأعداء جسومها[3]، والعرب تستخدم الرأس بالمجاز للدلالة على متقدم القوم، فتقول: رأس الجالوت، والجالوت رئيس اليهود[4]، كما أَن الأسقف رئيس النَّصَارَى، والموبذ رئيس المجوس أو قاضيهم[5]، والقوم إذا كَثُرُوا وعَزُّوا يقال لهم الرأسُ، ومنه ايضاً: رأس الليل ورأس الدّيّن ورأس العقل [6]، وما إلى ذلك، وما يعنينا في بحثنا هذا هو رأس المال وما يعطي من معانٍ كثيرةٍ أيضاً، تشير إلى مصدر القوة المعنوية تارةً ، وأُخرى إلى القوة المادية، ورأس المالِ: أَصْلُه[7]، ورد في القرآن الكريم بصيغة الجمع: رؤوس في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

([1]) قلعجي، معجم لغة الفقهاء، 217.

([2]) هو حُندج بن حجر بن الحارث عمرو الكندي، وكندة قبيلة يمنية، اتصلت بالفرس الساسانيين، فتولت على كثير من قبائل العرب منهم بني أسد الذين قتلوا اباه فوقع عليه عبء الأخذ بثأر أبيه واسترداد ملكه، فرحل يستنصر القبائل ويستنجد بها، حتى لجأ إلى قيصر الروم، ونسج الرواة حول رحلته الاساطير، وقالوا أن القيصر لما وشي عنده أن امرؤ القيس يراسل ابنتك ويواصلها، فأرسل اليه حُلَّة مسمومة فلما لبسها أسرع اليه السم وسقط جلده، ومات بأنقرة وهو عائد من القسطنطينية حوالي سنة (540م). للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 107/1–132؛ الاسكندري، وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، 57–60. ويغلب الظن أنَّه أُصيب أثناء عودته بمرض جلدي سبب له القروح فمات منه.

([3]) ابو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، 196/2.

([4]) الجاحظ، كتاب الحيوان، 273/4؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، 53؛ الثعالبي، ثمار القلوب، 322.

([5]) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، 138.

([6]) الثعالبي، ثمار القلوب، 322؛ ابن منظور، لسان العرب، 91/6–92.

([7]) الزبيدي، تاج العروس، 104/16.

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [1]؛ وذلك لتحريم الرِبَا الذي كان رائجاً في الحقبة الزمنية التي سبقت بعثة النبي الأكرم (O)، إذ كانوا يتبايعون بالرِبَا[2]، ويجنون منه ارباحاً كثيرة، ويقال: "**أَقْرِضْنِي عَشْرَةً برُؤوسِهَا، أَي قَرْضاً لَا رِبْحَ فِيهِ إلاَّ رأْسُ المالِ**"[3]، والمراد به هنا رأس المال الصامت(الذهب والفضة)، بَيْدَ أنَّ لفظة (الصامت) وردت عند أبي عبيد[4] في معرض حديثه عن الخراج، قال: "**لا صدقة على الكافر في ماشية ولا صامت**"، ويُريدُ بذلك النقدين الذهبُ والفضةُ، وبالتالي لا مجال للقولِ بحداثتها.

أشار القرآن الكريم إلى المال في آياتٍ كثيرةٍ، منها قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[5]، ولِما للمال من أثرٍ كبيرٍ في الحياة العامة فقد نُعِتَ الناس بحبهم الكثير – الْجَمُّ– للمال وجمعهِ واقتنائهِ[6]، ثم أنَّه في الآية السابقة لها، قال جلّ وعلاّ: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[7]، التراث هو الميراث، في وقت كان فيه القوم يأكلون ميراثهم وميراث غيرهم لمَّاً، واللمّ: السفّ، لفّ كل شيء ظلماً أو الجمع الشديد الكثير[8]؛ فجاء فجاء القرآن الكريم لمنع هذا الاعتداء من أكل حقوق الناس، إذ كانوا لا يوَرّثون النساء والصغار[9]، وعادة عدم توريث النساء أي عدم اعطائها حقها ونصيبها من الإرث من المسائل التي ما زالت عالقة في أذهان الناس لا ينفكوا عنها، على الرغم من أنَّ القرآن العظيم قَدْ فَصّلَ في ذلك[10]، وأعطى كل ذي حق حقه،

([1]) سورة البقرة/ الآية279.

([2]) الطبري، جامع البيان، 24/6؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 549/2.

([3]) الزبيدي، تاج العروس، 101/16–104؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 108/14.

([4]) كتاب الأموال، 100.

([5]) سورة الفجر/ الآية20.

([6]) الطبري، جامع البيان، 415/24؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3428/10.

([7]) سورة الفجر/ الآية19.

([8]) ابن منظور، لسان العرب، 547/12–550؛ الزبيدي، تاج العروس، 443/33.

([9]) الطبري، جامع البيان، 415/24؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3428/10 .

([10]) قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. سورة النساء/الآية 12.

فهي من ترسبات الحقبة الزمنية السابقة لمجيء الإسلام المحمدي[1]، ذلك يقودنا إلى ما احتج به القوم على على فاطمة الزهراء(ë) من عدم توريث النساء وجاؤوا بحديث نسبوه إلى النبي (O) يشير بأنَّ الأنبياء لا تُورِث، وما تركوه صدقة[2]، ولعل ذلك يعود إلى ما درجوا عليه من عدم توريث النساء في العُرف السائد عندهم قبل الإسلام، ولمّا لم يجد رواة الحديث مخرجاً لتبرير حرمانها من إرث ابيها، فإنَّهم مالوا تجاه وضع هذا الحديث، مع اننا نميل إلى أن الزهراء (ë) لم يكن مطلبها فدك، بقدر احتجاجها على القوم بمسألة الإمامة .

بَيْد أنَّ سعة المال وكثرته تُعدُ من الأمور المُسلّم بها في المُلكِ والحُكمِ التي درجت عليها الأقوام منذُ القِدم وكأنَّ الذي ليس له مال لا يمكنه تولي الحكم والصدارة في القوم، وهذا يعطينا شاهداً ودليلاً على قوة رأس المال في التأثير على مسار الحوادث التاريخية، ومن الشواهد التي أوردها القرآن المجيد على ذلك، ما حدث في قصة النبي داود (Q) حينما أخبرهم بتولية طالوت مَلِكاً عليهم استنكروا ذلك واحتجوا عليه بعدم امتلاكه للمال[3]، قال تعالى في محكم كتابه العزيز :﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [4]، ثم أنهم استخفوا به ونعتوا الذين اتبعوه بالسفلة دون الأشراف والكبراء من القوم[5]، وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا

([1]) يؤمن الباحث جازماً أن الدين عند الله الإسلام، وأن كل الشرائع السماوية السابقة تَكْمُنُ في الإسلام، على الرغم من اختلاف المسميات، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة آل عمران/الآية 19،وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة آل عمران/الآية 85 ، وفي قوله تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة/ الآية 136. وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق كاهن قائلاً: " **أن الرسالة السماوية التي نطق بها النبي محمد [O] رسول الله هي تماماً الرسالة ذاتها التي حملها الرسلُ والأنبياءُ قبلهُ، من آدم إلى المسيح**". الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 36.

([2]) اورد البخاري حديث: "**لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**"، بإسناد مختلف عن عائشة، وساق في ذلك روايات كثيرة عن مطالبة الزهراء (Q) في نصيبها من إرث أبيها (O). صحيح البخاري، 8/149-150.

([3]) ابن كثير، قصص الانبياء،258/2.

([4]) سورة البقرة/ الآية 247.

([5]) الطبري، جامع البيان، 295/15.

مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[1]، وهذا الاحتجاج الذي ورد عند قوم داود (Q) هو ذاته عند الملأ من قريش[2] الذين كانوا يحتجون بذلك فيرون أنَّه لو كان محمد رسولاً حقاً، لكان رجلاً من رجال قريش أو الطائف[3]، أي من الأغنياء أصحاب رأس المال، فالرئاسة –ولو كانت نبوة– عندهم لا تكون إلا في رجل عظيم[4]، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[5]، والمؤرخون[6] متفقون على أن رأي الملأ من قريش أن يكون ذو مال – الرجل العظيم– ومتفقون أيضاً أنْ يكون من إحدى القريتين (مكة والطائف) إلّا أنَّهم اختلفوا في تسمية هذين الرجلين فذهبوا مذاهب شتى[7]، انصّبت على من كان يملك رأس مال يستطيع يستطيع تولي الرياسة أو النبوة، وكانوا يسخرون من المسلمين ويستهزئون بهم حينما يرونهم خلف الرسول (O) يدخلون المسجد الحرام، وهم من الضعفاء والفقراء، فيضحكون ويقولون: جاءكم ملوك الأرض كسرى وهرقل، فدين يكون أتباعه ومعتنقوه من الرقيق والضعفاء دين ليس له شأن، ولا يمكن أنْ يكون مقبولًا حتى يكون أتباعه من الأغنياء، هكذا كانوا ينظرون[8]، مما يعطي مدلولاً أنَّ للمالِ أثراً كبيراً في تولي الرئاسة أو أو السلطة، والذي لا يملك المال لا يمكن له أنْ يتبوأ أي منصب كان، فهم في نظرتهم للدعوة الإسلامية نظرة سلطة ورئاسة، لا نظرة عقدية، –لرسولٍ من الله يوحى اليه–؛ لذا كانت معارضتهم للنبيِّ (O) نابعة من خوفهم توليه السلطة وانتزاع الرئاسة والزعامة، وليس مخاوفهم من الدين الجديد .

ومما يمكن قوله إنَّ المال لا يمكن الاستغناء عنه؛ لدخوله في مجالات الحياة كافة من أجل ديمومة واستمرار أي عمل، فهو من الضروريات التي لابد منها، ولعل ذلك يقودنا إلى تفسير ما ذهب اليه

([1]) سورة هود/ الآية 27.

([2]) سوف نولي المراد من الملأ بشيء من التفصيل في قابل بحثنا.

([3]) الطبري، جامع البيان، 592/31–594؛ الرازي، مفاتيح الغيب، 648/3؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 332/3.

([4]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 137/14.

([5]) سورة الزخرف/ الآية 31.

([6]) ابن هشام، السيرة النبوية، 361/1؛ ابن كثير، السيرة النبوية، 54/2؛ ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 326/1.

([7]) تأرجحت آراؤهم بين: عروه بن مسعود بن معتب الثقفي(ت: 9هـ/630م) زعيم الطائف، والوليد بن المغيرة (ت: 1هـ/622م)، من أثرياء مكة وزعمائها، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس (ت: 2هـ/623) من زعماء مكة، و ابن عبد ياليل الثقفي من الطائف. الصفدي، الوافي بالوفيات، 361/19؛ ابن سعيد الاندلسي، نشوة الطرب، 356؛ اليافعي، مرآة الجنان، 18/1؛ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 326/1.

([8]) الفاسي، شفاء الغرام، 121/1؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 109/7، 137/14.

المؤرخون[1] من تسمية حروب الرسول (O) مع كفار قريش ومن تبعهم، بـ:(الغزوات)، والباحث لا يتفق مع هذه التسميه؛ لأنَّها تعطي مدلولاً لا ينسجم مع شخص النبي (O) والغرض الذي بُعث من أجله، ناهيك عمّا وصفه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، مع أنَّ الباحث لم يكن بصدد بيان ما اتصف به نبي الأمة من الأخلاق الحميدة وغيرها من الصفات التي أهَّلته لحمل الرسالة الالهية، إلا أنَّ التسليم لروايات المؤرخين والأخذ بها على عِلّاتها من الجهل بمكان تسمية حروبه (O) بالغزوات، وأخرى بدافع الحصول على المال؛ لأنَّ ذلك يعني وصف النبي (O) بقاطع الطريق وحاشاه أنْ يكون كذلك، فحروبه جاءت للدفاع عن الحريم السياسي تارة، واخرى للتبشير بالدين الإسلامي وأن حصل القتال بين الطرفين إلاَّ أنَّه لم يكن الباعث الدافع له، وبعبارة أخرى لم تكن الحرب أو الحصول على المال العامل الرئيس فيها بالقدر الذي أُجبر فيها النبي الأكرم (O) أو سراياه التي بعثها للتبشير على الحرب في كثير من المواطن، وكما سنبين ذلك في قابل طيات بحثنا .

واذا ما تحدثنا عن أهمية رأس المال في الفكر الاقتصادي الحديث يمكن القول: إنَّه عدَّ رأس المال أساس التقدم وأحد عناصر الإنتاج (العمل – رأس المال– الأرض)، بَيْد أنَّ هناك من يذهب إلى حصر عناصر الإنتاج بالعمل ورأس المال فقط، ويَعّدُ الأرض جزءاً من رأس المال[3]، والاقتصاديون المعاصرون يرون أن الثروة تتألف من رأس مال طبيعي ورأس مال منتج ورأسمال بشري (غير ملموس)، لذا عرَّفوا الثروة بأنَّها: كل شيء نافع ملموس وغير ملموس مثل الأعمال البشرية (رأس المال الفكري) وعدّوه رصيداً من القيمة الصافية التي يملكها شخصٍ ما في وقت مُعيّن[4]، وعلى هذا الأساس فأنهم اختلفوا في تعريف رأس المال، فمنهم من عرّفه بأنَّه: النقود أو ما يقوم مقامها من أوراق مالية تقرض بفائدة، ومنهم من عرَّفه: الأداة الانتاجية التي لا تستخدم لأغراض الاستهلاك المباشر وإنما للإسهام في أنتاج سلع أخرى[5]، وعلى هذا فإنَّ مدار البحث يقوم على أساس القوة التي تَكْمُنْ في رأس المال، سواء أكان – رأس مال ملموس (المال: المنقول والثابت) أو غير ملموس (الفكر) وما تركه من أثر في الدولة العربية الإسلامية، وعليه

([1]) عن حروب الرسول (O) وأسمائها، ينظر: ابن اسحاق، السير والمغازي، 310–312، 321–322؛ الواقدي، المغازي، 12–1126.

([2]) سورة القلم/ الآية 4.

([3]) الصميدعي، الفكر الاقتصادي بين المدارس الوضعية والمدارس الإسلامية، 338؛ الكبيسي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي، 103–105.

([4]) الشرخات، الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي، 34.

([5]) الكبيسي، مباحث في الاقتصاد الإسلامي،120–202

سوف نعمل على إيضاح كل نوع من أنواع رأس المال مع إيراد بعض الامثلة التاريخية لإكمال الصورة عن مراد البحث.

1- **رأس المال الثابت (العقار):** وهو الأرض –أصل النماء[1]– وما على سطحها وما في جوفها من الموارد الاقتصادية، وكل ما لا يمكن نقله من مكانٍ إلى آخر دون تلفٍ أو تغيير[2]، وللأرض الأثر الكبير في الدولة العربية الإسلامية ولا سَّما الاقطاعات التي مُنحت لبعضِ الأشخاص دون الآخرين، مّما تسبب في اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي الذي سعى النبي (O) إلى إعادة بنائه بعد أنْ كان متفاوتاً في الحقبةِ الزمنيةِ التي سبقت قيام الإسلام المحمدي، إلاّ أنَّه عادَ أدراجه بعد أنْ التحق النبي (O) بالرفيق الأعلى سنة (11هـ/632م)، وعمل علي بن ابي طالب (T) على إصلاحه،[3] لذا فإنَّه منذُ أنْ بويع بالخلافة سعى جاهداً إلى إصلاح ما فسد من أمر الأمة ولا سَّما ما يرتبط منه برأس المال الثابت – أصل النماء– فجاء في خطبته: "**ألا إنَّ كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفُرِّقَ في البلدان، لرددته إلى حاله**" [4]، إذ واجه أزماتٌ كثيرةٌ حالت دون إعادة النصاب إلى أهله، وعاد الاختلال في التوازن الاقتصادي والاجتماعي أدراجه .

2- **رأس المال المنقول (المتحرك):** وهو كل ما يمكن نقله أو تحويله دون تلفٍ أو تغيير، ومنه رأس المال الصامت (النقود)، ومن رأس المال المنقول أيضاً: الآلات والأدوات والأسلحة والماشية واستقاء الماء من النهر واقتطاع الخشب من الغابة وثمار الأشجار والحبوب وكل ما تنتجه الأرض –أصل النماء– من غلّةٍ، يمثل إحدى مكونات رأس المال المنقول[5]، أو ما يتم انتاجه وتنميته من خلال تفاعل الإنسان مع الطبيعة وتسخيرها لخدمته[6].

3- **رأس المال الحاكم:** وهو من المجاز– كما قلنا سابقاً– أن رأس المال يُعدُّ أحد مصادر القوة، ويُراد به قوة الملأ من قريش التي امتلكت رأس المال المنقول والثابت(الأرض)، ما أعطاها من القوة للتحكم في مجريات الأحداث التاريخية، ولغرض بيان مَنْ هم الملأ من قريش، وكيف تكوّنَ، وما هي امكانياته؟ لابُدّ

([1]) للمزيد عن أصل النماء ينظر: خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 230–234.

([2]) للمزيد ينظر: الشرخات، الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي، 128.

([3]) للمزيد ينظر: وناس، التنمية الاقتصادية في فكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T)، 126–132.

([4]) للمزيد ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،269/1.

([5]) الصدر، الاسلام يقود الحياة، 55–56؛ االصميدعي، الفكر الاقتصادي بين المدارس الوضعية والمدارس الإسلامية، 89–92.

([6]) الصدر، اقتصادنا، 458؛ الشرخات، الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الاسلامي، 187–189.

من اعطاءِ صورةٍ واضحةٍ عنه لكي نتمكن من معرفةِ مدى القوةِ المادية والمعنوية التي يمتلكها الملأ، التي أهّلته لامتلاك السلطتين السياسية والدينية حتى اضحى رأسُ مالٍ حاكمٍ.

يرجح أحد الباحثين المُحْدَثين[1] بدايات تشكيل الملأ المكي –رأس المال الحاكم– إلى زعيم خزاعة عمرو بن لُحي الخزاعي[2] الذي عمل على جلب الأصنام من بلاد الشام وجعلها في جوف الكعبة متخذاً من العامل الديني والطابع القدسي المتفرد لمكة لتنفرد بالدور الريادي في نهضة مكة اقتصادياً (المدينة الجديد وسط الصحراء)، فيوعز بالفضل كله لخزاعة في تكوين الجذور الأولى للملأ، ولم تظهر ملامح هذه الفئة الرأسمالية إلا في زمن قُصي الذي انتزع المُلك من خزاعة وأقام إيلاف قريش، ونشأة الأسواق وأخذ اقتصاد مكة بالتنامي المستمر، ولعل الوضع السياسي للإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، وما شهدته من حالة الاقتتال والصراع فيما بينها أفسح المجال لتجّار مكة الذين كانوا في مأمن من ذلك الصراع أنْ يجوبوا البلاد متخذين دور الوساطة في التجارة الدولية[3]، ومن ثم كانت عاملاً رئيساً مهد لتكوين الملأ المكي، ونحن نتفق مع ما ذهب اليه الباحث.

وردت لفظة الملأ في القرآن الكريم تسعة عشر مرة[4]، في سورة الاعراف لوحدها وردت سبع مرات، وفي الأعم الاغلب جاءت بمواطن الذم للمخاطبين فلم ترد مادحة لهم، نورد بعض منها على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[5]، ومنها قوله جلّ وعلاّ: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[6]، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي

([1]) وناس، الفئة الاوليغاركية ، 32–36.

([2]) يقال: أنخزع القوم عن القوم، إذا انقطَعوا عنهم وفارقوهم، ولهذا قيل أنَّ خزاعة: انخزعوا عن أيام سيلِ العرم، لمَّا أن صاروا إلى الحجاز، فافترقوا بالحجاز فصار قومٌ إلى عُمان وآخرون إلى الشام، ومن بني عمرو بن لُحَيّ تفرّقت خُزاعة الأزدية القحطانية، وينسب إلى عمرو بن لُحي بأنه أول من غير دين العرب إلى الوثنية. ابن دريد، الاشتقاق، 468؛ الزركلي، الأعلام، 84/5.

([3]) كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 29.

([4]) للمزيد ينظر: سورة البقرة/ الآية 246، سورة الاعراف/الآيات 60، 66، 75، 88، 90، 109 ، 127، سورة هود/ الآية الآية 27، سورة يوسف/ الآية 43، سورة المؤمنون/ الآيتان 23، 33، سورة النمل/الآيات 29، 32، 38، سورة القصص/ الآيتان 20، 38، سورة الصافات/ الآية 8، سورة ص/ الآية 6.

([5]) سورة الاعراف/الآية 60.

([6]) سورة القصص/ الآية 20.

آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[1]، والغريب أنّ بعض المفسرين حينما تعرضوا إلى لفظة الملأ أوردوا تعاريف لا تنسجم مع سياق الآيات القرآنية التي جاءت في موطن الذم للملأ ولم تكن مادحةً لهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الراغب الاصفهاني[2]، عرّف المَلَأُ قائلاً: "**جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العيون رواء ومنظرا، والنّفوس بهاء وجلالا**"، وعرّفها العسكري[3] قال: "**الْمَلأ الاشراف الَّذين يملأون الْعُيُون جمالا والقلوب هَيْبَة**"، بَيْد أنَّ بعض اللغويين عرّفوا الملأ بتعاريف عامة مطلقة، ومنهم الفراهيدي[4]الذي، قال: "**المَلأ: جماعةٌ من النّاس يجتمعون ليتشاوروا ويتحادثوا**"، والملأ: الرؤساء، سموا بذلك؛ لأنهم مُلّاء بما يحتاج إليه[5]، ولعل أنسب تعريف للمَلأ هو ما ذكره الفراهيدي؛ لأنَّه ينسجم مع المعنى اللغوي وليس فيه انحياز، ويبدو أنَّ الراغب الاصفهاني ومن تبعه، أراد أنْ يعطي للملأ صورة جميلة لِما ذكره المؤرخون عن ملأ قريش متناسياً موقفهم السلبي من النبي الأكرم (O)، ومحاربتهم الدعوة الإسلامية بكل ما أوتوا من قوة، إذ ورد عن النبي (O) بعد عودته من واقعة بدر (2هـ/623م) أنَّه سمع أحد الصحابة من الأنصار، قال: "**مَا قَتَلْنَا إِلاَّ عَجائِزَ صُلْعاً، فَقَالَ (O) وسمّعه: أُولئك المَلأُ مِن قُرَيْشٍ**" [6]، ولعل اعتراض النبي الأكرم (O) على ذلك الأنصاري – في وصفه للملأ – يريد بيان أنَّ هؤلاء كانوا ممن تهابهم قريش وتحسب لهم الحسبان لكن بانَ ضُعفهُم وعَجزهُم عند اللقاء، كما أنَّ النبي الأكرم (O) حينما نعتهم بـ: "الملأ من قريش" يعد انسجاماً مع الخطاب القرآني الذي عادة ما يصفهم بوصف ذميم في سياق الآيات القرآنية التي أشرنا إليها آنفاً، فهم ليسوا محاربين ولكن ما يمتلكونه من العلّية والسيادة والشرف على قريش بما لديهم من رأس مال حاكم مكّنهم من توظيف قوة عسكرية لخدمتهم وحراسة أموالهم، ولغرض بيان حاكمية رأس المال القرشي بما اجتمع لديها من قوة الرأي في الملأ الذي يرتكز على قوة رأس المال (الثابت والمنقول)، لابد من معرفة ماهي تلك القوة العسكرية التي كونتها قريش واتكأت عليها في حراسة أموالها وحروبها، ومن بين تلك القوى ما أورده المؤرخون[7]، ما سميَّ بـ: (الأحابيش)، رغم أنَّ المؤرخين اختلفوا في أصلِ هؤلاء الأحابيش، إذ ذكر ابن سعد[8] أنَّ قريش بعثت الحليس بن علقمة إلى النبي (O)، فقال: " **فَبَعَثُوا الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ**"، ثم ابن سعد ينسب الأحابيش إلى العرب فقال: " **وَالْأَحَابِيشُ:**

([1]) سورة المؤمنون/ الآية 24.

([2]) المفردات في غريب القرآن، 776.

([3]) الفروق اللغوية، 280.

([4]) كتاب العين، 346/8.

([5]) ابن منظور، لسان العرب، 159/1.

([6]) ابن حبيب، المنمق، 26.

([7]) ابن حبيب، المحبر، 170؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 616؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوم، 512/2.

([8]) الطبقات الكبرى، 96/2.

الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ... وَسُمُّوا أَحَابِيشَ؛ لِأَنَّهُمْ تَحَبَّشُوا أَيْ: تَجَمَّعُوا وَهُمْ جَمِيعًا حُلَفَاءُ لِقُرَيْشٍ عَلَى بَنِي بَكْرٍ، وَيُقَالُ: تَحَالَفُوا عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ حُبْشِيٌّ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ فَسُمُّوا بِهِ الْأَحَابِيشَ"[1]، ولمّا كان ابن سعد قد نسب الأحابيش إلى الحارث بن عبد مناة من كنانة، مّما يدل على أنَّه ليس عبداً حبشياً إلاّ إذا كان قد تسيّد على الأحابيش وهو ليس منهم وهو فرض يحتاج إلى دليل .

والأحابيش عرّفهم الحلبي[2] قائلاً: "**والأحابيش الذين حالفوا قريشا، وهم: بنو المصطلق وبنو الهون الهون بن خزيمة، اجتمعوا عند حبشي، وهو جبل بأسفل مكة، وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار، وما رسا حبشي مكانه، فسموا أحابيش باسم الجبل. وقيل سموا بذلك لتحبشهم: أي تجمعهم**"، ويذهب علي[3] في تسمية الأحابيش إلى رأي مرده خضوع بعض قبائل كنانة إلى حكم الحبش عند ساحل تهامة قبل الإسلام بزمن طويل واختلاطهم معهم وتزويج بعضٍ منهم نساء حبشيات حتى ظهرت السمرة على سنحهم وشاع تسميتهم بالأحابيش، فيرى بأنَّهم ليسوا عبيد أفريقيا فحسب، بل هم خليط من عرب وحبش ومرتزقة، تحالفوا مع قريش وتعاهدوا، ويرجح بأنَّهم على دين النصرانية، ولهم من يمثلهم من السادة والقادة منهم (الحليس) من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، و(ابن الدغنة) من بني سُليم، وأنَّهم سكنوا البوادي؛ لأنَّ قريشاً حينما بعثوا الحليس إلى النبي محمد (O) وعاد غير راضٍ عن تصرفهم، قالوا له: "**اجلس، فإنما أنت رجل أعرابي، لا علم لك**"[4]، والباحث يتفق مع رأي جواد علي **ويرجح** أنَّ الأحابيش هم خليط من أقوام عربية وحبشية، من الذين خرجوا عن قبائلهم سواء للكسب عن طريق اللصوصية والغزو(رياضة الأعراب) أو طُردوا منها لخلع أو غيره، وحبشية سود تخالطوا وتزاوجوا التقت مصالحهم وأحوالهم وأخذوا بالاندماج والتكتل حتى كونوا قبيلة على غرار الحلف الذي تكونت به الكثير من القبائل العربية[5]، وأضحت قوة ضاربة فتحالفت معها قريش لحماية مصالحها التجارية؛ لأنَّ التجارة لا يمكن لها أنْ تزهر وتثمر إلَّا في محيط هادئ مستقر؛ ولأن قريش قبيلة غير

([1]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 57/5.

([2]) السيرة الحلبية، 297/2.

([3]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 32/7.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،628/2.

([5]) قبيلة قريش على سبيل المثال، إنَّ التقرش في اللغة: التجمع وإنَّما سُميتْ قريش بهذا الاسم لتجمعهم بمكة على قصي بن كلاب، ويقال: إنَّ النضر بن كنانة كان يسمى (القريش)؛ لأنّها كانت تجاراً تكتسب وتتجر وتحترش فسميت بحوت في البحر. ابن عبد البر، الأنساب، 43؛ السمعاني، الأنساب، 10399–400. وعلى هذا الاساس فإنَّ قريش حينما تجمعت بعد شتات تكون قد ضمت ممن ليسوا على نسبٍ أو دمٍ واحد، وفي اختلاط الانساب كيف يقع، ينظر: ابن خلدون، العبر، 163.

حربية، فقد سعت إلى عقد الأحلاف مع القبائل[1] ومنها الاحابيش، وعادة ما تلجأ إلى الترضية بالأموال بحسب مقتضى الحال[2]، بَيْد أنَّ المستشرق البلجيكي لامنس[3] عدَّ الأحابيش من نصارى الحبش ليس فيهم عرب، ويرى بأنهم قوة عسكرية ضاربة اعتمدت عليها قريش في دفاعها عن مكة وأسندت إليها الدور الكبير في حروبها مع النبي الأكرم (O)، إذ كانت إحدى الفرق التي اعتمدت عليها في حروبها إلاّ أنَّ دورهم انتهى واضمحل بعد فتح مكة التي اضحت تابعة للمدينة، بَيْد أن رأيه هذا يفتقر إلى الدليل القطعي في نسبتهم بالمرة إلى الأحباش، فهم خليط كما بينا ذلك آنفاً.

والشيء المهم هو: أنَّ قريش كونت رأس مال حاكم؛ لامتلاكها الأموال من جهة ومصدرية القرار من جهة أُخرى، جراء أحلافها وما نالته من الهيبةِ في نظرِ باقي القبائل بوصفهم العاملين على الحرم[4]؛ لأنَّ الكعبة كانت محجة قبل الإسلام وتُجمع فيها أصنام القبائل[5]، فضلاً عن مركز تجاري هام في وسط الصحراء، ففي الوقت الذي كانت فيه لكل قبيلة آلهةٌ فهناك إلهٌ لها في الكعبة؛ وهذا ما يفسر لنا اختيار مكة من بين سائر المدن في الجزيرة العربية لنشر الدعوة الإسلامية؛ لاحتوائها على الإله الوسطي فإنَّ ضرب الإله الوسطي يعني ضرب كل الآلهة في الجزيرة العربية، وعلى ذلك فأن رأس المال الحاكم الذي أنشأته قريش كان ذا أثر في مسار الدولة العربية الإسلامية، كما سنبين ذلك في قابل بحثنا.

إنَّ تلك الظروف وفَّرَتْ لقريش الأجواء الملائمة والآمنة؛ لأنْ تتحرك وفق قرارات تُتَخذ من لدن ما عرف بـ: (الملأ)، ومن ثمَّ فإنَّ مَنْ يحاول الخروج عن هذه القرارات فأن محاولته رُبَّما لم يكتب لها النجاح، والمكان الذي اعتادوا على الاجتماع فيه عُرف بـ:(دار الندوة) [6]، وهي دار مشورة في أمور السلم والحرب، والحرب، والمجلس الذي عَرفَ رؤساؤها كيف يحصلون على الثروة وكيف يستعيضون عن فقر أرضهم بتجارة تدرُّ عليهم بأموال وافرة وعادت اليهم أرباحًا عظيمة، وفي هذه الدار يجتمع الرؤساء وأعيان البلاد للتشاور في الأمور للبتِّ فيها، وفي هذه الدار أيضاً تجري عقود الزواج، وتعقد المعاملات، فهي دار مشورة

([1]) واط، محمد في مكة، 62-64.

([2]) للمزيد من التفاصيل عن الأحابيش ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 7/30-84.

([3]) مكة في الدراسات الإستشراقية، 31-90. ولامنس راهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، ولد في بلجيكا عام (1279هـ/1862م)، وانتقل إلى بيروت منذ صباه، له من المؤلفات ما يتصل بالسيرة النبوية، وتاريخ المسلمين، توفي عام(1356هـ/1937م). للمزيد ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، 503-505.

([4]) وناس، الفئة الاوليغاركية، 32-34.

([5]) وهي الأصنام التي جاء بها عمرو بن لُحّي الخزاعي من الشام، بعد أنْ أجلى جرهم من مكة. للمزيد ينظر: ابن الكلبي، كتاب الأصنام، 8-19؛ أرمسترونج، سيرة النبي محمد، 96-97.

([6]) ينسب المؤرخون دار الندوة إلى قصي بن كلاب الذي جعل بابها إلى الكعبة المشرفة، ثم بني عبد الدار، حتى صارت في يد حكيم بن حزام الذي باعها إلى معاوية بمائة الف درهم. ابن هشام، السيرة النبوية، 125/1؛ الثعالبي، ثمار القلوب، 588؛ سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 98.

ودار قرارٍ في آنٍ واحدٍ، ولما كان سن الأربعين هو سن النضج والكمال، أخذوا بمبدأ تحديده باعتباره الحد الأدنى لمَنْ يُسمح له بالاشتراكِ في الاجتماعاتِ وإبداءِ الرأي، إلا إذا وجدوا في رجل أصغر سنًّا جودة في الرأي، وحدة في الذكاء، فيسمح له عندئذٍ بالاشتراك وإبداء الرأي بصورة خاصة[1]، فمن القرارات التي اتُخِذَتْ فيها –على سبيل المثال لا الحصر–، أنَّ عثمان بن الحويرث[2]، ذهب إلى الغساسنة في الشام يطلب وساطتهم عند قيصر الروم لتنصيبه ملكاً أو سلطاناً على العرب[3]، ويبدو أنَّ الملأ– رأس المال الحاكم– لم يرقْ له ذلك فاتخذوا قراراً يقضي بإرسال وفد إلى الشام بوصفهم تجاراً، تمكنوا من ثني عزم ابن الحويرث، ولمّا يأس الأخير، قرّر الذهاب بنفسه للقاء القيصر الرومي وكان له ذلك، فخاطبه قائلاً: " **فإن كَتَبْتَ لي كتاباً وجعلت لي عليهم سلطاناً قسرت لك العرب حتى يكونوا على دينك، فكتب له قيصر عند ذلك وكساه وحمله على بغله مسرجة بسرجٍ من ذهبٍ**"[4]، ومضمون الرواية يفيد بأنَّ ابن الحويرث بعد حصوله على كتاب القيصر[5] بتتويجه سلطاناً على العرب عاد إلى ابن جفنه[6]، وذكرت الرواية: " **فأقبل عثمان بالكتاب حتى قدم على ابن جفنة فدفعه إليه، فقال ابن جفنة: خذ من وجدت ههنا من قومك، فأخذ رجالاً من قريش... فسجنهم**" [7]، ويبدو أنَّ ابن الحويرث لم يهنأ بما كان يطمح اليه فلم يتجاوز الشام حتى قُتِل بالسم، ذكر ابن حزم[8]: "**دسَّتْ قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني، فسمَّ عُثمان بن الحُويرث، فمات بالشأم**"، يغلب الظن أنَّ رأس المال الحاكم كانت له من القوة ما تقابل به قوة رأس المال الاقتصادي(الثابت والمنقول) من حيث التأثير في صياغة واتخاذ القرارات، ففي الحادثة التاريخية التي أوردناها نلمس بوضوح قوة رأس المال الحاكم الذي اتخذَ قراراً برفض تنصيب ابن الحُويرث مَلِكاً عليهم ومن ثم دسّوا اليه السمَّ للقضاء عليه، والطبيعة التي أنماز بها العرب بعدم خضوعهم لسلطان معين – الحرية– رُصِدَتْ من لدنِ الباحثينَ المستشرقينَ[9]، فهم يأنفونَ الخضوع أو الانقياد لسلطةٍ مركزية، ويغلب

([1]) ابن دريد، الاشتقاق، 155؛ السهيلي، الروض الأنف، 35/2؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 47/7.

([2]) هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تنصر ومات على النصرانية، كان شاعراً هجاءً لقريش، ظريفاً عاقلاً. للمزيد ينظر: المرزباني، معجم الشعراء، 253؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 332/38–337.

([3]) الزبيري، نسب قريش، 210؛ الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش واخبارها، 425.

([4]) ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 156.

([5]) جوستنيان الذي ادار السياسة البيزنطية تحت حكم جوستين (518–527م) ثم صار هو الامبراطور حتى 565م. واط، محمد في مكة، 64–65.

([6]) من امراء غسان أصحاب بادية الشام، كان مواليٌ لقياصرة الروم، واستعان به على ردّ غارات الفرس من جهة الحيرة. ابن ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 118؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 27/63؛ الزركلي، الأعلام، 99/2.

([7]) ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 156.

([8]) جمهرة أنساب العرب، 118.

([9]) لوبون، حضارة العرب، 72.

الظن أنَّ هذه الأنفةُ تُفسّر السبب الذي لم تشهد فيه مدن الحجاز إنشاء مدن وممالك متحضرة على غرار ملوك الحيرة والغساسنة واليمن، ومن ثم رفضهم الدين الجديد، فهم حينما لم يتقبلوا الدين، لعلهم كانوا ينظرون إلى أنَّ النبي محمد (O) سوف يتسلط عليهم ويجعلهم خاضعين لحكم معين، وهذا ما لم يألفوه من قبل؛ لذا فإنَّهم قابلوا الدعوة الإسلامية بكل ما أُتوا من قوةٍ رأس المال.

4- رأس المال الرمزي: يُعد رأس المال الرمزي الوجه الآخر لعلم الاجتماع (السوسيولوجيا) الذي بلور فكرته الفرنسي بورديو[1]، ويراد به: "**الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة، كالشرف والهيبة والسمعة والسيرة الحسنة التي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع**"[2]، ولعّله يمثّل الوضع أو المركز الاجتماعي، ويسمى عادة امتيازاً وسيادة، ويفترض –بيير– أنَّ الاختلافات والفروق لا توجد إلا لكون الأعضاء في المجتمع يقصدون أو يوهمون بالاعتقاد بأنّها موجودة[3]، والعلاقة بين الرمز والمجتمع الذي ينتمي اليه تُكسبه القوة في الرمزية التي تأتي من التفويض الضمني الذي تعطيه الجماعات والطبقات[4]، وهو لا يؤدي دوره ووظيفته إلا بالنسبة للأعضاء المؤهلين للاعتراف به[5] وعلى وعلى هذا الأساس فإنَّ الرأس مال الرمزي يكون من صنع المجتمع ذاته وهو الذي يضفي صفة الرمزية على شخص ما، أو مجموعة أشخاص، ومن ثم يكون ذلك الشخص قادراً على التأثير فيهم، أي أنَّه لا يمكن أنْ يشكل أي قيمة فعلية إلّا اذا كان مفهوماً ومُدْرَكاً من لدن الجماعة البشرية بمجملها فيعيش الوضع البيئي والاجتماعي والاقتصادي نفسه[6]، نخلص مّما تقدم إلى تعريف رأس المال الرمزي، بأنَّه: **القوة المعنوية الفاعلة التي يمتلكها شخص أو مجموعة من الأشخاص في حقبة زمنية معينة تؤهله أنْ يكون ذا تأثير في الوسط أو البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها.**

بعد هذا العرض الموجز لرأس المال الرمزي، بوسعنا أنْ نطالع فيما إذا كانت له مدلولات تاريخية عند العرب قبل الإسلام من عدمه، ولما كانت القبيلة هي الكيان السياسي والاجتماعي الذي ينتمي إليه الأفراد ويرتبطون به بروابط مختلفة سواء بالنَسَبِ أو بالولاء أو الاستلحاق أو الجوار، فهم قد أضفوا صفة الرمزية

([1]) بيير بورديو: عالم الاجتماع الذي ينتمي إلى أسرة فلاحية في منطقة هامشية في فرنسا ولد عام (1349–1423هـ/1930–2002م)، تمكن من بلورة أفكاره في السوسيولوجيا (علم الاجتماع) الذي غطى مناطق بحثية واسعة في مجال التربية والعمل والقرابة واللغة والاقتصاد والأدب وعلم النفس والنقد الثقافي وغير ذلك. عبد العظيم، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي، 55.

([2]) عبد العظيم، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي، 65.

([3]) بورديو، الرمز والسلطة، 69.

([4]) بورديو، العنف الرمزي، 37.

([5]) بورديو، الرمز والسلطة، 65.

([6]) أبو خضير، الرمزية في الفكر الديني، 445.

على بعض ساداتهم حتى اضحوا رأسَ مالٍ رمزيٍ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر –لإيضاح الصورة–، عمرو بن لُحي الخزاعي كان فيهم شريفاً وسيداً مطاعاً، فما جاء به فهو دين متبع لا يُعصى، فجاء بالأصنام (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا) ودعا العرب إلى عبادتها فأجابوه[1]، وبلغ كُليب بن وائل[2]، رأس المال الرمزي فبعد أنْ نُصب رئيساً على قومه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه، وإذا جلس لا يَمرُ أحدٌ بين يديه إلَّا بأذنه، ولا تورِد إبل أحد مع إبله، وكان يجير على الدهر فلا تخفر ذمته، وكان يجير الحيوان فلا يهاج ويحمي الصيد فلا يصيد أحد منه شيئاً[3] ولا يرفع أحد في حضرته صوتاً[4]، وكانت العرب تضرب به المثل في العز، فتقول: أعز من كليب بن وائل[5]، فيما يطالعنا رأس رأس المال الرمزي عند النبيّ (O) وكاريزما في جانبها الإيجابي مكنّته من التأثير في بيئة الصحراء حتى استطاع أنْ يَبني أُسّ مجتمع قادر على حمل الرسالة الإلهية[6]، ومن ثم التأسيس لدولة وفق أنظمة ومعايير اجتماعية واقتصادية وسياسية[7]، أذهلت العالم وما زالت الدراسات العربية والأجنبية[8] تبحث في في مكنوناتها، وكيف استطاع (O) أنْ ينتشل المجتمع العربي من واقعه المرّ الذي كان يعيش فيه إلى دولة أخذت بالتمدد، ولو صان خلفاؤهُ السياسيون من بعده ما ابداه لكان واقع الأُمة الإسلامية غير ما هو عليه، وإنْ قصر الحقبة الزمنية التي شهدها نبي الأُمة –ثلاثة وعشرين عاماً– يغلب الظن أنّها لم تسمح

([1]) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، 13؛ الأزرقي، أخبار مكة، 88 .

([2]) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير، من بني تغلب بن وائل، فنسبه إلى وائل، والعرب تقول: كليب وائل، توفي نحو (135ق.هـ/492م). للمزيد ينظر: ابن حبيب، مختلف القبائل ومؤتلفها، 53؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 20/1.

([3]) الضبي، أمثال العرب، 129؛ النويري، نهاية الأرب، 397/7.

([4]) ابن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد، 250/3 .

([5]) الضبي، أمثال العرب، 129؛ ابن عبد ربَّه الأندلسي، العقد الفريد، 9/3؛ ابن حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 309؛ 309؛ النويري، نهاية الأرب، 118/2.

([6]) مثل نواة المجتمع كل من: الإمام علي (Q) والمقداد بن الأسود وأبيا ذر الغفاري وسلمان المحمدي، إذ ورد في الحديث أن النبيَّ (O) قال: "**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: عَلِيٌّ، مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا: وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ**". ابن ماجه، سنن ابن ماجة، 53/1؛ الترمذي، سنن الترمذي، 79/6 .

([7]) إنَّ رأس المال الرمزي الذي امتلكه النبي (O) الذي نحن بصدده بصرف النظر عن مسألة النبوة.

([8]) تناولت الدراسات الإستشراقية شخصية النبيّ الاكرم (O) بين معتدلٍ باحث عن الحقيقة وبين متعصب ضد الاسلام، والمتعصبين منهم المستشرق البلجيكي والراهب اليسوعي لامنس (1862–1937م) أبرز مؤلفاته: مهد الإسلام– مكة عشية الهجرة– فاطمة وبنات محمد. بدوي، موسوعة المستشرقين، 503–505. ومن المستشرقين المعتدلين مونتغمري واط (1909–2006م) بيريطاني اسكتلندي وقسيساً عمل في الكنائس وهو مؤرخ وأستاذ جامعي، أبرز مؤلفاته: محمد في مكة– محمد في المدينة – محمد النبيّ ورجل الدولة. للمزيد ينظر: الشمري، النبي محمد (O) في مؤلفات مونتغمري واط، 48–51.

للأتباع أن يحققوا النضج النفسي والفكري الكافي، غير ثلة قليلة، ففي الوقت الذي كان فيه النبي (O) هو رئيس الدولة وقائد الجيش والقاضي والمربي وكافل اليتامى والمحرومين وضامن القوت، والأسوة الحسنة، يَنهى فَيُمتثلُ نهيهُ ويأمر فَيُمتثلُ أمره، ولا فعل من غير إمضائه له وإجازته، ولا صلاة من غير إمامته ، حتى تمكَّن من وضع ركائز مجتمع الإخوّة، لكن العمر لم يمتد به طويلاً ليرسخ جذور الواقع الجديد، ولعل هذا يفسر استمرارية بعض بصمات الأوضاع السابقة؛ فالأرستقراطية لم تستأصل شافتها بعد، بل ترك الرسول (O) للطلقاء ممتلكاتهم وكرّم بعض زعمائهم من المؤلفة قلوبهم[1]؛ لذا كان للبيت السفياني أثر في تشكيل النواة التي ستلعب دوراً بارزاً منذ تسنم عثمان بن عفان(23-35هـ/643-655م) إمرة المسلمين، ومن صور **رأس المال الرمزي: الصحبة أو السابقة في الإسلام**، وهذه الصورة من رأس مال الرمزي حضيَّ بها عديد من الصحابة الاوائل الذين أسلموا قبل الهجرة وتحملوا ثمن إسلامهم عزلاً وعقاباً من بيئتهم المكيّة، بَيْد أنّ الصحبة تلك تنقسم على قسمين: الصحبة الخاصة والعامة، مثلت الخاصة فيها أعلى مقاماً؛ لأنَّها تشكلت منذ بداية الدعوة الإسلامية، أمّا العامة فهي جاءت بعد الهجرة وبأعداد كبيرة وهي أقل مقاماً-عند العامة-، والصحبة الخاصة هي ذاتها رأس مال السابقة في الإسلام، وهذا الاحتجاج اتكأ عليه أبو بكر في التأسيس لمشروعية أمرة المسلمين، إذ ورد في خطبته مع الأنصار، أنَّه قال: " **فخصَّ اللَّه المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة لَهُ... وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذَلِكَ إلا ظالم**" [2]، [2]، وبهذا المعنى ورد عنه ايضاً، أنّه قال: " **أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا، أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا**"[3]، وهذه الرمزية أو المكانة الاعتبارية التي احتلتها السابقة في الإسلام التي جذر لها أبو بكر(11-13هـ/632-634م)، أجد أنَّ عمر بن الخطاب(13-23هـ/634-643م) قد وظَّفها معياراً حاكماً في توزيع الثروة داخل دولة الإسلام، فقال: " **لا أجعل من قاتل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله]وَسَلَّمَ كمن قاتل معه**"[4]، ولعل كل الدول التي قامت في تاريخ الإسلام بحثت عن جدٍّ صحابي حقيق أو مزعوم من أهل السابقة لتقيم شرعية سلطانها بالإنتساب اليه، وعلى سبيل المثال قيام

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 90/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 140/2؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 429/14.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،119/3-120.

([3]) الترمذي، السنن، 611/5؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 169.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، 433.

الدولة العباسية (132-656هـ/749-1258م)، بانتسابها إلى العباس بن عبد المطلب[1]، والدولة الفاطمية في مصر (297-567هـ/909-1171م)[2] .

5- **رأس المال الفكري (البشري):** ظهر اهتمام الباحثين والدارسين، برأس المال الفكري في العقد الأخير من القرن العشرين؛ لارتباطه بالمعرفة في زيادة رأس المال النقدي[3]، ويمثل مجموع المهارات والمعارف والخبرات التي يمتلكها شخص دون غيره في الأعم الأغلب، ويلعب دوراً كبيراً في عملية التنمية الاقتصادية[4]، ورأس المال الفكري وأنْ لم يكن متداولاً في الأزمان السابقة إلّا أن مصاديقه موجودة في التاريخ الإسلامي، والقرآن الكريم أشار في كثيرٍ من الآيات القرآنية إلى أرباب العقول أو أصحاب العقول أو أولوا الألباب[5] وهؤلاء كانوا هم المخاطبين حتى بلغ عدد الآيات القرآنية ستت عشر آية، منها قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[6]، واللَّب في اللغة: العقل، وجمعه الألباب[7]، وهم أولوا الأحلام والنُهى، أي ذوي الألباب والعقول[8]، وأصحاب العقول العقول هم من يمتلكون العقل السليم والتثبت في الأمور؛ لهذا خاطبهم القرآن الكريم غير مرة؛ لِما لهم من القدرة على استيعابه وتدبر آياته، وفي الحوادث التاريخية -على سبيل المثال لا الحصر- أن الذي نظم الرحلات التجارية لقريش هم أبناء عبد مناف الأربعة (هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل)[9]، بحق أنَّهم أولوا الألباب الذين لُقِبوا بالمجيرين؛ لأنَّهم كانوا يُجيرون قريش بميَّرهم ويجَبّرون فقيرهم، ففي الوقت الذي

([1]) ابو الفضل، العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ولد قبل عام الفيل وكان أسن من رسول الله (O) بثلاثة أعوام ، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة (32هـ/652م)، ومن نسله إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ت: 131هـ/748م) زعيم الدعوة العباسية خلفاً لأبيه. للمزيد ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، 4/5-50؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 16/360-362.

([2]) يعد عبد الله المهدي(297-322هـ/909-934م) أول خليفة فاطمي تمكن أن يفلت من قبضة العباسيين ويقيم دولة في شمال افريقيا، ويعلن الخلافة الفاطمية ثم ينتقل خلفاءه إلى مصر. للمزيد ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء، 1/13-فما بعدها؛ أو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 1/191-193؛ بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، 78-81.

([3]) سلمان، أثر رأس المال الفكري في الأداء المالي، 31-33.

([4]) الشرخات، الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الاسلامي، 234.

([5]) الطبري، جامع البيان،5/580.

([6]) سورة البقرة/ الآية 269.

([7]) الفارابي، الصحاح تاج اللغة، 1/216؛ ابن سيده، المخصص،1/251.

([8]) ابن منظور، لسان العرب، 12/146.

([9]) ابن حبيب، المحبر، 162-164؛ واط، محمد في مكة، 66.

كان فيه تجّار مكة لا تتجاوز تجارتهم رقعتهم الجغرافية[1]،أضحت تجارتهم تجوب البلدان، بفضل رأس المال الفكري الذي يمتلكه هؤلاء حتى عادوا عليهم بالربح الوفير، وما أورده أرباب السيّر من أنَّ النبي الأكرم (O) حينما أَتْجَرَ بمال خديجة(è) –بحسب الأخبار–عاد عليها بالربح الوفير، فلازمته واعتمدت عليه في تجارتها[2]، مما يشير إلى أن النبي (O) تمتع بإمكانياتٍ وقابلياتٍ ومهاراتٍ وخبراتٍ لا تتوفر عند غيره من سائر الناس– بصرف النظر عن مسألة النبوة– وهذا ينطبق على التعريف الاصطلاحي لرأس المال الفكري (البشري)، الذي يمكن تعريفه بأنَّه: **مجموع القدرات والقابليات والمهارات والامكانيات العقلية أو الفكرية التي يمتلكها شخص دون غيره تمكنه من تحقيق اهدافه التي يسعى اليها، وتتباين من شخص لأخر.**

بعد هذا العرض الموجز لأنواع رأس المال التي طالها البحث سوف نتعرض لها إبَّان فصول البحث بشيء من التفصيلِ وفقاً للحوادثِ التاريخيةِ التي تحكّمَ فيها رأس المال وكيف أثَّر على مسارِ الدولة العربية الإسلامية، فيما ينصب بحثنا على القوة التي لازمت رأس المال بكل أنواعه التي إشرنا إليها، هي قوة معنوية لا مادية، لأن رأس المال الصامت والثابت، قوته الشرائية معنوية (غير مرئية)، فالنقدين: الذهب والفضة وحتى العملات الورقية والأوراق المالية، البشر هو مَنْ أضفى عليها تلك القوة، وأضحت وسيلة ائتمان للتداول (البيع والشراء)، وإلّا في أصلها لا تعدو أنْ تكون معدن أو ورق مصنّع، أُعد لهذا الغرض واتخذت صفة العموم، وهذا ينطبق على رأس المال المعرفي والرمزي، فبعض البشر حينما يعمل على تطوير امكانياته وقابلياته العقلية، فإنَّ الوسط الاجتماعي هو من يضفي عليه تلك الرمزية، وبعبارة أخرى، فإنْ القدرات والقابليات العقلية للفرد إذا لم يعش في وسط اجتماعي فلا أثر لها، بمعنى إنَّ العملية تتم بتأثير وتأثر متبادل بين الفرد والمجتمع، ونتاج هذه القوة المعنوية لرأس المال هي مراد البحث.

ثانياً : بدايات تشكيل رأس المال في مكة.

قبل الحديث عن بدايات تنظيم رأس المال وتشكيله في مكة لابُدَّ من معرفة الحدود الطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية؛ لرسم صورة واضحة عن تلك المنطقة المترامية الأطراف، فبعض الجغرافيين العرب ذكروا الجزيرة العربية في كتبهم الجغرافية على أساس المدن والممالك والآخر على أساس الأقاليم[3]، فيكونوا بذلك بذلك قد أفصحوا عن الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الجغرافية لكل مدينة من مدن

([1]) ابن حبيب، المحبر، 162–164، المنمق، 41–46.

([2]) ابن هشام، السيرة النبوية، 187/1؛ البيهقي، دلائل النبوة، 66/2–67؛ السهيلي، الروض الأنف، 151/2.

([3]) للمزيد ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، 67/1–113؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 137/2–138؛ القرشي، مسالك الأبصار، 171/5–172.

الجزيرة العربية، فالهمداني[1]، حينما ذكر حدّها، قال: " **جنوبيها: اليمن، وشماليها: الشأم، وغربيها: شرم أيلة**[2] **وما طردته من السواحل إلى القُلزم وفسطاط مصر، وشرقيها: عُمان والبحرين وكاظمة**[3] **والبصرة، وموسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض، وتسمى جزيرة العرب**"، ومن الباحثين المحدثين[4] من بيّن أنَّها تقع في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا ، يحدُّها من ناحية الغرب البحر الأحمر ومن الشرق الخليج العربي ويحدّها من الجنوب المحيط الهندي، أمّا حدّها الشمالي والشمالي الشرقي فهو يمتد من خليج العقبة مروراً ببلاد الشام – سوريا– والعراق حتى مصب شط العرب في الخليج العربي.

شهدت ثلاث مدن رئيسية في بلاد الحجاز (مكة والطائف ويثرب) اهتماماً واضحاً لدى الدارسين؛ وذلك للدور الفاعل الذي لعبته تلك المدن في البواكير الأولى للدعوة الإسلامية، وللتمايز الواضح بينها في المقومات الأساسية لتكوين رأس المال بحسب طبيعة المناخ والأرض – أصل النماء– في مزاولة الأعمال الزراعية والصناعية والتجارية، فحينما نتحدث عن مكة نجد أنَّ القرآن الكريم وصفها بأنّها: وادٍ غيرُ ذي زرع، على لسان إبراهيم الخليل(T) قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[5]، وعلى الرغم من ذلك فهي تمكنت من ممارسة دور الوسيط في التجارة بين الشام واليمن إبَّان تجمع السلع والبضائع في أسواقها وفي الوقت ذاته اعتمدت على الطائف ويثرب في تمويلها بالمواد الغذائية الاستهلاكية، فمدينة يثرب على الرغم مّما فيها من الحياة الزراعية وبعض الصناعات البدائية إلاَّ أنَّها لم تستفد كثيراً من طريق المرور للقوافل التجارية الذي استأثر به المكيوّن وأجادوا فيه، وبقيت عرضة لقوة القبائل اليهودية التي كثيراً ما كانت تلجأ إلى اثارة العداوة والبغضاء بين قبيلتي الأوس والخزرج، أمّا الطائف التي ارتبطت بمكة ارتباطاً وثيقاً ومباشراً حتى قيل إنَّ تجار مكة الطبقة –البرجو ارستقراطية– كانت لهم ضياع وحيطان يصيّفون فيها هرباً من قساوة مناخ مكة وحرارة الصيف[6]، وهذا الارتباط القوي

([1]) صفة جزيرة العرب، 1/1.

([2]) مدينة على ساحل بحر القلزم– الأبيض المتوسط– آخر الحجاز وأول الشام، وتعدّ من أرض الشام، سكنها اليهود أصحاب السبت، وقيل سميّت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم الخليل (Q). للمزيد ينظر: اليعقوبي، البلدان، 178؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 292/1.

([3]) تقع على سيف البحر بين البحرين والبصرة، وهي مضارب بكر بن وائل، تغنت بها الشعراء. للمزيد ينظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، 169؛ البكري، المسالك والممالك، 380/1؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 422/3، 431/4.

([4]) الطائي، هشام بن محمد الكلبي وفكره عن الأحوال السياسية في شبة الجزيرة العربية،401.

([5]) سورة إبراهيم/ الآية 37.

([6]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 208/1؛ إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، 45/1.

بين الطائف ومكة يفسّر السبب الحقيقي الذي بموجبه اتخذوا قراراً حاسماً برفض الدين الجديد[1]، ليس بسبب عقدي فحسب وإنَّما العلاقة الاقتصادية المتبادلة بين تجار مكة والطائف وما نتج عنه من قوة رأس المال الحاكم والنقدي حمل أهل الطائف بعدم قبول دعوة النبي الأكرم(O).

وحينما نقول: بدايات تشكيل أو تنظيم رأس المال فإنَّنا نعني بذلك الحقبة الزمنية التي شهدت فيها مكة تنظيم رحلاتها التي وصفها القرآن الكريم برحلة الشتاءِ والصيفِ إذ قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[2]، والإيلاف[3]، وردت فيها العديد من التأويلات وتناولها الباحثون ضرباً وتنقيباً حتى أشبعوها بحثاً[4]، والذي نظم تلك الرحلات كما مر بنا هم أبناء عبد مناف الأربعة (هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل)[5]، الذين لُقِبوا بالمجيرين؛ لأنَّهم كانوا يُجيرون قريش بميَّرهم ويجَبّرون فقيرهم، ففي الوقت الذي كان فيه تجّار مكة لا تتجاوز تجارتهم رقعتهم الجغرافية[6]، إذ كانت العجم تَقْدِمُ عليهم بالتجارة فيشترون منهم ثم يتبايعونها فيما بينهم ويبيعونها إلى من حولهم من أهل القرى حتى تمكَّن هاشم –عمرو– أنْ يأخذ لهم الإيلاف من قيصر الروم[7]، وقيل بأنَّه سميَّ هاشماً؛ لهشمه الخبزَ وجَعلهُ ثريداً في جفنته فيصب عليه اللحم فيطعم الطعام للناس والحجيج في سنة شديدة نالت قريش [8]، وكان يقدمُ على قيصر الروم حتى تمكن من أخذ الإيلاف منه لتجار مكة، وأضحت قريش بتجّارها يطؤون أرض الشام يبتاعونهم الملابس والجلود من الحجاز فهي أرخص ثمناً للشاميين فيجنون من ذلك ارباحاً وفيرة، وعند رجوع هاشم في طريقه إلى مكة أخذ عهد الإيلاف من رؤساء القبائل التي مرّ بها، وصار التجّار المكيوّن آمنون على تجارتهم[9]، وذكر السيوطي[10] رواية تشير إلى خبرة هاشم لِما يمتلكه

([1]) حينما هاجر النبي الأكرم (O) إلى الطائف وعرض عليهم الدخول في الإسلام رفضوا ذلك، والأبعد منه أنهَّم أغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى الجؤوه إلى حائط (بستان). للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 420/1؛ البيهقي، دلائل النبوة، 66/1؛ السهيلي، الروض الأنف، 24/4.

([2]) سورة قريش/ الآيتين 2,1.

([3]) إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الربح، ويحمل لهم متاعًا مع متاعه، ويسوق إليهم إبلًا مع إبله؛ ليكفيهم مؤنة الأسفار، ويكفي قريشًا مؤنة الأعداء . جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 69/7.

([4]) للمزيد عن الإيلاف ينظر: الافغاني، اسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 147–161؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 67/7–71؛ طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، 56؛ كستر، مكة، 176–199.

([5]) ابن حبيب، المحبر، 162–164؛ واط، محمد في مكة، 90.

([6]) ابن حبيب، المنمق، 41–46؛

([7]) الثعالبي، ثمار القلوب، 115–116.

([8]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 201/1؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 60.

([9]) ابن حبيب، المنمق، 41–46؛ كستر، مكة، 172.

([10]) الدر المنثور، 636/8.

من رأسمال معرفي (بشري) وذلك حينما كان تُجّار قُريَّش يمارسون ظاهرة (الإحتِفاد)[1]، عندما يصاب التاجر منهم بالإفلاس ولا يستطيع الوفاء بديونه فإنَّه يخرج الى الصحراء وينصب خباء حتى يموت فيه ولا يعلم أحدٌ بخلته، فلما جاء هاشم جمع قومه وخاطبهم قائلاً: " **يا معشر قُريش إنّ الْعِزّ مَعَ الْكَثْرَة وَقد أَصْبَحْتُم أَكثر الْعَرَب أَمْوَالًا وأعزهم نَفراً وَ إِنَّ هَذَا الإحتفاد قد أَتَى على كثير مِنْكُم وَقد رَأَيْت رَأياً أَنْ أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمدُ إِلَى رجلٍ غَنِي فأضم إِلَيْهِ فَقير عِيَاله بِعَدَد عِيَاله فَيكون يوازره فِي الرحلتين رحْلَة الصَّيف إِلَى الشَّام ورحلة الشتَاء إِلَى الْيمن فَمَا كَانَ فِي مَال الْغَنِيّ من فضل عَاشَ الْفَقِير وَعِيَاله فِي ظله وَكَانَ ذَلِك قطعاً للاحتفاد قَالُوا: نعم مَا رَأَيْت فألَّف بَين النَّاس**"[2]، وعلى هذا فجديرٌ بالقول: أنَّ هاشم استطاع أنْ يجمع قريش حوله ويجبّر فقيرهم بغنيهم حتى قال الشاعر:

أيها الرجـل المحـوّل رحله ألاّ نزلـت بـآل عبد مـناف

هبلتك أمك لو نزلت برحلـهم منعوك من عدم ومن إقراف

والخالطين فقيرهـم بغنيهـم حـتى صار فقيرهم كالكاسي[3]

وعلى هذا فبفضل هاشم لما قدّمه بمعرفتهِ وحنكتهِ السياسية والاقتصادية في إنعاش تجارة المكيين، وبعد أن توفيّ هاشم خلفهُ أخاهُ المطلب إلى اليمن واخذ منهم ترخيصاً مماثلاً، ثم عبد شمس أخذ العهد أو الإيلاف من الحبشة، وأخوهم الأصغر نوفل تمكن من أخذ الإيلاف أو العهد من ملك الفرس[4]، إلاّ أنَّ بعض المصادر التاريخية تشير إلى أنَّ الفضلَ في ذلك كله يعود إلى هاشم الذي أخذ الإيلاف في الاتجاهات الاربعة، ثم جاء أخوته من بعده ليُكملوا ما ابداه أخاهم الأكبر[5]، ودليلنا في ذلك ما ذكره اليعقوبي[6]، أن قريشاً بعد وفاة هاشم جزعت وخافت أن تغلبها العرب، فقال: "**فخرج عبد شمس إلى النجاشيّ فجدّدَ بينهِ وبينهُ العهدَ**"، مما يشير الى أن هاشم هو من كان قد أخذ العهد من نجاشي الحبشة وكان سابقاً لأخوته في ذلك الفضل، ويستعرض المستشرق البريطاني كستر[7] لرواية اوردها اليعقوبي[8] من أنَّ رجلاً كلابياً شاهد هاشم وهو في الشام يذكر فيها شخصيتهِ ومهابتهِ وشرفهِ وعزةِ نفسهِ وسخائهِ،

([1]) الإحتفاد: هو السرعة في كل شيء، ومنها العمل والخدمة. الفراهيدي، كتاب العين، 185/3؛ ابن منظور، لسان العرب، 153/3؛ الزبيدي، تاج العروس، 423/4.

([2]) السيوطي، الدر المنثور، 636/8.

([3]) ابو علي القالي، الأمالي، 241/1.

([4]) كستر، مكة، 172.

([5]) الثعالبي، ثمار القلوب، 115

([6]) تاريخ اليعقوبي، 209/1.

([7]) مكة، 179.

([8]) تاريخ اليعقوبي، 208/1

وبالتبجيلِ الذي يظهره له رؤساءُ مكة إبَّان رحلته إلى الشام، فيختم الراوي الذي كان منبهراً بشخصية هاشم، قائلاً: "**هذا والله المجد لا مجد آل جفنة**"[1]، فيقف كستر عند هذه العبارة، فقال: "**انَّها عبارة جديرةٌ بالملاحظة**" ثم شكّك في الرواية فقال: "**إنَّها عبارة صيغت لتكون تمهيداً للمستقبل**"، لعله بذلك يريد ما ناله النبي الأعظم (O) من العظمة والرفعة والمهابة في اتباعه فهو حفيدٌ لهاشم، وكأنّه يريد أنْ يقول إنَّ المؤرخ يمهد لعظمة النبي (O) في قبالة هاشم جده الأعلى وما وصلت إليه الدولة الإسلامية بعد ذلك، إلّا إنَّ ما اتفق عليه المؤرخون العرب وكما أشرنا سابقاً من أنَّ قريش تدين بالفضل كلّه لهاشم الذي فتح لهم أبواب التجارة في الاتجاهات الأربعة، في الشمال مع القياصرة الروم وفي الجنوب مع اليمن والغرب مع الأحباش والشرق مع أكاسرة الفرس، هكذا طورت قريش تجارتها وزادت ثروتها ورأس مالها فهي تدين لهاشم وأبنائه بالفضل كُلّه.

(1) آل جفنة: وهو ابن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، من الازد اليمنية، ومَلك آل جفنة من غسان الشام ستمائة سنة إلى أنْ جاء الإسلام، وعدة ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً، كانوا مرتبطين بالبيزنطيين يعملون لصالحهم بالضد من الفرس واللخميين ملوك الحيرة. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 331؛ البري، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، 260؛ كحالة، معجم قبائل العرب، 884/3 .

المبحث الثَّانيّ

موارد رأس المال

اتسمت جغرافية الجزيرة العربية بطابع التصحّر والجفاف في أغلب المناطق، مع شحة الموارد المائية، إلّا أنَّ ذلك لم يقف حائلاً أمام جهود إنسان تلك المناطق التي سخّر فيها الطبيعة لخدمته وما نتج عنها من تفاعل أسهم في نشوء حضارات متعاقبة فيها، وذلك يُحسب للإنسان العربي الذي لم يقف مكتوف الأيدي أمام تلك الظروف القاسية، فعمل على توظيف ما توفرّ فيها من موارد طبيعية سواء بحفر الآبار أو بناء السدود والخزانات المائية للاستفادة منها في أيام شحته أو نقصانه[1]، ففي الوقت الذي كانت فيه بعض المناطق –على سبيل المثال لا الحصر– هجر والبحرين واليمن والطائف ويثرب، تميّزت بوفرة الأراضي الزراعية فيها، فعملت على استغلال الموارد بتطوير الزراعة فنتج عنه نشاط اقتصادي متطور بحسب طبيعة المنطقة، وهنالك مناطق أخرى انمازت بشحتها، ولاسيّما مكة، فهي اعتمدت بشكل كبير على التجارة وما تنتجه المدن الاخرى من المحاصيل الزراعية، هذا التطور الناتج عن تفاعل الانسان مع البيئة التي يقطن فيها[2]، أهلته لأنْ يحتل مركز الصدارة سواء لِما منحته الطبيعة الجغرافية من مرور القوافل التجارية البرية والبحرية فيها التي تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب[3]؛ جعلها عرضة للكثير من الغزوات، لما لها من اهمية في التحكم بطرق التجارة من جهة، ووفرة الاراضي الخصبة في بعض مناطقه من جهة أخرى[4]، فحينما نتحدث عن اليمن (العربية الجنوبية) فإنَّ المطامع الأجنبية لم تنفك من التفكير في غزوها؛ ولهذا فإنَّ أكبر امبراطوريتين كانتا متصارعتين على مناطق النفود آنذاك هما الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، حتى تحرك الأحباش بدوافع بيزنطية لاحتلال اليمن سنة 525م[5]، ثم أعقبها اندفاع سيف بن ذي يزن[6] بدعم الساسانيين له من استرجاعها سنة 571م[7]، وهذا الصراع يُفسِّر مدى حرص هاتين الامبراطوريتين بالاستحواذ على مناطق النفوذ لتوظيف طريق التجارة والموارد الاقتصادية في تلك

([1]) العمرات، النشاط التجاري لمدن الحجاز في صدر الإسلام، 5–9.

([2]) خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 25–30.

([3]) كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 260–278؛ واط، محمد في مكة، 51–52؛ درمنغم، الشخصية المحمدية، 35.

([4]) بيغولفسكايا، العرب على حدود بيزنطة وايران، 302.

([5]) واط، محمد في مكة، 65؛ أرمسترونج، سيرة النبي محمد، 86.

([6]) الحميري من سلالة ملوك اليمن، وكانت الحبشة وهم نصارى تغلبوا على أهل اليمن وحكموا بها أكثر من سبعين عاماً في القرن السادس الميلادي، فهزمهم سيف بن ذي يزن هذا بنصرة الفرس الساسانيين وأخرجهم من اليمن وتم ذلك قبل بعثة النبي(O). للمزيد ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، 531؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة، 3/ 249

([7]) ابن حبيب، المنمق، 427؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، 57/1؛ واط، محمد النبي ورجل الدولة، 17، 86–87.

المناطق لصالحها، الأمر الذي أدى إلى تدمير الكثير من مناطق العمران[1]، وأشار الطبري[2] الى مسألة لا يمكن تجاهلها فهو حينما ذكر احتلال الحبشة لليمن، قال: "**.قَتَلَ ثُلث رجالها وأخربَ ثلث بلادها وبعثَ إلى النجاشي ثلث سباياها**"، وهذا النص يعطي دلالة واضحة على إنّ الاحتلال يعمل على تدمير اقتصاد البلد المحتل، ولعل ذلك يفسِّر التخريب الذي طال مدن العربية الجنوبية وتعطيل جهود ذلك الإنسان الذي سعى في سبيل رقي الحضارة ومن ثم تدمير القنوات المائية والسدود التي اشتهرت فيها اليمن، ولقلة المياه في بلاد العرب انحصرت الزراعة في الأماكن التي حبتها الطبيعة بمواسم تساقط الأمطار، وفي الأماكن التي ظهرت فيها عيون وينابيع، مثل وادي القرى[3] في الحجاز والإحساء[4] على الخليج العربي وفي الأودية والأماكن التي تكثر فيها المياه الجوفية؛ إذ استخرجت المياه منها بحفر الآبار والزراعة في هذه الأماكن –باستثناء العربية الجنوبية– وتشاهد آثار السدود للاستفادة من مياه الأمطار[5].

أما مكة فإنَّها كانت في مأمن من غزوات الامبراطوريتين (الساسانية والبيزنطية) المتنازعتين على مناطق النفوذ، فهي وإنَّ تعرضت إلى محاولات لعلها بائت بالفشل لاسيما تلك التي قادها ابرهة الحبشي، وأشار ابن حبيب[6] إلى سبب الحملة، فقال: "**إنَّ نفراً من كنانة خرجوا قبل اليمن، فلما دخلوا صنعاء إذا هم ببيت قد بني كبنيان الكعبة بناه أبرهة الأشرم الحبشي وسماه قُلّيَسْ، فدخل أولئك النفر ذلك البيت فتغوّط بعضهم فيه فارتحلوا فانطلقوا، فوجد ذلك الأثر فغضب أبرهة وقال: من فعل هذا؟ قالوا له: نفر من أهل بيت العرب، فحلف بدينه أنْ لا يتركهم حتى يخرّب بلدهم ويهدم بيتهم**" ، وحينما يسترسل ابن حبيب في ذكر قصة الفيل وكيفية دخول الجيش إلى الحجاز يورد عبارة غاية في الأهمية يصف فيها رسول

([1]) كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 29.

([2]) تاريخ الرسل والملوك، 125/2. ويتفق المستشرق الفرنسي إميل درمنغم مع ما رواه الطبري، من قيام نائب النجاشي بأعمال القتل والسبي والتخريب لبلاد اليمن. الشخصية المحمدية، 32.

([3]) وادي بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة، والوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وبها سمي وادي القرى، قيل إنَّها منازل عاد وثمود قديماً، ثم نزلتها اليهود والعرب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 338/4؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 1417/3؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 4/ 161.

([4]) الاحساء: وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، والحسي: للرمل المتراكم، أسفله جبل صلّد، وحسا مدينة في الصحراء الصحراء محاطة بأربعة أسوار متعاقبة من اللَّبن محكمة البناء، وبها عيون ماء كثيرة، والبصرة أقرب المدن الإسلامية اليها، وهناك إحساء البحرين وإحساء القطيف وغيرها. ناصر خسرو، سفر نامة، 142؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 111/1 .

([5]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 162/1.

([6]) المنمق،70.

الحبشي حينما بعثه الى مكة يتقصى خبرها –بعد أن دخل الطائف واسترضاه مسعود الثقفي[1] بهدايا– في وقت خرجت قريش منها خائفة ولم يبق فيها إلا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف(ت: نحو 45 ق. هـ) وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم (ت: ق. هـ) جد النبي (O) لأمه، فقال رسول الحبشي: "**وجدت بها الناس كلهم ولم أجد أحداً**" [2]، هو تعبير جدير بالأهمية عن مكانة عبد المطلب والمهابة التي يمتلكها حتى وصفه بالناس كلهم.

ويتفق ابن الجوزي[3] مع ابن حبيب في السبب الذي من أجله قرر النجاشي هدم الكعبة المشرفة: من أنَّ رجلاً من العرب أَحْدَثَ في القُلّيَسْ –الكنيسة–، بعد أنْ سمع من عزم النجاشي على صرف العرب عن البيت الحرام إلى الكنيسة التي ابتناها لتكون بديلاً عن الكعبة المشرفة، بَيْد أنَّ المقدسي[4]، ذكر سبب اخر لغزو مكة غير ما ذكره ابن حبيب، فهو حينما روى قصة بناء القُلّيَسْ، قال: " **فجاء رجل من النُسّاك وقَعَد في كنيسه، فغضب لذلك أبرهة وهمَّ بغزو قريش وأوقدوا نارا لطعامهم فلمّا ارتحلوا عصفت الريح واشعلت النار وأحرقت القُلّيَسْ فعند ذلك خرج [ابرهة]الأشرم بالفيل إلى مكة يهدم البيت**"، وحينما ذكر المؤرخون[5] السبب الذي من أجله أُعدت الحملة لغزو مكة وهدم البيت الحرام، لعله يمثل السبب المباشر للحملة، ولا سيّما وأنهم لم يتفقوا على سبب واحد بل أن اختلافهم هذا يدعوا إلى القول: بأن إحراق القُلّيَسْ أو إحداث التغوط من لدن أحد العرب لم يكن هو السبب الوحيد بل لعله لم يكن العامل الرئيسي فيها وإنَّما يمكن عده من محاولات بيزنطة فرض سيطرتها ونفوذها بل ومعتقدها – الديانة المسيحية– على تلك المناطق التي كانت في مأمن من الصراع الدائر بين الامبراطوريتين، إذا ما علمنا أنَّ المؤرخين أشاروا إلى ديانة ابرهة الحبشي والنجاشي وبناء القليس وربط سبب الحملة بتدنيسها يمكن عده أحد أسباب التبشير بالديانة المسيحية من جهة، وفرض سيطرتها على طريق التجارة المار عبر الحجاز بعد رواج التجارة والأسواق التجارية[6] في مكة والتي شكلت مورداَ اقتصادياً مهماً، مثلتْ حلقة الوصل بين المشرق والمغرب من جهة

([1]) هو مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، كبير قومه ومتقدمهم، ومسعود هو القائل لولده في أمواله وخاف أنْ تبتاع قريش منهم ما ورثوا منه: "**وابنا يسيعة لا أخشى ضياعهما...على موالي من سود وحمران**"، وابنه عروة الذي لحق بالنبي (O) بعد عودته من الطائف فأسلم وطلب من النبي (O) أنْ يعود إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه. أبو عبيد، معجم الشعراء، 375؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 360/19.

([2]) المنمق،74–75.

([3]) المنتظم، 122/2.

([4]) البدء والتاريخ. 186/3.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 130/2؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 186/3؛ ابن الجوزي، المنتظم، 122/2.

([6]) بلغ عدد الأسواق قرابة إحدى وعشرين سوقاً، يقسمها الأفغاني إلى ثلاثة أقسام: الأولى منها تدار من لدن الأجانب تتضائل فيها الصبغة العربية كسوق الحيرة وهجر البحرين وعمان وغيرها التي تخضع للسيطرة الفارسية، وبصرى

أخرى؛ ويغلب الظن أنَّ السبب الرئيسي لحملة ابرهة الحبشي لم يكن بدافع عقدي، بقدر ما جاءت بدافع اقتصادي[1] يكمنُ في جني أكبر قدر من رأس المال وتوسعة مناطق نفوذهِ في الجزيرة العربية؛ ولإزاحة العَقبَة التي كانت تقف حائلاً بين اتصال الأحباش في اليمن بحلفائها البيزنطيين في الشمال، وهذا ما يدعو إلى القول: بأنَّ بيزنطة كانت تقف وراء هذا المخطط لجعل كامل المنطقة تحت النفوذ البيزنطي، وهو بطبيعة الحال يمثل الأثر الكبير لرأس المال والسعي الدؤوب لاقتنائه بوصفه أهم مصدر من مصادر القوة لأي دولة؛ لأنَّ الأسباب التي أوردها المؤرخون في غزو مكة لعها غير كافية لتبرير حملة ابرهة الحبشي، وعلى هذا الأساس نخلص إلى نتيجة يغلب الظن فيها: بأنَّ غزو مكة المكرمة والتركيز على هدم الكعبة المشرفة كان بدافع رأس المال؛ لِما نالته –الكعبة المشرفة– من الحظوة والشرف والشهرة عند العرب، قال تعالى: ﴿وَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، فضلاً عن شهرة أسواقها، ولاسيّما في مواسم الحج التي تعد محفلاً تجاري جنى منه التجار العرب أموالاً كثيرة، دفعت بالنجاشي ومن ورائه لفرض سيطرته عليها.

بَيْد إنَّ المكيين عملوا على استيراد أنواع من الطيوب والتوابل والبضائع الأخرى من بلاد الهند **كالقمقم:** وهو ثمر لشجرة تنبت في الهند، والقرفة وقصب الطيب والسّمار الحلو والنارين وغيرها، وهي واردات هندية، كان تجّار مكة يبتاعونها منهم[3]، وكان من عادة النعمان بن المنذر[4] ملك الحيرة يرسل كل عام إلى سوق عكاظ لطيمة وهي: الجِمال تحمل المِسكُ والطيْبُ، بجوار رجل شريف من أشراف العرب، يحميها له حتى تصل إلى السوق، فتباع فيها ويشترى له بثمنها أدم من أدم الطائف[5]، وكان من سببها

وأذرعات وغزة وأيلة وغيرها مما يدار بالإدارة الرومانية، والقسم الثاني: أسواق أوجدها العرب وتدار من قبلهم أشهرها سوق عكاظ، والقسم الثالث: أسواق ذات صبغة مختلطة؛ نظراً لموقعها الجغرافي، وهي التي تكون على البحر كعدن وصحار ودبى، وفي هذه يجتمع تجّار الحبشة والهند والصين وفارس. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 212–213؛ خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، هامش 55. في حين يعدها اليعقوبي عشرة اسواق. تاريخ اليعقوبي، 230/1–231.

([1]) أرمسترونج، سيرة النبي محمد، 105.

([2]) سورة القصص/ من الآية 57.

([3]) كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 127.

([4]) أبو قابوس اللخمي من أشهر ملوك الحيرة، كان أبرش أحمر الشعر قصيراً دميماً، وكانت فحول الشعراء تفد اليه وتتادمه، نقم عليه كسرى أبرويز بعد أنْ كان تابعاً له، قيل إنَّه نفاه إلى خانقين ومات في منفاه، وقيل ألقاه تحت أقدام الفيلة وطئته فهلك، ثم جرت واقعة ذي قار وكان ذلك قبيل الإسلام المحمدي. للمزيد ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 154/1؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 162/1– 164؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 3–15–20؛ الزركلي، الأعلام، 43/8.

([5]) للمزيد ينظر: ابن حبيب، المحبر،195؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 527/1–533.

حرب الفجار الرابعة[1]، ويعزو المستشرق واط[2] السبب الذي من أجله دارت حروب الفجار والتي كان المكيون طرفاً فيها، إلى: "**أنَّه محاولة متعمدة لوقف التجّار اليمنيين الذين كانوا يقدمون إلى مكة ليشاركوا التجارة مع الطرف المكي...بحيث يكون تنظيم القوافل كلياً في أيدي المكيين**".

إنْ تعدد موارد رأس المال في الجزيرة العربية، يستلزم بيان أهم تلك الموارد؛ لغرض الوقوف على الأثر الذي أحدثه رأس المال– بجميع أنواعه – وما هي النتائج التي تمخضت عنه، ولاسيما مكة المكرمة التي مثلت محور مدن الجزيرة فهي أم القرى كما وصفها القرآن الكريم : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3] وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم أهم موارد رأس المال إلى:

اولاً: التجارة.

تعد التجارة أهم موارد رأس المال في مكة وبعض المناطق، وكما ذكرنا أنَّ الموقع المركزي الذي احتله بالنسبة إلى العالم القديم ومرور طرق التجارة الدولية فيها وايجاد محطات تَكمنُ في انشاء الأسواق الدائمة والموسمية فيها ولكون الحرم المكي محجة ومحل تقديس واحترام وهيبة في نفوس العرب، قد اكسبها اهمية في المجال الاقتصادي، إذ كانت القوافل التجارية من حيث مرورها في مكة تؤدي المعاملات التجارية في الاسواق القريبة ثم تدخل لإداء مناسكها في الحرم وبالطريقة التي اعتادوا عليها[4]، ولنا في ذلك أنْ نشير إلى أهم مصدرين من مصادر التجارة التي كانت رائجة إبَّان الحقبة الزمنية التي سبقت مجيئ الإسلام وهما تجارة الرقيق والخمور.

([1]) الحرب التي حدثت بين قبيلة قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة من بني قيس عيلان، أجار لطيمة النعمان؛ فقال له البراض بن قيس من بني كنانة: "**أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلق؛ فخرج عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته؛ حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام؛ فلذلك سمي الفجار**" . للمزيد ينظر: ابن حبيب، المنمق، 166–185؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، 179؛ الفاسي، شفاء الغرام، 3/110–111.

([2]) محمد النبيّ ورجل الدولة، 22.

([3]) سورة الشورى/ من الآية 7.

([4]) للمزيد عن طرق التجارة، ينظر: كاهن، الإسلام منذ نشأته حتى ظهور السلطنة العثمانية، 260–278؛ كستر، مكة، 176–177؛ الافغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 352–358 .

1- **تجارة الرقيق:** حينما نتصفح تاريخ العرب ولاسيّما تاريخ مكة نلحظ بوضوح رواج تجارة الرقيق على نطاق واسع[1] بل إنَّ القرآن الكريم الذي يُعدُّ أصدق المصادر وردت فيه كثيرٌ من الآيات القرآنية التي تشير إلى الرقيق منها –على سبيل المثال لا الحصر– قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2]، والنبي الأكرم(O) في رسالتهِ السماويةِ عمل جاهداً للقضاء على الفوارق الطبقية إيَّان تأسيسه لفكرة بناء المجتمع (مجتمع الأخوة) قبل بناء الدولة، فهو حينما بدأ بطرح رسالته السماوية انطلق من القاعدة الأساسية، فأول ما بدأ في بناء المجتمع الذي يكون قادراً على حمل الرسالة الإلهية فإنَّه بدأ بعلي بن أبي طالب (T) وعلى هذا الأساس فأن مسألة الإمام علي (T) أول من أسلم ليست الغاية منها أنَّه الأول فحسب؛ إنَّما النبي (O) حينما بلّغ بالرسالة الإلهية وجد في الإمام عليٌ (T) القدرة والقابلية والصفات والشروط التي ينطلق منها للتأسيس؛ لتكون انطلاقته مبنية على أُسٍ رصين، يمكن عن طريقه تأمين مستقبل رسالته الإنسانية التي أراد منها لبناء المجتمع اولاً ومن ثم التأسيس لدولته التي تعم أرجاء المعمورة ثانياً ؛ لذا فأنه بدأ بعلي (T) ثم زوجته ثم الآخرين من بعدهم، وعلى هذا الأساس فحينما نقول: أنَّ عليٌ (T) كان أول من أسلم لا تكمن الفضيلة في الأسبقية إلى تقبّل الدين، بقدر ما تمثل أسبقيته في المعرفة والقدر والقابلية على فهم واستيعاب الدين –رأسمالٍ معرفي– ومن ثم حملها وتسويقها للمجتمع الغارق في العادات والأعراف القبلية؛ ولبدءِ عملية التصحيح في المسار، لكن مجرد انتقال النبي (O) إلى الرفيق الأعلى نلحظ الانحراف الذي دبَّ في المسار الذي اختطه (O) للأمةِ، وإلى هذا أشار المستشرق كاهن[3] قائلاً: " **لم ينجح الأمر إلّا إلى وقت قصير بعد وفاة النبي [O] لينهار كل ما بناه**"، والقرآن الكريم حذّر المسلمين من ذلك، إذ قال تعالى في محكم كتابه الكريم:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[4]، جاءت الآية القرآنية لتحذر المسلمين انقلابهم على أعقابهم في حال وفاة النبي الأكرم (O) أو قتله، وعليهم

([1]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 164/12؛ برو، تاريخ العرب القديم، 224.

([2]) سورة النساء/ الآية 92؛ وللمزيد ينظر: سورة المائدة/ الآية 89؛ سورة المجادلة/ الآية3؛ سورة البلد/ الآية13.

([3]) الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 41.

([4]) سورة آل عمران/ الآية 144.

أنْ يتمسكوا بدينهم لِما حصل منهم من الريب والشكِّ[1] ومن هنا نجده (O) يصرح بالقول: **"يا علي ما عرف الله حقَّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري"**[2]،ومنها قوله (O): **"يَا عَلِيُّ، إِنَّهُ مَنْ فَارَقَنِي فَقَدْ فَارَقَ اللَّهَ، وَمَنْ فَارَقَكَ فَقَدْ فَارَقَنِي"**[3]، والأحاديث بهذا الصدد مستفيضة، وردت عند المؤتَلِف والمختَلِف لا سبيل إلى انكارها[4]، ولاسيّما التي تُصرح بمعرفة الإمام علي (T) بالرسالة الإلهية[5]، والتي تبين أسباب اختيار النبي (O) له لإكمال ما جاء به ولإحداث التصحيح في المجتمع، والقضاء على الفوارق الطبقية التي تعد إحدى المشاكل التي يعاني منها المجتمع آنذاك، ومنها فكرة اقتناء الرقيق[6]، الذين أزدادت اعدادهم فيما بعد في الدولة الإسلامية[7].

تعد تجارة الرقيق واحدة من أهم موارد رأس المال في مكة، وتشكل هذه الفئة – طبقة الرقيق– أيدي عاملة على مستوى كبير سواء في الزراعة أو التجارة أو الصناعة حتى امتلكت منهم الطبقة البرجو– ارستقراطية أعداداً كبيرة[8]، على الرغم أنَّ أحد الباحثين المُحْدَثين[9]، يعد تلك الطبقة قطاعاً هامشياً، ويعزو ذلك إلى سببين رئيسين، الأول: طبيعة مصادر العبودية في المجتمع العربي، والثاني: ايديولوجية المجتمع السائد وموقفها من العمل الانتاجي، ولغرض بيان أهمية تجارة الرقيق بوصفها إحدى موارد رأس المال لابُدَّ من معرفة مصادرها.

تعد الحروب والغزو أحدى مصادر الرقيق، ولعل الحروب المستمرة بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية شكلت أهم مصادر الرقيق، ناهيك عن الحروب والغزوات بين العرب انفسهم[10]، فالمنتصر في الحرب يأخذ من يقع في قبضته من الاسرى ويعدهم ملكاً خالصاً له، وهذا يعني أن الحُر ممكن أن يكون

([1]) الطبري، جامع البيان، 251/7–259.

([2]) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، 60/3.

([3]) ابن حنبل، فضائل الصحابة، 570/2.

([4]) ابن أبي عاصم الشيباني، السنة، 599/2؛ النسائي، السنن الكبرى، 425/7؛ ابو يعلي، مسند ابي يعلي، 391/1–398.

([5]) للمزيد ينظر: محب الدين الطبري، ذخائر العُقبى، 58–108.

([6]) ذُكر أن لتميم بن آوس بن خارجة الداري (ت: 40هـ/660م) عديد من الغلمان– الرقيق– يتجرون له بالخمر فلما رآهم رسول الله (O) قال له: " **بعني غلمانك لأعتقهم**". ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، 32/3؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 151/14.

([7]) للمزيد ينظر: وناس، دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، 45–52.

([8]) الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 146؛ وناس، دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، 45–52.

([9]) خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 90.

([10]) كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 202.

رقيقاً ولكنه بالإمكان أن يسترد حريته بحرب مقابلة تشنها قبائلهم فيتم استعادتهم وفكّهم من الأسرِ، أو أنَّ يستعيدوها بدفع الفدية أو أن يتكرم أحد عليهم بالعتقِ[1].

شكلت تجارة الرقيق نشاطاً تجارياً مهماً، يكسب صاحبها ربحاً وفيراً، وكان المُتاجر بالرقيق يشتري تجارته من الأسواق الخارجية – النخّاسة– ثم يأتي بسلعته إلى أسواق جزيرة العرب لبيعها في الأسواق الموسمية والدائمة[2]، وأسواق العراق وبلاد الشام من أهم الأسواق التي موَّنتْ جزيرة العرب بالرقيق الأبيض، أما السواحل الإفريقية، فقد مونتها بالرقيق الأسود[3]، وهو أرخص ثمنًا من الرقيق الأبيض[4].

ولعل الأحابيش الذين اعتمد عليهم أثرياء مكة في مختلف الأعمال ولخدمتهم في سلمهم وحربهم، شكلوا مصدراً مهماً من مصادر رأس المال، وقد كان الرقيق ضرورة لازمة لاقتصاد مكة ولنظامها الاجتماعي إبان تلك الحقبة، فقد كان يقوم مقام الآلة في خدمة التاجر وصاحب العمل، كما كان سلاحًا يستخدم للدفاع عن سيده في أوقات الحرب، وشَّكل الرقيق نسيجاً اجتماعياً نتج عن التصاهر حتى ذكر ابن حبيب[5] كثيراً كثيراً من العرب الذين ينسبون إلى أُمهات حبشيات، ولمّا كان الرقيق مُلكاً للمالك، صار من حق المالك بيعه أو إهدائه، أو عتقه، كما كان له حق الاستمتاع بالإماء وإكراههُنَّ على البغاء للإتيان بالمال أو لإنجاب الأولاد، ولم يكن للرقيق أنْ يملكوا شيئًا؛ لأنَّهم وما يملكونه ملكٌ للمالكِ، ولم يكن لهم حق التوريث إذ لا مال لهم؛ فإرثهم لأسيادهم[6]، ولمّا جاء الإسلام وحرّم عليهم ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[7]، فأن ذلك يشكل أحد أسباب معارضة الرسول (O) في دعوته؛ لأنَّهم كانوا يكسبون المال الوفير جراء استخدام الجواري في البغاء، أو الاتجار بهُنَّ، وعلى هذا الأساس نؤكد ما أشرنا إليه سابقاً في إمكانية عدَّ الرقيق أحد مصادر رأس المال في الجزيرة العربية سواء من الاتجار به أو استخدامه في الأعمال الزراعية والصناعية أو البغاء، ومن ثمَّ كان له الأثر الكبير في مقاومة الدعوة الإسلامية عن طريق توظيفهم في الحرب أو عقد الأحلاف معهم.

2-تجارة الخمور.

([1]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 153/14.

([2]) الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 278.

([3]) كاهن، الإسلام منذ نشأته حتى ظهور السلطنة العثمانية، 202.

([4]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 144/14.

([5]) المحبر، 306-309.

([6]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 242-243.

([7]) سورة النور، من الآية 33.

عرف العرب الخمر وتعاطوه، وكانوا يضعون خمرهم في زِقٍّ[1]، يحملونه معهم في حلّهم وترّحالهم، فأينما يكونوا فإنَّ خمرهم معهم حتى صار من مقتنياتهم وتغنوا به في أشعارهم، كما يظهر ذلك من روايات أهل الأخبار[2]، أمَّا في المدن والقرى والحواضر فهناك خمارات[3]، جمعتْ إلى الخمر وسائل المُتع الأُخرى، يقصدها أهل المكان والغرباء للاستمتاع والترفيه عن خاطرهم كم يعتقدون، وقد هيأت بعض الخمارات المغنين فيها وجلبوا إلى حاناتهم أنواع الخمور، وانتشرت هذه الظاهرة في كل مكان، ولاسيّما على الطرق، حيث ينزل المسافرون بها للاستراحة واستعادة النشاط بعد تعب ومشاق، وكان بمكة وبسائر القرى خمارات كذلك وأصحابها نصارى ويهود في الغالب ومعظمهم من غير العرب، وفدوا من الخارج للتكسب والعيش فامتهنوا مهنة بيع الخمر وإسقائها للناس، وقد عرفت "الخمارة" بالحانوت، ذكر علماء اللغة[4]، أنَّ الحانوت دكان الخمير، وقد أشير إلى الحانوت في الشعر وكانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت[5]، وأهل العراق يسمونها المواخير[6] .

كان العرب يصنعون الخمر من أي شيء يقع في أيديهم مما يمكن تخميره للحصول على مادة مسكرة منه مثل الحبوب والأعشاب وغير ذلك، بل كان منهم من يخمر اللبن، ولا سيّما ألبان الإبل، للانتشاء بها، أي النشوة: السُكر[7]، وكان أهل يثرب يسقون ضيوفهم شرابًا من الفضيخ[8]، واستخرج أهل اليمن من الشعير شرابًا عرف عندهم باسم: المزر وهو نبيذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب، وقيل: نبيذ الذرة خاصة،

([1]) الزِّقُّ: وعاء للشراب، وهو الجلد يجز شعره ولا يُنْتَف نَتْفَ الأديم. الفراهيدي، كتاب العين، 13/5 .

([2]) ابن حبيب، المحبر، 270–271 ؛ المنمق، 49؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 485/1؛ ابن سعيد الاندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، 316، 591، 611، 615.

([3]) وهي الحوانيت: جمع حانوت، أي بيت الخمّار، ومنها قول الشاعر:

فإنْ تَبْغِنِي فِي حَلقَةِ القَوْمِ تلقَنِي وَإنْ تَقْتَنصني في الْحَوانيت تصْطَدِ . الزوزني، شرح المعلقات السبع، 104 .

([4]) الفراهيدي، كتاب العين، 8/6؛ ابن سيده، المخصص، 202/3؛ ابن منظور، لسان العرب، 26/2.

([5]) للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 224–225؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأُدباء، 811–818؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 255/8.

([6]) الماخُورُ: مجلس الريبة ومجتمع لأهل الفسق والفساد، وربما قيل للرجل: ماخُورٌ، ولمّا وليَّ زياد البصرة، قال: ما هذه المواخير. الفراهيدي، كتاب العين، 262/4؛ الزمخشري، أساس البلاغة، 198/2؛ ابن الجوزي، غريب الحديث، 347/2؛ الزبيدي، تاج العروس، 92/14 .

([7]) الزبيدي، تاج العروس، 84/40.

([8]) الفَضِيخُ: هُوَ الْبُسْر، والبُسْر: الغَرْبِيّ وهو نوعٌ من التّمْرِ، يشذخ ويفضخ ويلقى علَيهِ الماء لتسرع شدته، وقيل يفضخ التَّمْرِ، ولا يزال شاربه متماسكا، ما لم تصبه الريح، فإذا برز إلى الهواء، وأصابته الريح، ذهب عقله. ابن سيده، المحكم، 512/5، المخصص، 192/3؛ ابن منظور، لسان العرب، 647/1؛ السبتي، مشارق الأنوار، 160/2 .

والبِتْع: نَبيذ الْعَسَل والجِعَة: نَبيذُ الشَّعير والمِزْر من الذُّرَة، والسَّكَرُ من التَّمْر، والخَمْرُ من الْعِنَب[1]، واشتهر في العراق نوع من الخمور عرف بـ: الخمور الصريفية، نُسبت إلى قرية صريفون[2] عند عكبراء في العراق، وإياها عنى الأعشى بقوله:

وتجبى إليه السيلحون ودونها صريفون في أنهاراً والخورنق[3]

وبلاد الشام أكثر شهرة من العراق في الأعناب، وهي مادة صالحة لصنع أنوع متعددة من الخمور، وقد استغل العرب التمور أيضًا لاستخراج الخمور منها، وذلك في الأماكن التي يكثر فيها النخيل، وتقل أشجار الكروم، ولاتصال الحجاز ببلاد الشام بالقوافل الكبيرة، كانت الخمور من أهم السلع التي تستوردها القوافل من تلك البلاد[4].

اعتادت العرب استجادة الخمر والافتتان بشربها، حتى شاع ذلك بين الرجال والنساء؛ ويُذكر أنَّ امرأة أرسلها زوجها إلى عُكاظ بسمْنٍ ومعها راحلتان، فَشربت الخمر بثمن السمْنِ فاستطابتها ثم باعت راحلتيَّها، فشربت بثمنهما، ثم رَهَنتْ ابن الرجل وشربتْ أيضا[5]، ومن الطريف ما اورده القالي[6]، من أنَّ أعرابياً اشترى خمراً بجزة صوفٍ فغضبت عليه زوجته، فأنشد شعراً قال فيه:

غضبت عَلَيَّ أن شربت بصوفٍ ولئن غضبت لأشربن بخروف

ولئن غضبت لأشـــربن بنعجة دهساء[7] مالئة الإناء ســحوف[8]

ولئن غضبت لأشربن بســابحٍ[1] نهـــدٍ أشـم المنكـبين منيـف

([1]) الزبيدي، تاج العروس، 118/14.

([2]) قرية في سواد العراق على موضعين: إحداهما قرية كبيرة غنّاء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دجيل إذا أذّن بها سمعوه في أوانا وعكبراء، وبينهما وبين مسكن، ينسب اليها جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم: سعيد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الصريفيني. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 403/3.

([3]) ابن الجواليقي، شرح أدب الكاتب، 224.

([4]) الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، 199؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 346/16.

([5]) الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، 199.

([6]) الأمالي، 150.

([7]) دهساء: كاصَدْآء، وهي الرمال إلَّا إنَّها أقل حُمرة منها، الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 931/3؛ الزبيدي، تاج العروس، 98/16.

([8]) السَّحْف: كَشْطُ الشعر عن الجلد حتى لا يبقى منه شيء. الفراهيدي، كتاب العين، 146/3.

ولـئنْ غضبْتِ لأشـربنَّ بنـــاقةٍ كوماء[2] ناوية الـعظام صــفوف

والظاهر أنَّ حب الخمرة تغلغل في نفوس عامة العرب وغمرت بحوانيتها أسواقهم، وعكفوا عليها حتى لا يستطيعون لها تركاً، ومع هذا نجد قوم من العرب حرَّموا الخمر على أنفسهم، وأكثرهم ممن يسمون الأحناف، ومنهم من كان يشربها ويُقبل عليها، ولكنه وجد نفسه وقد قام بأعمال لم يرتضِها، جعلته يشعر بالخجل منها، فتركها وحرّمها على نفسه[3].

وعلى هذا الأساس فإنَّ الخمر من حيث احتسائه أو تعاطيه شكل مورداً اقتصادياً كبيراً في الجزيرة العربية ومن ثمَّ فإنَّه يعدُّ أحد موارد رأس المال، فلمَّا جاء الإسلام وحّرم تعاطيه والاتجار به فإنَّ ذلك يعد من المشاكل التي واجهت الإسلام فليس بمكان أنْ يهجر العرب طريقة قد اعتادوا عليها ولاسيّما وإنَّها تشكل مورداً مهماً لرأس المال من جهة، ومن جهة أُخرى فأنهم اعتادوا عليه في مجالسهم، إلّا من امتحن الله قلبه بالإيمان، ولهذا أجد أنَّ بعض الصحابة لم ينتهِ عنه على الرغم تحريم القرآن الكريم[4]، فأغضب ذلك النبي (O) فأقبل وقرأ الآية حتى انتهى إلى قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[5] فقال عمر مقولته: انتهينا انتهينا[6]، تشير تلك الحادثة إلى شدة تمسك العرب بالخمر وأنهم لم ينفكوا عنه وأن شدة تعلقهم به أفضى إلى ازعاج النبي (O)، هذا في زمن البعثة الذي ينبغي فيه التمسك بما جاءت به شريعة السماء، فما بالك في الحقبة الزمنية التي سبقت الإسلام.

بعد أنْ بيّنا أهم سلعتين من سلع التجارة (الرقيق والخمر)، التي شكلت مورداً رئيسياً ومهماً من موارد رأس المال في الجزيرة العربية ولاسيّما مكة، وهذا لا يعني إهمال باقي السلع من التوابل والطيب، ويُعدُّ

([1]) السابح: الحصان لشدة جريه، وهو من المجاز، يصفه بالماء. ابن منظور، لسان العرب، 307/3.

([2]) كوماء: طويلة السنام. الفراهيدي، كتاب العين،418/5 .

([3]) يذكر المؤرخون عدداً ممن حّرم الخمر على نفسه منهم: وورقة بن نوفل(ت: نحو 12 ق. هـ/601م)، وحاتم الطائي(ت:46 ق. هـ/578م)، والعباس بن مرداس السلمي(ت:18هـ/639م)، قيس بن عاصم المنقري (ت:20هـ/640م)، وأبو ذر الغفاري(ت: 32هـ/652م)، وصفوان بن أمية بن محرث الكناني (ت:41هـ/661م)، وغيرهم الكثير، للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 551؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 393/3، 36/7؛ القالي، الأمالي، 204–205؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 262/8.

([4]) في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾سورة المائدة/ الآية 90.

([5]) سورة المائدة/ الآية 91.

([6]) الطبري، جامع البيان،334/4.

البخورُ واللبانُ من البضائع المشهورة التي تاجر بها العرب وكانت تُجنى منه أرباح كثيرة، وفي الوقت ذاته فإنَّه يُعدُّ من السلع الباهظة الأثمان، إذ يتعذر شرائها إلَّا من لدن الأثرياء والملوك، وإنَّ رواج تلك السلعة وشدة الإقبال عليها ولاسيّما العبرانيين والمصريين[1] وحتى العرب أنفسهم يعود إلى استعماله في الطقوس الدينية، فكان اليهود يبخرون بيت المقدس بأنواع المسك والطيب والبخور، ويشير ابن كُثيِّر[2] إلى ذلك قائلاً: "**وكانوا [اليهود] إذا أطلقوا البخور شُمَّ من مسافة بعيدة، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياماً، ويُعرفُ أنَّه قد أقبلَ من بيتِ المقدس**"، وكانوا يحرقون البخور في المباخر، ويبخرون به المعابد والأصنام، كما كانوا يبخرون به الضيّف، ويطيبون به ثيابهم[3]، ولعل الإقبال على البخور من اقتنائه والتبخير به في الطقوس الدينية، يُعدُ من الموروث الشعبي الذي ما زال العرب وغيرهم من المتمسكين به، وكان من آثار رواج سلعة البخور أنْ اطلق على الطريق التجاري الذي تجلب منه تلك البضاعة أسم: (طريق البخور)، والحرير لا يقل شأناً عن البخور، فهو من السلع التي أقبل عليها الملوك والأُمراء وغيرهم من المترفين[4]أصحاب رؤوس الأموال، حتى عرف عنه بـ: (طريق الحرير)[5]، الذي يُعدُ من أقدم الطرق البرّية، بل أطولها على الاطلاق، إذ يربط بين المشرق والمغرب فهو يمتد من الصين شرقاً وحتى البحر المتوسط غرباً، انفردت الصين وقتئذ بإنتاج الحرير عن طريق دودة القز التي حِيكت حولها الأساطير[6]، وفي العصور الوسطى وصلت إلى الغرب عن طريق الحرير اسهامات الصين في صناعة الورق والطباعة التي أحدثت ثورةً في مجال الثقافةِ والمعرفةِ[7]، وعِبرَ هذا الطريق وصلت أنواع الأسلحة والعجلات الحربية وفنون الرسم والتصوير والغناء والرقص والملابس وأنواع الحيوانات والنباتات[8]، وقد عرف العرب الحرير، وكان الأغنياء وسادات القبائل يلبسون الألبسة المنسوجة من الحرير[9]، يستوردونها من الخارج، وينسج بعض منها في اليمن[10]، وقد نهى الإسلام عن

([1]) البكري، المسالك والممالك،549/2؛ بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، 234، 341.

([2]) البداية والنهاية، 280/8؛ العُليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 274/1.

([3]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 237/13 .

([4]) للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح الشام، 191/2، 206، 213، 237، 252، 288 ؛ ابن خلدون، العبر، 329/1-330.

([5]) للمزيد عن طريق الحرير، ينظر: مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير، 9-16.

([6]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 35-36؛ خصباك، علم الجغرافية عند العرب، 80-81.

([7]) مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير، 16-17.

([8]) الأمين، مستدركات اعيان الشيعة، 261/6-262.

([9]) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 139/3؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 532/5، 850/6؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 280/2.

([10]) للمزيد ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 285/14-300.

لبس الحرير[1]؛ لما في ذلك من ترف يميت الرجولة، ومن تشبُّه بمترفي العجم، ومن تأثير يترك استعماله في نفوس الفقراء.

والباحث حينما ذكر تجارة الخمور والرقيق والبخور والحرير؛ بوصفها السلع الرائجة وقتئذٍ، مع عدم إهمال باقي السلع، فهي من جهة تأتي بأرباح وفيرة على التجّار ومن ثمَّ أسهمت في زيادة رأس المال، ومن جهة أُخرى فإنَّ الإسلام نهى عنها[2]، وبالتالي فإنَّ أرباب رؤوس الأموال –التجار– كان لهم أثرٌ كبيرٌ في الدعوة الإسلامية؛ فهذه البضائع وغيرها التي اتجر بها العرب مع البلدان المجاورة ولاسيّما الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية والأقاليم التابعة لهما أو الواقعة تحت نفوذهما، فأننا نخلص إلى نتيجة مهمه تمخضت عن أثر رأس المال المتحصل من التجارة انعكس على موقف تجار مكة إزاء الصراع الدائر بين تلك الامبراطوريتين المتنازعتين على مناطق النفوذ بأن اتخذوا موقف الحياد[3] منها، وبالتالي فإنَّ ذلك جعلهم في مأمن من التعرض إلى الاحتلال وشجّع أصحاب رؤوس الأموال على امتهان حرفة التجارة منتهزين فرصة عدم التعرض لهم سواء من القبائل العربية؛ لوجود الأحلاف (الإيلاف) فيما بينهم، أو من القوى الأخرى التي ترتبط بعلاقات تبعية مع الامبراطوريتين.

ثانياً: الزراعة:

تعد الزراعة واحدة من موارد رأس المال، كونها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياة الإنسان، ولمّا كانت الأرض – أصل النماء– تشكل عماد الحياة الاقتصادية؛ لذا فإنَّها تتصل اتصالاً وثيقاً برأس المال وبكل أنواعه، فحينما نتحدث عن رأس المال الثابت (الأرض)، نلحظ أنَّ الأنسان وعلى مرِّ التاريخ ارتبط بالأرض وما نتج عنه من تطور حضاري أسهم في رقي النوع الإنساني، فهو خُلق منها ووجد عليها لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[4]، ثم إنَّ الإنسان حينما وضّف الأرض لخدمته كان بحاجة إلى رأس المال،

([1]) للمزيد ينظر: أبو داود، مسند أبي داود، 456/2؛ النسائي، السنن الكبرى، 397/8–415؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الادباء، 380/2.

([2]) حرم الإسلام الخمور من تعاطيه والاتجار به قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة/ الآية 90، أما الحرير فحرمه على الرجال، بينما البخور والرقيق، قيَّد الاتجار به بحدود الفائدة التي تتحصل منه عند البيع والشراء (المضاربة بحدود الشرع). وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 177– 186.

([3]) واط، محمد في مكة، 67–68؛ أرمسترونج، سيرة النبي محمد، 104.

([4]) سورة المؤمنون/ الآية 12. وللمزيد ينظر: سورة الأنعام/ الآية/2 ؛ سورة الأعراف/الآية/ 12؛ سورة السجدة الآية/7؛ سورة الصافات/ الآية/12 ؛ سورة ص/ الآيات 71، 76.

فزارع الأرض ينبغي أنْ يكون لديه قدراً من المال لشراء البذور أو الآلة والتي تمثلت في بادئ الأمر بالحيوانات لحراثة الأرض وسقْيها وزراعتها ثم حصادها أو جني ثمارها وتسّويقها، ثم بعد ذلك كان بأمس الحاجة إلى رأس المال الفكري الذي يستطيع بفكره وعقليته شقّ القنوات المائية وبناء السدود والخزانات، ويبدو ذلك واضحاً في العربية الجنوبية، وهذا لا ينفي وجودها في العربية الشمالية على نطاق ضيق في بعض الواحات التي تكون عرضة لسقوط الأمطار في بعض المواسم أو تلك التي تتوفر فيها العيون والينابيع أو الآبار[1] التي تدخَّل الأنسان العربي في إيجادها[2]، كانت أغلبها قد عطلت، منها بئر سراقة في أسفل الجوف طولها سبعون ذراعاً وماؤها عذبٌ فرات[3]، وحفر هاشم بن عبد مناف بئر (بذّرا) على فم شُعَبِ أبي طالب(J) [4]، وقال حين حفرها:

أنبطت بذّرا بماء قلّاس جعلت ماءها بلاغاً للناس

مما يشير الى أن هاشم وخلفاءه من بعده انمازوا برأسمال معرفي، ووظفوا تلك المعرفة في كسب رأس المال، وتقديم قريش إياهم فأعطي عبد المطلب من الشرف مالم يعطِ احداً من قريش، و قد وصفه اليعقوبي[5] قائلاً: "**حكّمتهُ قريشٌ في احوالها واطعم في المحل حتى اطعم الطير**" ، وحينما وفد على سيف بن ذي يزن[6] في اليمن مع جلّة قومه قدّمه سيف عليهم وأثر به[7].

واذا ما تحدثنا عن الحجاز التي تقع بين مرتفعات نجد والسهول المنخفضة الواقعة على الساحل المسمى تهامة فإنَّها تظم ثلاث مدن رئيسية: (مكة– الطائف– يثرب) [8]، اختارها الباحث من بين مدن الجزيرة العربية بوصفها لعبت دوراً مهماً في الدولة العربية الإسلامية من تنوع رأس المال فيها، فإذا ما توفر في إحداها قلَّ أو شح في غيرها وعلى هذا الأساس سوف نبين أهم تلك المدن وما اشتهرت به من أنواع رأس المال.

([1]) للمزيد عن الآبار وطريقة حفرها وانتشارها ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 13/ 192–196.

([2]) للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، 1/ 54؛ سعيد الافغاني، اسواق العرب، 23/1، 60، 397،

([3]) الهمذاني، صفة جزيرة العرب، 200.

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 361/1.

([5]) تاريخ اليعقوبي، 8/2.

([6]) قيل هو أَولُ من عُمل له سنان حديدة فنسبت إليهِ، وإِنَّما كانت أَسنة عامَّة العرب صياصي البقرِ، وسيف بن ذي يزن الحميري، استجار بكسرى ملك الفرس ضد الحبش. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، 545/2.

([7]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 9/2.

([8]) للمزيد ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، 69؛ ناصر خسرو، سفر نامه، 86؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 218/2.

أما مكة فهي بلدة قد جعلها الله عزَّ وجلَّ بين جبال محدقة بها، وهي تقع ببطن وادٍ غير ذي زرعٍ، إلّا أنَّ الله جلَّ ثناؤه حباها بمكرمة وهي إنَّ الثمرات تُجبى إليها وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، ولمّا كانت بوادٍ غير ذي زرع فقد اعتمدت على من حولها من المدن[2]، ولاسيّما الطائف كانت مصيفاً للبرجو–ارستقراطية المكية[3]، وكان للعوامل الجغرافية مثل الطبيعة الصحراوية وشح الموارد المائية وارتفاع درجات الحرارة أثرها على مزاج وطبائع أهلها التي انعكست على نمط المعيشة ونوع العمل فولدت تلك الظروف القاسية في نفس الانسان العربي عقدة سلبية تجاه مهنة الزراعة والعمل فيها[4]، وبالتالي فإنَّ النظرة السائدة لدى بعضهم أنَّ الزراعة من أعمال الرقيق والنبط ومن ثم فإنَّ العاملين فيها هم مواطنين من الدرجة الثانية؛ ولهذا نجد أنَّ الخطاب القرآني جاء للحثِ على الزراعة بل ينسبها لذاته المقدسة في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[5]، وهذا التوقير للزراعة جاء للحث عليها؛ لأهميتها في حياة البشرية بل وللتشرف في العملِ بها[6]، وحينما نُطالع سورة الواقعة عند فهرس السور المكية والمدنية في القرآن الكريم نجدها ضمن السور المكية، ولعل الخطاب القرآني هذا جاء منسجماً مع النظرة السائدة لدى المكيين في نظرتهم للزراعة، وعلى هذا الأساس فإنَّ الأحاديث النبوية الشريفة بهذا الصدد من الكثرة للحث على الزراعة وبيان شرفها –وعلى سبيل المثال لا الحصر–، ورد عن النبي الأكرم (O) أنَّه قال: "**ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طيراً أو انساناً أو بهيمة إلا كان له به صدقة**"[7]، فالعمل في ميدان الزراعة الذي يرجى منه خلق منافع مادية يكون له الأثر البالغ في النفس الإنسانية، فحينما يؤكد النبي الأعظم (O) على العمل بالزراعة وإنَّ ما يأكله الإنسان أو الطير أو البهيمة تكون صدقة لعاملها، فهي ذات أثر مادي يَكمنُ في وقاية الأنفُس الشُح، ومعنوي يتمثل في الصدقة أي الآجر المعنوي الذي يناله المرء في آخرته[8]، ولسنا بصدد بيان موقف الشارع المقدس من العمل في الزراعة بالقدر الذي نسعى فيه إلى بيان مكانة مكة في النشاط الزراعي

([1]) سورة القصص/ من الآية 57.

([2]) المقدسي، احسن التقاسيم، 79؛ ناصر خسرو، سفر نامه، 137؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 9–11؛ لوبون، حضارة العرب، 51.

([3])؛ درمنغم، الشخصية المحمدية، 33.

([4]) الشرخات، الموارد الاقتصادية، 57–58؛ للمزيد ينظر: وناس، دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، 97–128.

([5]) سورة الواقعة/الآيات 63–64.

([6]) ونّاس، أهمية العمل في الإسلام، 49؛ ونّاس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 168–169.

([7]) بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، 479/19 .

([8]) ونّاس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 169.

ونصيب رأس المال في مواردها، فهي لم تكن ذات أرض صالحة للزراعة، وإنَّ وجدت فهي على نطاق محدود قد لا يكفي لسدِّ حاجة زارعيه؛ ولهذا فإنَّ الطبقة الثرية منهم لجأوا إلى الطائف لاستثمار رؤوس أموالهم؛ لأنَّ الصفة الاقتصادية للإنتاج الزراعي تظهر حينما يعمل المنتجون على توجيه انتاجهم إلى السوق بشكل منتظم وحينما يكفي منتوجهم لإشباع استهلاكهم الذاتي وتوجيه الفائض منه إلى السوق وفق معايير السوق السائدة في ذلك المجتمع[1]، وبهذا يمكن عد ذلك صفة اقتصادية للإنتاج الزراعي، وهذا لا يصدق على مكة التي اعتمدت في الحصول على المنتوجات الزراعية على غيرها من المدن[2].

بَيْد أنَّ مكة حينما لم تشهد نشاطاً زراعياً ملحوظاً يمكن أنْ ينتج عنه رأس مال إلّا إنَّها شهدت انتاجاً آخرَ ألا وهو رأس المال المعرفي والرمزي، فحينما تحدثنا عن قصي الجد الأعلى للنبي (O) وكيف تمكن من إزاحة قبيلة خزاعة عن إدارة الحرم المكي ومن ثم تقريش قبيلته وجمعهم وتكوين عصبة قوية استطاعت أنْ تكسب احترام القبائل العربية وهيبتها لها؛ بوصفهم أهل الحرم (رأس مال رمزي)، ثم الكيفية التي تمكن فيها من استثمار رؤوس الأموال لإدارة القوافل في رحلتي الصيف والشتاء يعد رأس مال معرفي، ومن ثم جاء خلفاؤه الذين لم يبقوا مكتوفي الأيدي بعد رحيله حتى جددوا الأحلاف مع القبائل وأخذوا العهد والإيلاف في استمرار الرحلات التجارية، وشهدت نشاطاً ملحوظاً لحركة التجارة ولا سيّما أسواقها الدائمة في الأشهر الأربعة الحرم، ويبدو أنَّ العرب اعتادوا في الأشهر الثلاثة الأولى المحرمة ممارسة الفرائض الدينية، أمّا الشهر الأخير منها؛ فيتعاطون فيه التجارة عمّا ينتجونه أو يستوردونه من البضائع بلحاظ وقوع الحجاز في نقطة مركزية على طريق القوافل السائرة بين الشمال والجنوب[3].

وإذا كانت تقع بوادٍ غير ذي زرع، فإنَّ ذلك لا يمنع من أنَّها عملت على توظيف بعض النباتات الصحراوية التي تنمو فيها وتتحمل الظروف البيئية في مجالات مختلفة، فقد ذكر السمهودي[4] عدداً من أنواع النباتات التي وضفت لأغراض طبية أو أنواع الطيوب منها على سبيل المثال، **السنا المكي:** وهو نبات ذو أوراق صغيرة يدخل في صناعة أنواع من الطيوب والأغراض الطبية، وتستخدم فروعه الجافة كنوع من خِلة الأسنان[5]، و**البلسم:** وهو شجر عَطرُ الرائحة طيِّب الطعم، وينبت بجبال نجد والسراة ويعرف

([1]) خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 4.

([2]) لوبون، حضارة العرب، 51.

([3]) حتي، تاريخ العرب مطوّل، 142/1؛ واط، محمد في مكة، 51–52.

([4]) وفاء الوفاء، 92/1.

([5]) لوبون، حضارة العرب، 44؛ كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 121.

بالبلسم المكي، وعطره غاليَ الثمن[1]، وفيها **المُقل المكي:** شجرة يخرج منها مادة صمغية تستخدم في العطور والأدوية وصناعة الطيوب[2]، وتذكر المستشرقة كرون[3]: "**أنَّ تجار مكة كانوا يُزيّنون أنفسهم بالمُقل عند مغادرتهم مكة حتى يمكن أنْ يميزهم الأعداء فلا يعتدوا عليهم لحصانتهم التي كانوا يتمتعوا بها من الحرم المطهر**"، وهي عبارة جديرة بالأهمية، إذ أنَّها تبين مدى الهيبة والاحترام الذي كانت تكنُّه العرب لأهل الحرم، وبالتالي لا يمكن التعرض لهم أو سلبهم فكانوا في مأمنٍ من ذلك، فكانوا يجوبون البلدان بتجارتهم وهم مطمئنون عليها، وهذا السبب يعد من الأسباب الرئيسة التي مكنت أهل مكة من امتهان حرفة التجارة على نطاق واسع، ناهيك عن الإيلاف التي عقدوها، ومن النباتات التي كانت ذات أهمية تذكر كرون[4]، **نبات الإذْخَرَ** أو عود الندَّ أو ما يسمى بخشب الصبار، كانت العرب تمضغ لب الشجرة لتطيب رائحة الفم وله اغراض اخرى سواء ما يدخل في العطور أو الأدوية، وكان يحرق عوده لتبخير الكعبة المشرفة، وتستخدم أخشابه لتسقيف المنازل[5]، وحينما حرّم النبي (O) القتال في مكة وحرّم قطع أشجارها وأشواكها وغيرها من الأمور اجابه العباس قائلاً: "**يَا رَسُولَ اللَّهُ، إلا الإِذْخَرَ، فَإِنَّهُ لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا، فَقَال[O]: إلا الإِذْخَرَ**"[6]، وحينما ذكرت المستشرقة كرون[7] نبات الإذْخَر عند حديثها عن أنواع الطيوب التي تنتج في مكة، قالت: "**كان يمكن لقريش أنْ تحقق منه ثروة طائلة لو لم يستطيع كل من الاغريق والفرس والاثيوبيين أنْ يتعلموا ركوب البحر**"، مما يشير إلى أهمية هذا النبات ويدلُّ على أنَّ له استعمالات متعددة اعتادوا عليها فلا يمكنهم الاستغناء عنها، ولعلهم تاجروا بها وعادت عليهم بالأرباح الوفيرة، وعلى هذا الاساس يمكن عدُّ النباتات التي أشرنا إلى بعضٍ منها، تمثل أحد موارد رأس المال في مكة .

([1]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 16/29–30؛ كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 118.

([2]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 419/4؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، 86؛ كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 124.

([3]) كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 124.

([4]) كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 126.

([5]) الأزرقي، أخبار مكة، 233/2؛ ابن الجوزي، مثير الغرام، 234؛ كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، 121.

([6]) البخاري، صحيح البخاري، 92/2؛ أحمد بن حنبل، مسند احمد، 134/4.

([7]) تجارة مكة وظهور الإسلام، 130.

تعد الطائف[1] واحدة من أشهر مدن الحجاز، ولعلَّها انمازت بميزتين جعلتها ذات أهمية في تاريخ العرب تتمثل بـ: أرض صالحة لزراعة العديد من المحاصيل الزراعية المتنوعة، وبيئتها الملائمة التي أنتجت عقليات كان لها الأثر البيّن في التاريخ الإسلامي، فمن حيث خصوبة تربتها فقد اشتهرت بزراعة العديد من المحصولات الزراعية التي تقع على أكتاف الجنائن الغنّاء وطيبة الهواء وقيل في وصفها بأنَّها: قطعة من ارض الشام وكانت مصيفاً للبرجو–أرستقراطية المكية[2]، أشهر محاصيلها: (العسل والموز والبطيخ والتين والعنب والزيتون والسفرجل وغيرها)[3]، ولكثرة انتاجها للكروم فقد اشتهرت بصناعة الخمر الذي يقتنيه أصحاب رؤوس الأموال للتعاطي أو للتجارة، ويثرب مدينة عرفت بكثرة حيطانها حتى قيل عنها: "**من كان منكم يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل، المدركات بالدّخل، فليلحق بيثرب ذات النخل**" [4]، وهي ارض سبخة تعتمد نخيلهم ومزارعهم على مياه الآبار[5] ومدينة يثرب أكثر تحضراً من من مكة ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّ الأوس والخزرج الذين ينسبون إلى اليمن يعتقد أنَّهم نزحوا منها بعد السيل العرم[6] وأقاموا مع اليهود حلفاً، وما عرف عن أهل اليمن في حضارتهم نقله الأوس والخزرج إلى يثرب، كما إنَّهم ألين عريكة وأشرح صدراً من أهل مكة ذات الأرض الصحراوية الجبلية الصخرية القاسية التي أثرت على مزاجهم؛ ولعل ذلك مردُّه طبيعة أرض يثرب وإنشائهم البساتين والحدائق الغناء التي اثّرتْ في طبائعهم، كما إنَّهم حفروا الآبار لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض وعملوا السدود في الأودية وانشأوا الأسواق[7]؛ وبذلك يكونوا قد أوجدوا نشاطاً زراعياً ومن ثم تجارياً انعكس على توفر رأس المال الصامت والمعرفي بشكل ملحوظ.

([1]) قيل في سبب تسميتها بـ: الطائف، اراء كثيرة، اهمها أن ثقيف حينما خشيت طمع القبائل فيها أجمعوا على بناء حائط يكون حصنا لهم فكانت النساء تلبّن اللبن والرجال يبنون الحائط حتى فرغوا منه وسموه الطائف لاطافته بهم، فتحت سنة 9هـ . للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 9–11.

([2])؛ درمنغم، الشخصية المحمدية، 33.

([3]) المقدسي، أحسن التقاسيم، 79؛ ناصر خسرو، سفر نامه، 137؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 9–11.

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 85/5.

([5]) البكري، المسالك والممالك، 415/1–417؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 82/5.

([6]) العرم: الشديد، وهو صفة لموصوف محذوف وهو سيل المطر الشديد، أو سيل الجرذ العرم، فالعرم صفة للجرذ، وقيل: العرم اسم للجرذ، وأضيف السيل إليه لكونه كان السبب في خراب السد الذي حمله السيل. أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط في التفسير، 535/8؛ السمين الحلبي، الدر المصون، 171/9.

([7]) للمزيد ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 128/7–142.

ثالثاً: الغزو.

كان من عادة العرب في الجزيرة العربية ممارسة ظاهرة الغزو، التي ذكرها المؤرخون[1] في مؤلفاتهم بعنوان: (أيام العرب)، فمنهم مَنْ أوجز على بعضٍ منها ومنهم من أطال فأسهب في سرده للحوادث الواقعة، فيقول ابن الاثير[2]: "**وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْأَيَّامَ الْمَشْهُورَةَ وَالْوَقَائِعَ الْمَذْكُورَةَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى جَمْعٍ كَثِيرٍ وَقِتَالٍ شَدِيدٍ، وَلَمْ أُعَرِّجْ عَلَى ذِكْرِ غَارَاتٍ تَشْتَمِلُ عَلَى النَّفَرِ الْيَسِيرِ لِأَنَّهُ يَكْثُرُ وَيَخْرُجُ عَنِ الْحَصْرِ**"، مما يشير إلى كثرتها وتفاخر الشعراء بها، وأكثروا بالوصف والمديح لها[3]، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، الحصر، ما ورد في معلقة الحارث بن حِلِّزَة اليشكري[4] يصف قومه قائلاً:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوضَاءُ

فَمَلكْنا بذلك النَّاس إِذْ مَا مَلكَ المنذرُ بن مَـاء السَّمَاءُ[5]

والغزو مورد من موارد رأس المال عند العرب، ولاسيّما في سني انحباس السماء وانقطاع الغيث فهم يلجأون إلى مكان آخر بحثاً عن الكلأ والماء ويتم الاستيلاء عليه عنوةً وقهرًا[6]، أو صلحًا بغير قتال، وذلك وذلك إذا وجد أصحاب الارض أنَّه من غير الممكن لهم مقاومة الغزاة، وأنَّ خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم هو ترضية الغازين والتودد إليهم، وإرضائهم من غير حرب ولا قتال، وفي ذلك توفيق بين مصلحة الغازين والقارين، وذُكِرَ إنَّ زعيم قضاعة زهير بن جناب الكلبي[7] عاش مائتين وخمسين عاماً أوقع فيها

([1]) المسعودي، التنبيه والإشراف، 179–181؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 453/1–528؛ على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 13/10–56.

([2]) الكامل في التاريخ، 454/1.

([3]) أرمسترونج، سيرة النبي محمد، 95.

([4]) أبو عبيدة الحارث بن حلزة بن مكروه وينتهي نسبه إلى يشكر بن بكر بن وائل من العرب العدنانية، وحلزة هو لقب والده قيل: هو البخيل أو نبات عرف به، شهد حرب البسوس، جمعت معلقته طائفة من أيام العرب وأخبارها، توفي نحو (50ق. هـ/570م). أبو عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، **352**؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 193.

([5]) الزوزني، شرح المعلقات السبع، 355–357. وكان من أمر هذه المعلقة أن قالها في حضرت عمرو بن هند (ت: نحو 45 ق. هـ/565م) ملك الحيرة حينما اصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس، وكان متخفياً عن عمرو لِما به من البرص فقالها ارتجالاً مفتخراً بقومه، فما إنْ أكملها حتى قرّبه عمرو من مجلسه. الهاشمي، جواهر الأدب،84/2.

([6]) لوبون، حضارة العرب، 72–73؛ كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 29.

([7]) كان سيداً مطاعاً في قومه، وشاعراً وطبيباً، أجمعت عليه بنو قضاعة، ولقب بالكاهن لصحة رأيه، وجاء في عِداد المعمرين وإنْ اختلفوا في عدد سنوات عمره، توفي نحو (60 ق. هـ/580م). للمزيد ينظر: الدار قطني، المؤتلف والمختلف، 467/1–468؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 109/19–104.

مائتي وقعة[1]، ويغلب الظن أنَّ الغزوات التي أوقعها زهير الكلبي مبالغاً فيها ولكن في الوقت ذاته يشير العدد إلى كثرة الغزوات التي يعدها العرب مفخرة لهم ويتبارون فيها بأشعارهم، وقد يقع الغزو لأسباب أخرى لا علاقة لها بقلة الكلأ والماء، بل بسبب طمع القبائل بعضها في بعض، ولا سيّما القبائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى[2]، و جرت العادة أنَّ القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال؛ فتغزوها؛ لتستولي على ما طمعت به، وقد تنجح وقد تفشل وتخسر[3]، والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة، تطمع في الحضر لمِا عندهم من رزق وافر ومن ماء ومن وسائل عيش رغيدة، فتغزوهم، ولهذا صار لزاماً على الحضر تعزيز أنفسهم، ببناء حصون وآطام ومناظر لمراقبة الغزاة واتخاذ حرس من الرقيق والمرتزقة ليساعدوهم في الدفاع عن حواضرهم[4]، أضف إلى ما تقدم من أسباب وقوع الغزو هو أثر العلاقات الشخصية بين سادات القبائل، من زواج وطلاق، ومن حسد وتنافس، ومن عمل سفيه جاهل يثير غزوًا وحربًا بسبب عصبية قومه له، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيرة، إلى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل تافهة تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب؛ فتثير غزوًا وتسبب نكبة لأُناس مساكين فقراء لا دخل لهم في كل خصومة، وكل ما لهم أنهم من قوم غضب عليهم قوم آخرون[5].

وعلى هذا الأساس نورد بعض الشواهد التاريخية على غزوات العرب منها ما عُرف عند المؤرخين بيوم جَبَلَة[6] الذي عدَّ من أعظم أيام العرب[7]، بين بني عامر بن صعصعة[8]وعبس[1]من جهة، و بني ذُبيان[2]

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 454/1.

([2]) كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 29.

([3]) أبو البقاء الحلي، المناقب المزيدية، 201.

([4]) واط، محمد في مكة، 50–51.

([5]) للمزيد عن أيام العرب وغزواتهم ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 453/1–607؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 76–80؛ ابن خلدون، العبر، 185/1–189 ؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 5/10–56.

([6]) وهي هضبة حمراء بنجد، بين الشّريف والشرف، والشريف: ماء لبني نمير، والشرف: ماء لبني كلاب، طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة نصف اليوم، ولها شعب عظيم واسع، يقال له شعب جَبلَة. البكري، معجم ما أستعجم، 365/2؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 104/2.

([7]) ابن الجوزي، المنتظم، 259/2

([8]) عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية، له أربعة اولاد هم: ربيعة وهلال ونمير وسواءة، انتشرت فروعهم في شبة الجزيرة العربية، وكانت لهم غزوات كثيرة، كانوا يقطنون قبل الإسلام الجنوب الشرقي من المدينة، ويملكون فيها بعض القرى والمزارع، ثم انتشروا فيما بين الجزيرة والشام، في عدوة الفرات، وكان لهم ببادية العراق دولة. للمزيد ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 272؛ كحالة، معجم قبائل العرب، 709/153,2/1.

ذُبيان[2] وتميم[3]من جهة أخرى، وكان النصر فيها حليف بنو عامر بن صعصعة، ويعزو المؤرخون سبب الحرب التي دارت بينهما يعود إلى وفاة معبد بن زرارة التميمي[4] الذي أسره بنو عامر وحلفائهم في يوم الرَحرَحان[5] بأن شدُّوا عليه القيدَّ وبعثوا به إلى الطائف خوفًا من بني تميم أنْ يستنقذوه، وقد طلبت بنو عامر الفدية عن معبد بن زرارة الف بعير وامتنعت تميم لذلك[6]، وفي يوم جَبلَة أُسر حاجب بن زرارة التميمي، وأضحى لزاماً عليه أنْ يفدي نفسه بعد أنْ خسر أخاه، ويذكر البلاذري[7] المال الذي قدمه فداءٌ له من الأسرِ، فقال:" **فافتدى حاجب نفسه بألف ومائتي ناقة**"، يبدو أنَّ الأموال التي تتحصل من الغزوات التي تشنها القبائل فيما بينها من الكثرة، بالإضافة إلى ما يتم الاستحواذ عليه من رأس المال بأنواعه المختلفة، ولمّا كانت الإبل –رأس مال منقول– من أشهر أنواع الدواب التي يتم تربيتها من لدن العرب فقد حظيت باهتمامهم وارتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً حتى أنَّ القرآن الكريم أشار اليها غير مرة، منها في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[8]، ليريهم قدرته في الخلق ثم أنَّه جلَّ وعلاّ سخرها وذللها لهم[9]، فهم يقطعون بها الصحراء لقدرته على تحمل العطش ويستخدمونها مع الخيول في غزواتهم[10] وعادة ما

([1]) عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان من العدنانية، له خمسة أولاد وهم: قطيعة وزودة والحارث وغالب وورقة وهم العبسيون، ومنهم عنترة بن شداد، في الجاهلية، كانت منازلهم، قبل الإسلام، بنجد، وتفوقوا بعد ذلك. للمزيد ينظر: أبن حزم، جمهرة أنساب العرب، 250–251؛ الزركلي، الأعلام، 187./4

([2]) ذُبيان بن بغيض بن ريث، من غطفان: جدٌّ جاهلي، من العدنانية، النسبة إليه (ذُبياني)، من نسله بنو مرة، وبنو سهم و فزارة وإليهم ينسب النابِغَة الذُّبْيَاني، كانت منازلهم شرقي المدينة. للمزيد ينظر: السمعاني، الأنساب، 4/6؛ الزركلي، الأعلام، 7/3؛ كحالة، معجم قبائل العرب، 402/1.

([3]) بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة، وامتدت إلى العذيب من أرض الكوفة، ثم تفرقوا في الحواضر والبوادي. للمزيد ينظر: أبن حزم، جمهرة أنساب العرب، 480؛ أبن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، 55–57؛ السمعاني، الأنساب،76/3–79؛ للزركلي، الأنساب، 87/2.

([4]) ابن القعقاع، معبد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي، فارس جاهلي هو أخو حاجب بن زرارة رئيس بني تميم، جرح وأسره بنو عامر بن صعصعة يوم رحرحان، وأُرسِل مقيداً إلى الطائف ومات فيها، وعَيّرتْ العرب حاجباً وقومه بذلك، فنتج عنها حرب جَبَلةَ. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى،171/5؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 39/12–41.

([5]) رَحرَحان: جبل شرقي المدينة على مقربة من عُكاظ، خلف جبل عرفات، قيل أنَّه كان لغطفان وفيه جرت الحرب. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،36/3؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 609/2.

([6]) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 79/1–81؛ النويري، نهاية الأرب، 349/15–350.

([7]) أنساب الأشراف، 20/12.

([8]) سورة الغاشية/الآية 17.

([9]) الطبري، جامع البيان، 388/24؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3422/10.

([10]) لوبون، حضارة العرب، 45–46.

تكون وسيلة لفض المنازعات بإعطائها فدية للطرف الرابح في الحرب، فخاسر المعركة يتم نهب امواله من دواب وحُلي وغيرها، فضلا عمّا يقع في أيدهم بالأسر من رجال ونساء، فأمّا يفادوهم وأما يتم قتلهم خاصة الرجال، أما النساء فيبقينَّ عندهم عبيد بوصفهنَّ أسيرات، ذكر ابن الأثير[1]، الحرب التي وقعت بين بني أسد[2]، ومن حالفهم من جهة وحجر بن الحارث الكندي[3] الذي كانت له على بني أسد جوائز واتاوات يأخذها منهم كل سنة، ثم أنَّهم طردوا عامله فبلغ ذلك حجراً فأساء معاملتهم، فجمعوا أمرهم وساروا اليه فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم قال: " **وَأَسَرَ بَنُو أَسَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ حُجْرٍ وَغَنِمُوا حَتَّى مَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَأَخَذُوا جَوَارِيَهُ وَنِسَاءَهُ وَمَا مَعَهُمْ فَاقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ**"[4]، مما يشير إلى أنَّ الغزوات والحروب كانت أحد موارد رأس المال في الجزيرة العربية فهم يستولون على الغنائم من الأموال والنساء والجواري وكل ما يملك المغلوب.

وعلى هذا الأساس فإنَّ أعمال الغزو بين العرب أنفسهم أو مع غيرهم من الممالك المجاورة، بوصفه– الغزو– أحد أهم موارد رأس المال يكون قد تمخض عنه أثر مهم على طبيعة العلاقات في الجزيرة العربية الاقتصادية منها والاجتماعية، ويَكمنُ هذا الأثر في تكوين الأحلاف القبلية، إذا اندمجت قبائل مع أخرى، ولعلها أثرت في اختلاط الدماء والانساب بحكم التوارث والنسل الناتج عن المصاهرة، وهذا الاثر يقودنا إلى القول: بأن ما جاء في الأنساب العربية للقبائل لم يكن ناتجاً عن دمٍ واحد، بعبارة أخرى: إنَّ القبائل على الرغم مّما ذكره أرباب الأنساب من انحدارها عن جدٍ واحد، إلَّا إنَّهُ غيرُ كافٍ لتبرير ذلك؛ لأنَّ الأنساب اختلطت فيما بينها بحكم الاحلاف بين القبائل بفعل أثر رأس المال النتائج عن ظاهرة الغزو التي اعتاد

([1]) الكامل في التاريخ، 463/1–468.

([2]) اسم عديد من القبائل، منهم: أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب من قريش، وإلى أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وإلى أسد بن ربيعة بن نزار، وإلى أسد بن دودان ، وفي الأزد بطن يقال لهم بني أسد. للمزيد ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 465–466؛ السمعاني، الأنساب، 214–218؛ الزركلي، الأعلام، 218/4. والمراد بهم هنا هم من ولد كاهل بن أسد بن خزيمة بن الياس بن مضر العدنانية، كانت منازلهم بتهامة، منهم علباء بن حارث بن حارثة بن هلال كان شاعراً، وهو الذي قتل حجر بن الحارث. البلاذري، أنساب الأشراف، 199/11 ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 191؛ كحالة، معجم قبائل العرب، 3/ 976.

([3]) آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية الكندي، من القحطانية، والمرار: شجر شجر مر إذا أكلت منه الْإِبِل قلصت عنهُ مشافرها (شَّفَتا فم البعير). للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، 222/9؛ ابن العديم، بغية الطلب، 2005/4؛ شيخو، شعراء النصرانية، 6/1؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 418.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 465/1.

عليها العرب، ولعل ذلك يفسر أحد الأسباب التي حَدَتْ بعمر بن الخطاب (13-23هـ/634-644م)، إلى دعوة العارفين بالأنساب ومن ثم تدوين الديوان[1].

رابعاً: العقلية العربية.

ذهب ارباب الفكر الاقتصادي الحديث إلى التركيز على رأس المال الفكري أو المعرفي؛ بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من الارباح في التعامل التجاري، ولمّا كان رأس المال الفكري أو المعرفي يَكمنُ في القدرات العقلية[2] التي تتوفر عند بعض الأشخاص دون سواهم، بحيث يستطيع صاحب القدرة المعرفية إدارة الأزمات بأقل عدد ممكن من الأشخاص، فما ينتجه الفرد الواحد يزيد على أنتاج مجموعة من الاشخاص، وبالتالي فإنَّه يعمل على زيادة الأرباح من جهة، ويقلل الإنفاق من جهة أخرى، وإذا ما أردنا أنْ نأتي بهذا المفهوم -رأس المال الفكري- لبيان مصاديقه في الحقبة الزمنية التي سبقت مجيء الإسلام المحمدي من عدمها، فإنْ قال قائلٌ بحداثته، أي بعدم ورود هذا المفهوم عند المؤرخين العرب ولا عند الباحثين المُحدثين، نقول: أنَّ عدم وروده لا ينفي حقيقته، ولاسيّما إذا ما كانت له مصاديق تنطبق مع ما ذهب إليه أرباب الفكر الاقتصادي الحديث، إذ ورد في القرآن الكريم من آيات بيّنات والحوادث التاريخية التي نقف عندها، ليتضح أنَّ المفهوم مار الذكر كان موجوداً وإنْ لم يشار إليه صراحة.

يعد القرآن الكريم من أصدق المصادر التي لا غنى لأي باحث عنه في مجال التاريخ، فهو جاء صالح لكل زمان ومكان[3]، وردت فيه كثيرٌ من الآيات القرآنية التي تخاطب أرباب العقول، لكي يتفكروا في خلق السماوات والأرض، نورد بعضٍ منها على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[4]، وآيات أخرى حثَّتْ على التفكر، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، ولمّا كان القرآن الكريم قد نزل على النبي الأكرم (O) في جزيرة العرب فالعقلية العربية هي المخاطبة في الآيات القرآنية ابتداءً؛ لأجل فهم واستيعاب الرسالة الإلهية ومن ثم حملها إلى الخارج، ومن

([1]) يُذكر إنَّ أموالاً كثيرة وردت إلى بيت المال زمن الفتوحات، فدعا عمر ممن هم على معرفة بأنساب العرب ومنازلهم،" **وكانوا من لسان قريش فقال: اكتبوا الناس عَلَى منازلهم فبدؤوا ببني هاشم**". البلاذري، فتوح البلدان، 131-132؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 115.

([2]) الشرخات، الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي، 234.

([3]) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان، 128/5.

([4]) سورة آل عمران/ الآية 190.

([5]) سورة الرعد/ من الآية 3. للمزيد ينظر: سورة الأعراف/ الآية 176، سورة يونس/ الآية 24، سورة النحل/ الآية 69,44,11.

المؤرخين الذين وصفوا العقلية العربية، رائد علم الاجتماع ابن خلدون[1]، قال: "**إنّهم أمّة وحشيّة باستحكام عوائد التّوحّش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقاً وجبلّة وكان عندهم ملذوذاً لمِا فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسّياسة وهذه الطّبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال العاديّة كلها عندهم الرّحلة والتّغلب**"، وفي الوقت ذاته أشار إلى قضية في غاية الاهمية وهي: "**عدم الانقياد للسّياسة**"، وتبعه في ذلك المستشرق واط[2]، قائلاً: " **أنَّ البيزنطيين جهدوا في محاولتهم السيطرة على مكة عبر موالٍ لهم ليحكم هناك، ولكن المكيين، وإنْ كانوا أكثر وداً للبيزنطيين منهم للفرس، رفضوا التبعية لأيٍّ من تلك القوتين العظيمتين؛ وأجبر المرشح[3] للإمارة على مغادرة المكان**"، وهذه الميزة التي أنماز بها العرب التي تتلخص في أن: العربي لا يميل إلى الانقياد السياسي؛ ما نتج عنه صعوبة بناء دولة فيهم؛ ولهذا نجدهم في صراع دائم – الغزو– الذي أشرنا اليه بوصفه أحد موارد رأس المال في الجزيرة العربية ولاسيّما الحجاز، ولعل الحوادث التي رافقت بناء الدولة العربية الإسلامية تقع هذه الظاهرة في مقدمة الاسباب التي اعترضتها وكانت بذرت فنائها فيما بعد.

لسنا بصدد تقديس العرب، ولا نميل إلى القول الذي يمجدهم ويصفهم بكل كمال، وينزههم عن كل نقص، لأن هذه الطريقة في وصف العرب لا تمت إلى البحث العلمي، إنَّما نعتقد أنَّ العرب شعب ككل الشعوب، له ميزاته وعيوبه، وهو خاضع لكل نقد علمي في عقليته ونفسيته وآدابه وتأريخه، إلّا أن الجزيرة العربية التي أنتجت حضارات على مر التاريخ [4]، يعطي دليلاً على إنَّ شعب تلك البلاد أنماز بميزة القدرة على تجدد وبناء الحضارات فيه كلَّما المّت به عوامل الضعف والانحلال بدت فيه بوادر حضارة أُخرى، ولعل ذلك ما افتقرت إليه الحضارات القديمة الاخرى، بينما الجزيرة العربية تجدد فيها العطاء الحضاري عدة مرات وفي كل مرة يقدم للعالم ثمرة إبداع تفاعل الأنسان مع بيئته، تمثلت بالحضارة الأكدية والبابلية والأشورية والكلدانية والآرامية، ثم ممالك اليمن والشمال فالحضارة العربية الإسلامية [5]، كل ذلك يحسب للعقلية التي استوطنت تلك الرقعة الجغرافية المترامية الأطراف، وإذا ما قال قائلٌ بأنَّ الحضارات التي أشرنا إليها لم يكن فيها للجنس العربي شأنٌ بعيدٌ، بل هي نتاج شعوب ليست عربية، نقول: بأنَّ

([1]) العبر، 187/1.

([2]) محمد النبيّ ورجل الدولة، 18.

([3]) وهو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تنصر ورام أنْ يمكنه القيصر البيزنطي من ملك مكة، إلّا أنَّ المكيين رفضوا ذلك ودسوا إليه السُمَّ فمات . ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، 152–156؛ ابن سعيد الاندلسي، نشوة الطرب، 350.

([4]) لوبون، حضارة العرب، 85–86.

([5]) خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 26–27.

الانسان العربي قد ورث ذلك النتاج ولعله يمثل الامتداد الطبيعي لها فهو سَكنَ تلك البقاع وعاش فيها[1] وحينما وصف بالجاهلي، لعل مرد ذلك هو جهله وعدم معرفته بالوازع[2] الديني أو كونه على الوثنية؛ والقرآن الكريم أشار إلى الجاهلية الأولى، في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[3] وهذا ما دفع المفسرين[4] إلى القول: بالجاهلية الثانية، واختلفوا في زمن الأولى وتقاربوا في الثانية، فالجاهلية الأولى: قيل التي كانت بين نوح (Q) وإدريس(Q)[5]، أو التي ولد فيها النبي إبراهيم الخليل (Q)، والثانية قيل: التي ولد فيها نبينا محمد (O) [6]، ولعل الحديث عن الجاهلية يقودنا إلى بيان ما وصف به العرب بـ: (الأميين)، الوراد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[7]، فتفسير الاميّين: عند اهل الكتاب هم العرب من غير اليهود والنصارى ممن لا كتاب لهم، وعلى هذا فالأميون قِبال أهل الكتاب[8]، ومن الجهل بمكان القول: أنهم ممّن لا يحسنون القراءة والكتابة؛ لأن القول بذلك يعني أنَّ النبي محمد (O) يكون مّما لا يحسن القراءة والكتابة، وحاشاه؛ لأنَّ القرآن الكريم حينما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [9]، يراد به أنَّه من أم القرى وهي مكة[10]، الذين كانوا وثنيين لا كتاب لهم، وجاء وصف مكة بأم القرى في الآية المباركة قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾[11].

عزى أحمد أمين[12] العوامل المؤثرة في العقلية البشرية العربية إلى عاملين أساسيين هما: البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية، وكان يقصد بالبيئة الطبيعية: ما يحيط بالمجتمع من ظواهر طبيعية من جبال

([1]) يرى بعض الباحثين: أنَّ السبئيين الوارد ذكرهم في بعض النقوش السومرية هم من سكان العربية الصحراوية وارتحلوا إلى اليمن بحدود الألف الثالث قبل الميلاد. للمزيد ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 3/259-261.

([2]) هو الكف عن الشر والبغي، الزجر عن الشيء والناهي عنه. الرازي، مختار الصحاح، 337؛ الزبيدي، تاج العروس، 22/ 320.

([3]) سورة الأحزاب/ الآية 33.

([4]) للمزيد ينظر: الطبري، جامع البيان، 260/20؛ الزجاج، معاني القرآن ، 225/4؛ الثعلبي، الكشف والبيان، 35/8.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 167/1؛ ابن الجوزي، المنتظم،235/1.

([6]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 41/1-42.

([7]) سورة الجمعة/ الآية 2 .

([8]) الطبري، جامع البيان، 372/23؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 3355/10.

([9]) سورة الأعراف/ من الآية 157 .

([10]) الأزرقي، أخبار مكة، 281؛ الفاكهي، أخبار مكة، 271/2.

([11]) سورة الشورى/ من الآية 7 .

([12]) فجر الإسلام، 54/1-58 .

وأنهار وصحارى ونحو ذلك، فالصحراء الشاسعة واشعة الشمس المحرقة لها الأثر البيّن في العقلية العربية وتصوراتها، أمّا البيئة الاجتماعية فاراد بها: ما يحيط بالأمة من نظم اجتماعية كنظام الحكومة والدين والأسرة ونحو ذلك، فالعربي يستمد قوانينه من تقاليد القبيلة وعُرف الناس، وهي التي جعلته كريماً على فقره، ويبذل نفسه في سبيل الدفاع عن حمى قبيلته، وعد البيئتين–الطبيعية والاجتماعية– يعملان معاً في تكوين العقلية البشرية[1]، ولعلّه في ذلك قد أغفل عاملاً مهماً من العوامل المؤثرة في العقلية البشرية، وهو عامل الوراثة الذي أثبتت التجارب العلمية الحديثة أنَّ هناك عاملين مهمين في التنشئة الاجتماعية لا يمكن تجاهلهما: عامل البيئة والوراثة[2]، فهو تحدث عن البيئة وأغفل عامل الوراثة، بوسعنا أنْ نطالع انجازات العقلية البشرية في الجزيرة العربية، وإذا ما أردنا الحديث عن عرب الجنوب ولا سيّما اليمن فأننا بذلك ندرك جيداً ما أنتجته تلك العقلية من حضارة تمتد في عمق التاريخ[3]، وإذا سلمنا إلى القول بأن عرب الصحراء هم الأصل لعرب الحضر، وهو ما أكده ابن خلدون[4]، فإنَّ النتاج الحضاري لليمن يرتبط بعاملي البيئة والوراثة، فالبيئة في أصلها الصحراوي لم تقف عند هذا الحد في أرض اليمن فنتج عنها تفاعل بين البيئتين، ثم الوراثة وإنْ قلنا: أنَّ العقلية التي أنتجت الحضارة في اليمن هي بالأصل صحراوية – بدو– مجاراة لرأي ابن خلدون– فإنَّ ذلك يحسب للعقلية العربية ذات الأصل الواحد، التي أنتجت حضارات متعاقبة وكما اسلفنا[5].

وعلى هذا الأساس فإنَّ رأس المال المعرفي، الذي يرتبط بمفهوم العقل، وما يمتلكه من امكانيات وقدرات وقابليات تمكنه من تحقيق أكبر قدر ممكن من العوائد، لا يحققه غيره من بني جنسه، فالجزيرة العربية نتج عنها رأس مال معرفي، والعقل العربي من وسط الجزيرة العربية (الحجاز) الذي استطاع أنْ يتجنب الصراع الدائر بين أكبر امبراطوريتين وقتئذ والمتصارعتين على مناطق النفوذ، وأنْ يوظف ذلك الصراع في تحقيق مكاسب تعود على بني جلدته بالخير سواء بتحاشي الحروب والصدام معهم أو أخذ الحلف والإيلاف منهم ليلعب دور الوسيط في التجارة الدولية، أو يكون هو الرائد فيها ومن ثم تحقيق مكاسب مادية، ثم استطاع أن يوظف تلك الاموال في تحقيق مصالحه، وبالتالي فهو يملك امكانيات عقلية ورأس مال معرفي.

([1]) أمين، فجر الإسلام، 54/1 .

([2]) عبد المعطي، علم نفس النمو، 98؛ فلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية، 58/1–95.

([3]) عن سد مأرب وحضارة اليمن. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 159/2؛ ابن خلدون، العبر، 431/1.

([4]) العبر، 191.

([5]) يذهب المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، إلى أنَّ الأقوام التي استوطنت جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات من أصل واحد، يطلق عليه الأرومة السامية. حضارة العرب، 63.

خامساً: موارد أُخرى.

قلنا إنَّ موارد رأس المال في الجزيرة العربية متعددة وأنْ كانت قد تركزت على الجانب التجاري الذي أجادوا فيه، إلّا إنَّ ذلك لا يمنع من وجود موارد أخرى غير ما ذكرنا أسهمت في زيادة رأس المال ولو على نحوٍ ضيق ومنها الصناعة والحدادة والحياكة والصياغة، فلمّا كانت مكة تقع بواد غير ذي زرع، فأن انسان تلك المنطقة يكون قد عمل في الصناعة، والمصادر التاريخية وصفتْ بعض الشخصيات أو القبائل بوصف يفهم منه أنَّه عمل في مجال الصناعة، اشارت بعض المصادر إلى (معدن بني سُليم) [1]، الذي يقع بالقرب من يثرب على الطريق المؤدي إلى نجد[2]، ويبدو أنَّه يعود إلى بني سُليم تلك القبيلة العدنانية قيل بأنَّها إحدى القبائل التي وصفت بـ : (أثافيَّ العرب) [3]، كان رسول الله (O) قد اقطع معدن بني سُليم إلى بلال بن الحارث[4]، وتلك الأرض أطلق عليها مهد الذهب، ولعل السبب في التسمية يعود إلى انتاجها للذهب، كما عرف العرب صناعة الغزل والنسيج وهو من اختصاص نسائهم على الأكثر، ولما أنماز العرب بتربية الإبل والتفاخر بكثرتها، فهم عملوا من وبرها ومن شعر الماعز أنواع من الخيم (بيوت الشعر)، كما إنَّهم عملوا من الصوف الألبسة المُحاكة باستخدام المغازل، وأنواع الأفرشة والأغطية، لملبسهم ومسكنهم[5]، والصياغة قد اختص بها بنو قينقاع من اليهود[6]، إذ كانت لهم سوق خاصة عرفوا بها[7]، وعلى الرغم من أنَّ والحدادة صنعة قد أنف منها العرب وازدروها وعدّونها من الحرف الممقوتة الحقيرة[8]، إلّا أنَّهم صنعوا منها الأسلحة مثل السيوف والدروع التي كانت من أشهر مقتنياتهم لاستخدامها في الحروب

([1]) المسعودي، التنبيه والإشراف، 209؛ ابن الجوزي، المنتظم، 148/1؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،265/2.

([2]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 154/5.

([3]) أثافيَّ : وهي الحجارة التي تُنصب عليها القدور، والأثفية: العدد والجماعة من الناس. الفراهيدي، كتاب العين، 245/8؛ ابن منظور، لسان العرب، 3/9. وهنَّ أربع قبائل: سُليم وهوازن وغطفان وأعصر. ابن حبيب، المحبر، 243. ويغلب الظن أنها وصفت بهذا الوصف لكثرت عددها ومنعتها.

([4]) أبو عبد الرحمن المزني قدم على النبي (O) في وفد مزينة سنة خمس هجرية، وكان ينزل الأشعر وراء المدينة، اقطعه رسول الله (O) وادي العقيق،(ت:60هـ). ابن منده، معرفة الصحابة، 271؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،183/1.

([5]) للمزيد ينظر عن الحياكة والغزل والخياطة والأصباغ، ينظر: ابن خلدون، العبر، 516/1-517؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 212/14-217، 282-307.

([6]) ذكر ابن الأثير، ذلك قائلاً: "**إِذْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَتْ عِنْدَ صَائِغٍ لِأَجْلِ حُلِيٍّ لَهَا**". الكامل في التاريخ، 30/2. ما يشير إلى أنَّ بني قينقاع في المدينة اختصوا بمهنة الصياغة للحلي والمصوغات الذهبية والفضية.

([7]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 586/1-596؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 34/8؛ السمهودي، خلاصة الوفا، 241/2.

([8]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 11/12-112.

التي طبعت بها حياتهم[1]، وقد أشارت إلى ذلك المستشرقة الروسية بيغولفسكايا[2]، إذ قالت: "**ومن الممكن الافتراض أنَّ السلاح العربي كان له ميزاته ولعله فاق بكثير اسلحة الفرس ولا يخلو من مغزى في هذا الصدد ما نُسِبَ إلى بهرام جور**[3] **من مهارة في استعمال القوس والرمي بالنشاب وإذا ما أخذنا في الاعتبار أنَّه أمضى سني شبابه الأولى بالحيرة فلعل التحسينات التي أدخلها الشاهنشاه قد ارتبطت بفن استعمال القوس الذي تمرس باستعماله اثناء إقامته في وسط عربي**" ثم أنها اشادة بصناعة العرب للأسلحة إذ قالت: "**بلغ العرب شأواً بعيداً في صناعة السيوف وتطويعها مما اكسبها مرونة خاصة وحدّة...وكذلك تجدر الاشارة إلى أهمية الدروع أي حلقة الزرد التي تحمي المقاتل من وقع السلاح، وبهذا أصبح للمكي امكانيات كبيرة في القتال بنجاح من فوق صهوة جواده وهو محتمٍ بدرعه الحديدي...أمّا الرماح فكانت تعمل من القنا الذي كان يُحد ويُسن رأسه فيصبح سلاحاً فتّاكاً، وأمّا الدروع فيقصد بها حلقة الحديد الذي يُلبس كالقميص والذي كان الفارس يربطه بحزام حول جسمه**"، ولعل ذلك يفسر السبب الذي من أجله طالب كسرى ابرويز[4] بودائع النعمان بن المنذر، ربما كانت تلك الدروع من أجود الأنواع، وأراد نزع سلاح العرب لأضعافهم، وقد اختلف المؤرخون في عددها بين مُقل ومُكثر، فالمُقل منهم ذكر عددها فقال: مائة درع[5] والمكثر منهم، قال: بثمانمائة درع[6]، واي كان عددها فان شدة الطلب عليها من من لدن كسرى يعطي دليلاً على جودتها وأهمتها، وإنَّ أخذنا بالعدد الأقل –مائة درع– فأنه ليس بالشيء القليل، فهكذا عدد من الدروع توحي إلى القوة القتالية والتنظيمية التي كان يمتلكها العرب إبَّان تلك الحقبة الزمنية، ويثرب لم تكن مدينة زراعية فحسب فهي مدينة تجارية وصناعية في الوقت ذاته، إذ كان فيها

([1]) للمزيد ينظر: خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 46–53.

([2]) العرب على حدود بيزنطة وايران، 279.

([3]) ابن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف، أحد أكاسرة الفرس الساسانيين، أرسله ابوه إلى الحيرة عند المنذر الأول بن النعمان (418–462م) منذ صباه فبرع في الأدب والفروسية، بُنيت له الخورنق وسكن الحيرة حتى وفاة ابيه يزدجرد حاول الفرس تنصب ملك دون بهرام إلا إنَّ المنذر جهز جيشاً ودخل بلادهم وعاد الحكم لبهرام، اختلف المؤرخون في سني ملكه . للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، 282؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 51؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 68/2–81.

([4]) ابن هرمز بن انوشروان الساساني (590–628م)، كان ملكاً حازماً شديد البأس، لذا لقب ابرويز ومعناها: المظفر، حاول احد قادته (بهرام جوبين) أنْ يحدث انقلاباً عليه في المدائن، إلا إنَّه تمكن من إفشاله، وفي زمنه حدثت معركة ذي قار، قُتل على يد ابنه شيرويه، ولعلها بدسيسة من بيزنطة. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 228/1–230؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 178/7.

([5]) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 603. وذكر أبو البقاء الحلي أنَّ عددها أربعمائة درع. المناقب المزيدية، 403/1.

([6]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 441/1؛ ابن سعيد الاندلسي، نشوة الطرب، 285؛ بيغولفسكايا، العرب على حدود بيزنطة وايران، 280.

سوق لبني قينقاع اليهودية وامتهنوا صياغة الذهب وصناعة الأسلحة والدروع القتالية[1]، وصناعة الخمور من التمور والمكاتل والقفف من النخيل والنجارة من شجر الطرفاء والأثل، ولما كان معدن الحديد متوفر في مضارب قبيلة سليم شرق يثرب حتى نعتوا بقبيلة القين[2] وهو الحداد[3]، أمّا الطائف فقد عرفت بالدباغة واشتهرت بها وكانت مياهها التي تنساب إلى الوادي تنبعث عنها روائح كريهة مؤذية[4]، مما يشير إلى إنَّها إنَّها كانت الرائدة من بين مدن الحجاز في هذا المجال، وقبيلة سُليم قد اختصت بصناعة الحديد، وهذا لا ينفي قيام بعض الصناعات في مدن أخرى وإنَّ كان هامشياً.

بعد أنْ أوضح الباحث ماهيّة رأس المال وأنواعه وما المراد بها وبدايات تشكيله في الجزيرة العربية سيما مدن الحجاز (مكة والمدينة والطائف) بوصفها أكثر المدن أثراً على مسار الدولة العربية الإسلامية منذ بدايات تشكيلها ولعبت دوراً حاسماً في مصير تلك الدولة[5]، ثم موارد رأس المال بكل أنواعه، نخلص إلى نتيجة أنَّ رأس المال له الأثر المهم في الحياة العامة، فضلاً عن أثره في الحياة الخاصة، فمجتمع مدن الحجاز(مكة ويثرب والطائف)، نتج عنها تشابه في طريقة التفكير، فهم عرفوا كيف يتعاملون مع الأحداث السائدة، ففي الصراع الدائر بين الساسانيين والبيزنطيين اتخذوا موقف الحياد، فتمكنوا من إيجاد السبل والوسائل بعدم الانقياد إلى جهة دون أُخرى، ممّا وفّر لهم امكانية أنْ يجوبوا البلدان بتجارة تعود عليهم بالربح الوفير؛ وذلك بحكم علاقات الإيلاف التي أوجدوها، ثم أنَّ اختلاف هذه المدن الثلاثة في طبيعة معاشها أوجد حالة من التوازن بينهم، فمكة كانت تجارية ويثرب والطائف زراعية وصناعية إلى حدٍ ما، ممّا يعني حاجة كل منهما إلى الأخرى، ثم التشابه في العبادات، مع أنَّ مكة سادت على الأُخريات بحكم وجود الحرم المكي، فهي محل أحترام وتبجيل الآخرين؛ ولهذا أجد أنَّ الملأ لمِا عنده من رأس مال ملك قوة التأثير في المحيط الاجتماعي لمدن الحجاز، وهذا التأثير رافق حياة الدولة العربية الإسلامية منذ بواكيرها الأولى وهذا ما نوضحه في قابل بحثنا.

([1]) واط، محمد النبيّ ورجل الدولة، 111.

([2]) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، 706/2.

([3]) خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 47.

([4]) للمزيد عن الصناعة في الطائف ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 153/7-154.

([5]) للمزيد ينظر: وناس، دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، 27-36.

الفصل الثاني

أثر رأس المال في القرار السياسي والديني

المبحث الأوَّل

مفهوم الدولة وأثر رأس المال في القرار السياسي.

أولاً: مفهوم الدولة.

شكلت دولة المدينة مثار جدل عند الباحثين، هل إنَّ ما أقامه النبي (O) في المدينة المنورة يرتقي إلى مفهوم الدولة بالمعنى الحديث من عدمه[1]، ولبيان ذلك ينبغي علينا بيان تعريف الدولة وعناصر قيامها عند فقهاء القانون الدولي.

([1]) وات، محمد النبي ورجل الدولة، 307-309. ذكر المستشرق الفرنسي كلود كاهن (1327-1412هـ/1909-1991م)، مقارنة منه بين سيرة النبي (O) وعيسى المسيح، قائلاً: " **يتضح من سيرة حياة النبي أنَّ محمداً- خلافاً لما كان عليه**

اختلف فقهاء القانون الدولي على تعريف جامع مانع للدولة وتباينت آراؤهم في ذلك، ولعل السبب يعود إلى الاختلاف في رؤية كل منهم إلى مفهوم الدولة، إذ يرى الشاوي[1]، بأن الدولة: ماهي إلّا التمييز بين الحكام والمحكومين، وبوجود هذا التمييز توجد الدولة، ومنهم من عرّفها بأنَّها: "**عبارة عن جمعية ضمن جمعيات أخرى تؤدي عملها وفقاً لأحكام القانون الذي وضعتها الحكومة صاحبة السلطة التي تستطيع من خلالها أي (السلطة) إرساء دعائم النظام في المجتمع**"[2]، ويكاد يتفق فقهاء القانون الدولي على اجتماع ثلاثة عناصر، لابد من توفرها لبناء دولة تميزها عن غيرها من الوحدات السياسية والقانونية، بوصف الدولة ظاهرة سياسية واجتماعية وقانونية، لذا استقر القانون الدولي على ثلاثة عناصر، واختلفوا في العنصر الرابع، وعلى هذا الأساس سنقف عند كل عنصر من هذه العناصر لبيان مدى تحققه في دولة المدينة من عدمه.

العنصر الاول: الشعْبُ

يمثّل الشعْبُ جَمعٌ من الافرادِ يقيمون بصفةٍ دائمةٍ في اقليمٍ معين، ويخضعون لسلطانِ دولةٍ معينةٍ، ويتمتعون بحمايتها، وعلى هذا يؤلف الشعب العنصر الأساس في تكوين الدولة، إذ لا يتصور إمكان قيام الدولة ووجودها بمعزلٍ عن العنصر البشري المكوّن لها، ولا يشترط في الشعب عددٍ معين، ما قلَّ منه أو كثر، فعدد الشعب يختلف من دولة إلى أُخرى، دون أنْ يؤثر ذلك في المركز القانوني للدولة[3]، ويرتبط مفهوم الشعب بمبدأ القوميات، إذ غالباً ما يتحد الشعب بروابط قوية من التضامن المبني على التشابه في العادات والأهداف والأماني وعلى الظروف التاريخية والاقتصادية، مما يؤدي إلى اتحادهم في مجموعة تتميز عن باقي الجماعات الأخرى ومن ثم تكوين أمةٌ واحدة[4].

ولمّا كان الشعْبُ عنصرٌ اساسيٌ من عناصر قيام الدول في القانون الدولي، أجدُ إنَّه متوفرٌ في دولة المدينة التي وضع أساسها نبيُ الأُمة، إذ إنَّه منذ الوهلة الأولى عمل على بناء مجتمع الاخوة وفق نظام المؤاخاة[5]، الذي تحوّلتْ فيه المدينة من ثنائية الأوس والخزرج إلى ثنائية المهاجرين والأنصار، وغدت

عيسى المسيح وغيره من مؤسسي الأديان– كان مؤسس ديانة وباني دولة في وقتٍ واحد". الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 38.

([1]) نظرية الدولة، 84. للمزيد عن مفهوم الدولة، ينظر: الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، 67–72.

([2]) خالد، مبادئ القانون الدستوري، 41–43.

([3]) الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، 77–86.

([4]) العطية، القانون الدولي العام، 297؛ الغزال، مبادئ القانون الدستوري، 74–77.

([5]) للمزيد عن نظام المؤاخاة ينظر: ابن حبيب، المحبر، 70–75؛ السهيلي، الروض الأنف، 4/177–179.

رابطة العقيدة الإسلامية بديلاً عن رابطةِ الدم، مع عدم إهمال الوجود اليهودي الذي كان يسكن المدينة المنورة بالإضافة إلى الاوس والخزرج[1]، ومن هنا فأن عنصر الشعْبُ يعد متوفراً كعنصر من عناصر قيام الدولة الذي مثل كل من (المهاجرين والأنصار واليهود).

العنصر الثاني: الإقليم(الأرض).

يمثل الإقليم النطاق المادي الذي تُمارس عليه الدولة سيادتها وسلطانها ويقيم الشعْبُ فيه بصورةٍ دائمة، ويتصف الإقليم بصفتين أساسيتين، هما: الثبات، بمعنى أنَّ الافراد الذين يعيشون على الإقليم، يتصف تواجدهم فيه على نحو الاستقرار والاستمرار أي الديمومة، والصفة الثانية: أنْ يكون الإقليم محدداً تحديداً واضحاً وثابتاً؛ مّما يُمكنها من أنْ تُمارس سلطانها عليه، ويميّزها عن غيرها من الأقاليم التابعة لدولة أُخرى، وهو ما يمكن تسميته بـ: (الحريم السياسي)، ويمثل الإقليم كل ما على سطحه من معالم طبيعية، مثل الجبال والبحار والأنهار، وما في باطن الأرض من معادن ونحوه، وما يعلوها في الجو، ويندرج تحت هذا المفهوم للإقليم ما يسمى بـ: (حق المرور)، أي العبور عن طريق الإقليم وفق ضوابط معينة[2].

يعد عنصر الإقليم الذي وضعه فقهاء القانون الدولي لقيام الدول، متوفراً في دولة المدينة، ولبيان الإقليم أو الحريم السياسي لدولة المدينة، يطالعنا المخَلِّص[3] في رواية أوردها عن كعب بن مالك الأنصاري[4]، توحي إلى قيام النبيُّ(O) بتعين حدود المدينة، قال: "**بعَثَني رسولُ اللهِ صلى الله عليه [وآله] وسلم أُعلمُ على أَشرافِ حَرَمِ المدينةِ، فأَعلمتُ على شرفِ ذاتِ الجيشِ[5] وعلى مشترفٍ[1]، وعلى أشرافِ مخيضٍ[2]،**

([1]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 141-142.

([2]) للمزيد ينظر: العطية، القانون الدولي العام، 35-37؛ الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، 74-75؛ خالد، مبادئ القانون الدستوري، 43-45.

([3]) المخلصيات، 169/1-170؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 77/2.

([4]) أختلف في أسمه فقيل: كعب بن مالك وقيل: عمرو بن القين بن أسود بن غنم بن كعب بن أَبي سَلمة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد اللَّه، اختلف في أسمه، أحد شعراء الرسول (O)، توفي سنة(50هـ/672م) وقد كف بصره . للمزيد ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 248/1؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 360؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 256/24-257.

([5]) ذات الجيش: موضع على مقربة من المدينة عند الطريق المؤدي بالخارج من مكة صوب المدينة أو الشام، يمثل احدى منازل الرسول (O) إلى بدر (2هـ/623م)، بالقرب من عقيق المدينة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، 200/2-201؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 367/1.

أشرافِ مخيضٍ[2]**، وعلى الحيفاءِ**[3]**، وعلى السعيراءِ**[4]**، أو على قلت**[5]"، يفهم من النص آنف الذكر أنَّ النبي (O) شَرعَ في تحديد الحريم السياسي للمدينة بوضع علاماتٌ تُشير إلى حدود الدولة العربية الإسلامية، ويغلب الظن أنَّ تلك العلامات فيها ما يوحي إلى دولة المدينة الإسلامية، كإنْ تحوي على عبارات التوحيد لله سبحانه وتعالى، ويعد ذلك إشْعار من لدن نبيُ الأُمة للقبائل القاطنة حول المدينة وللقوافل التجارية، بأنَّ ما يقع خلف تلك العلامات تعود حمايته وحراسته لدولة المدينة وأن الداخل للحريم السياسي سوف يتعرض للمسائلة سواء أكان من الاصدقاء أو الأعداء، وهذا يفسر الحروب التي جرت مع الملأ – رأس المال الحاكم– كان نتيجة تجاوز تلك الحدود ممّا قاد المسلمون للدفاع عن الحريم السياسي للمدينة وهو ما سنوضحه في أثر راس المال في حروب النبيُ (O) مع الملأ.

العنصر الثالث: التنظيم السياسي والمعيار القانوني (الدستور).

يعد عنصر التنظيم السياسي والقانوني ضرورة للجماعة، أي لابد من وجود سلطة تتولى الإشراف على رعاياها، وفق نظام قانوني، لحفظ كيان الدولة ويحقق استقرارها ونموها، ولا يشترط القانون الدولي في النظام السياسي والقانوني للدول نوع معين من الأنظمة (ملكياً أو جمهورياً أو ديمقراطياً)؛ لأنَّها من المسائل التي

([1]) مشترفٍ: الشَرفُ هو المكان المرتفع أو العالي، فيقال: وفرس مشترف: مشرف أعالي العظام. الفارابي، الصحاح تاج اللغة، 1380/4؛ ابن منظور، لسان العرب، 171/9. وحينما ذكر المقريزي دار الاحمدي في القاهرة، قال: "**وبها مشترف عالٍ فوق بدنة من بدنات سور القاهرة**" . المواعظ والاعتبار، 97/3.

([2]) أشراف مخيض: هي جبال على طريق الشام غرب المدينة . السمهودي، وفاء الوفاء، 81/1. ورد ذكرها عندما اتجه النبي (O) لبني لحيان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 73/5.

([3]) الحيفاء: وهو موضع بالمدينة، منه أجرى النبي(O)، الخيل في مسابقة . ياقوت الحموي، معجم البلدان، 332/2؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 442/1.

([4]) السعيراء: لم يطلع الباحث في كتب الجغرافية والبلدانيات على موقع بهذه التسمية، ولعل التصحيف أصابها فيكون المراد بها الشُعيراء: قبيلة يعرفون بأمهم الشُعيراء هند بِنْت ضبة بن أدّ، وهم في بني مُقاعس، وغلب على بكر بن مر الشعيراء لأنَّ أمه هند من النخع كانت ترقصه وتقول: وابابي شُعيراتك . البلاذري، أنساب الأشراف، 7/12، 10؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 206.

([5]) القلت: هو كالنّقرة تكون في الجبل يستنقع فيه الماء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 385/4. وذكرها ابن عبد الحق البغدادي، قال: "**موضع بالشام، فيه بئر، يقال لها القلت**". مراصد الاطلاع، 1116/3. ويرجح الباحث ما ذهب اليه ياقوت الحموي؛ لأنَّ الرقعة الجغرافية لدولة للمدينة زمن النبي (O) لم تصل الشام بعد.

تدخل في الاختصاص الداخلي للدولة التي تملك الحرية في اختيار دستور الحكم الذي تمارسه مع رعاياها[1].

تمثل وثيقة المدينة (الصحيفة)[2]، التي وضعها النبي (O)، النظام القانوني لها، بما حوته من مقررات ملزمة للطرفين، فاليهود ما داموا مقرين ومعترفين بما ورد فيها بوسعهم العيش في كنفها وتحت ظلها ويمارسون طقوسهم وشعائرهم بحرية شريطة عدم المساس بسيادة الدولة أو إحاكة الدساس ضدها، وبالتالي فأن الإخلال ببنودها يعني الخروج على سلطانها، ومن ثمَّ عدم السماح لهم بالعيش في كنفها، فالصحيفة التي نظّمت العلاقة بين مواطنيها من المهاجرين والأنصار واليهود، يمكن عدّها دستوراً للمدينة، الذي نظم فيه الحقوق والالتزامات للطرفين، أعطى اليهود الحق بممارسة طقوسهم الدينية وأحوالهم الشخصية بحرية، بوصفهم موحدين والقاسم المشترك هو توحيد الله ونبذ الشرك، نورد بعض من نصوصها للاستدلال، منها:"**وإنَّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم...وإنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين**"[3]، ومنها ما جاء فيه: "**وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ... وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا...وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ**"[4]، ويُطالعنا ابن هشام[5]، في نص ما كاتب به النبيُ (O) المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود، إذ قال: "**وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ... لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ**"، يبدو من ذلك أنَّ النبي (O) حينما عزم على إبرام الوثيقة يكون قد وضع الأمور في نصابها، فلا يمكن لأحدٍ أنْ يخرج عن مضمونها أو يحتج بعدم علمه ببنود الوثيقة وبذلك يكون قد قطع الطريق أمام المنافقين من جهة، واليهود من جهة أُخرى، إذا ما حاولوا تقديم المعونة للملأ المكي، وفي الوقت ذاته فإنَّه أشعر ساكني المدينة أنَّهم مواطنوها الذين يعيشون تحت رعاية الدولة العربية الإسلامية لهم الحقوق وعليهم الواجبات، وفي الوقت نفسه تعطي هذه النصوص دلالة على أنَّ النبي (O) كان يسعى إلى التعايش السلمي بين مكونات الأُمة بصرف النظر عن معتقدهم الفكري، يجمعهم الوطن الذي يعيشون في أرضه ويشعرون بالانتماء إليه دونما تضييق على الحريات العامة بمقتضى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

([1]) العطية، القانون الدولي العام، 388-389؛ خالد، مبادئ القانون الدستوري، 45-46.

([2]) للمزيد عن الصحيفة، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 501/1-505؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 227/1-229؛ كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، 34-35.

([3]) ابن هشام، السيرة النبوية، 504/1؛ السهيلي، الروض الآنف، 176/4.

([4]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 228/1.

([5]) السيرة النبوية، 501/1-503.

﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فهم متساوون أمام التشريع الإسلامي، ولا يُؤاخذ أحدهم بجريرة الآخر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[2]، شريطة عدم الشرك بالله فما شرعوا موحدين لا يضعون لله انداداً ولا ينافقون أو يحوكون الدساس فهم آمنون، إلَّا من ظلم وأثم، والقرآن الكريم يمكن عده الدستور السماوي الذي نظم حياة المسلمين في كل المجالات.

العنصر الرابع: السيادة.

سيادة الدولة، يُراد بها: أنَّ الدولة مطلقة التصرّف، لا يقيّدها إلّا إرادتها، فهي إذا أرادت أنْ تلجأ إلى القوة لتأكيد سيادتها وارادتها تكون حرة في ذلك، ومن مظاهر السيادة: المظهر الداخلي، أي حرية الدولة في التصرف بشؤنها الداخلية وفرض سلطانها على الكافّة، والمظهر الخارجي، أي استقلال الدولة بإدارة علاقاتها الخارجية دون أنْ تخضع في ذلك لأي سلطة عُليا، ولكن هذا العنصر اختلف فيه فقهاء القانون الدولي، بعد أنْ قُيد بقواعد القانون الدولي العام، فأضحت بعض الدول ناقصة السيادة وأخرى كاملة السيادة، وبالتالي فإنَّ عنصر السيادة، لم يعد أساسياً من بين عناصر قيام الدول[3].

عند أمعان النظر في سيرة النبي (O) إبَّان انتقاله إلى المدينة، فأنَّه شَرَع في اجراءات تنطبق مع ما كشف عنه فقهاء القانون الدولي، ممّا يشير إلى أنَّ نبيُ الأُمة كان السبّاق فيها، فهو كان حراً في إبرام المعاهدات[4]، وإرسال البعوث إلى الأمصار[5]، وتعيين العمال على الأقاليم ومخاطبة الملوك والاباطرة وإرسال الرُسل[6]، وتقسيم الغنائم بين المسلمين، وقطع الاقطاعات وعقد الألوية لقادة السرايا والبعوث، وتعين القضاة يحكمون بين الناس بمقتضى النص القرآني والسُنة الشريفة، دليل تمتعه بالسيادة في المدينة وإنَّه القائد الأوحد لا يحدّه إلّا الشرع، وحينما لم يخرج النبيُ (O) على رأس قوة حربية، كان يبعث السرايا

([1]) سورة البقرة/ الآية 256.

([2]) سورة الانعام/ من الآية 164.

([3]) للمزيد ينظر: العطية، القانون الدولي العام، 398؛ الشاوي، نظرية الدولة، 89–91، 307–361؛ الغزال، مبادئ القانون الدستوري، 90–93؛ خالد، مبادئ القانون الدستوري، 47–48.

([4]) عقد رسول الله (O) صلح الحديبية سنة (6هـ/628م). ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 81؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 43/3؛ ابن اعثم، الفتوح، 401/3.

([5]) للمزيد ينظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر، 324/2–333؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 182/2–183؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 349/2–360

([6]) ابن حبيب، المحبر، 75–77.

أو الجيوش للقتال، ويعقد لوائها لقادة الحرب ممن يثق باقتدارهم العسكري والتنظيمي[1]، وإذا أخذنا برواية ابن سعد[2]، من أنَّ النبيُ (O) خرج بنفسه سبعٍ وعشرونَ، قاتل في تسعٍ منها، وأنَّه بعث سبع واربعون بعثاً وسرية، يتبين أنَّ أكثرُ معاركهُ التي خاضها مع رأس المال الحاكم، إنَّما عهد بالأمرِ فيها إلى غيره من القادةِ العسكريين، علماً أنَّه حتى في المعارك التي شارك فيها بالقتال المباشر أو بالتوجيه كان يكلُ أمر حمل الراية (اللواء) في أغلب المعارك إلى علي بن أبي طالب (T)، والراية في عرف العرب عنوان اجتماع المقاتلين يمد رفعها معنوياتهم بطاقةٍ نفسيةٍ هائلة[3]، ويدل ذلك على أنَّ المدينة بقائدها، نجحت في إنشاء مؤسسة عسكرية حربية للدفاع عنها، وهي احدى مقومات بناء الدولة.

من كل ما تقدم يمكن القول: إنَّ الاجراءات التي اتخذها النبي (O) في المدينة تقع في نطاق عناصر ومقومات قيام الدول، وبالتالي، فأنَّه (O) سعى في بناء دولة إسلامية تتجسد فيها نظرية العدل الالهي.

ثانياً: أثر رأس المال في القرار السياسي.

شكْلَ مطلع القرن السابع الميلادي منعطفاً في حياة القرشيين، إذ حققوا قدراً من الثراء المادي ونمواً في رؤوس الأموال، الذي أدى بدوره إلى أنْ تتخلي قريش عن حياة الترحال والانتقال إلى حياة الاستقرار، وما نجم عنه من نمو النزعة الفردية لدى برجو– ارستقراطية[4] مكة، مع توفر النزعة القبلية أو العشائرية التي شكلت للملأ قوة معنوية، مكنتها لأنْ تسود في مكة، ومن ثمَّ تتخذ من القرارات ما ينسجم ومصالحها السياسية.

ويبدو أنَّ القرارات التي كان يتخذها رأس المال الحاكم لا تأخذ صفة الالزام إلاَّ إذا صدرت بإجماع شيوخ القبائل وزعمائها وممَّن له الحق بحضور مجلس الملأ[5]، والذي يخرج عن تلك القرارات تُتخذ بحقه إجراءات من شأنها إضعافه بوسائل شتى، فحينما بُعث النبيُ (O) وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام فإنَّ قريش

([1]) قيل أول لواء عقده رسول الله (O) كان لحمزة بن عبد المطلب (ت: 3هـ/623م). الواقدي، المغازي، 9/1؛ السهيلي، الروض الأنف، 44.

([2]) الطبقات الكبرى، 5/2–6.

([3]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 59/7، 345، 84/10.

([4]) بمعنى إنَّها لم تكن ارستقراطية خالصة، على نحو ما للارستقراطية التي نُسبتْ إلى ارسطو (384–322 ق.م) المقدوني المقدوني معلم الاسكندر الأكبر، وتعني الارستقراطية: سلطة خواص الناس، وتمتد جذورها إلى افلاطون وكتابه الجمهورية، الذي كان يكره الديمقراطية، وترتكز الارستقراطية على الثروة والأرض وعلى مبدأ الوراثة. للمزيد ينظر: الكيلاني، الموسوعة السياسية،36.

([5]) وات، محمد في مكة، 59.

لم تعبأ لِما دعا إليه[1]، ويغلب الظن أنهم كانوا غير آبهين بدعوة النبي الأكرم (O) بادئ الأمر، طالما أنَّه لم يشكل خطراً على مكانتهم الاقتصادية والسياسية والدينية، التي اكتسبوها بوصفهم أهل الحرم الذي يدر عليهم الأموال الوفيرة، ومن عبادتهم للأصنام التي ورثوها عن آبائهم، فإنَّ عدم التعرّض لها لا يؤثر في مكانتهم تلك[2]، وكانوا يسخرون منه إذا رأوه، فيقولون: "**قال ابن أبى كبشة**"[3]، أو إذا مرَّ بالملأ من قريش قالوا: " **إن غلام بني عَبْد المطلب ليُكلَّم من السماء**"[4]، إلّا إنَّه حينما عاب آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله وسفّه أحلامهم[5]، وبدأ موقف الدعوة الإسلامية ينمو وعدد الاتباع أضحى بالتزايد، مّما يعني إنَّ مصالحهم الاقتصادية باتت في خطر[6]، لذا اتخذ رأس المال الحاكم قراراً يقضي بتصفيته قبل خروج الأمر الأمر عن السيطرة، بَيْد أنّهم قوبلوا بقوة عمّه أبو طالب(J)[7]، الذي كان يمتلك قوة معنوية مؤثرة –رأس مال رمزي[8]– فلم يجرؤا على قتله، عندها قرروا إرسال وفدٌ لمقابلتهِ وقبولهِ أحْدُ الخيارين: أمّا أنْ يكفَّ عن

([1]) لويس، العرب في التاريخ، 50.

([2]) وات، محمد النبي ورجل الدولة، 79.

([3]) ابن أبي كبشة قيل: هو وخز بن غالب الخزاعي الذي كان المشركون ينسبون إليه رسول الله (O)، لأنه خالف قريشا في عبادة الأوثان وعَبَد الشعرى العبور (نجم)، فلما بعث رسول الله (O) ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ وتركِ الأوثانِ قالوا: هذا ابن أبي كبشة، أي شبهه ومثله في الخلاف، وقيل: أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف جده (O) من قبل أمه، لأنّه كان نزعٌ إليه في الشبه، وقيل: كنية زوج حليمة السعدية، الحارث . ابن حبيب، المحبر، 129؛ ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 410/1–411؛ الدار قطني، المؤتلف والمختلف، 1970/4؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1738/4؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 58/11–59.

([4]) ابن الجوزي، المنتظم، 364/2؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 288/1. وعند اليعقوبي، اذا مرَّ بالملأ من قريش قالوا: "**إنَّ فتى ابن عبد المطلب ليكلم من السماء**". تاريخ اليعقوبي، 16/2.

([5]) ابن إسحاق، السير والمغازي، 155؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 117/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 148/1؛ 148/1؛ المقريزي، إمتاع الإسماع، 35/1.

([6]) در منغم، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، 78.

([7]) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، شيخ الأبطح: والد الإمام علي (T) وعمُّ النبيُ (O) وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 34/4؛ الزركلي، الأعلام، 166/4 .

([8]) يعتقد الباحث بعصمة النبي (O) وكل الأنبياء ممن سبقوه، والرمزية التي اشرنا إليها لا تتنافى مع مبدأ العصمة؛ لأنَّ الرمزية من وجهة نظر الباحث تتلخص في: أنَّ الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص المعني تعتقد بناءً على خصالٍ حميدةٍ كالمروءة والأمانة والكرم والشجاعة وصدق الحديث وغيرها مجتمعة أو منفردة. تُمنح لذلك الشخص في نظر الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها وبالتالي تكون قوة مؤثرة شأنها في ذلك شأن القوة عند رأس المال، ويذكر المقدسي أنَّ قريش لم تعترض النبيُ (O) أول الأمر، فيقول: "**لما عرفوه من صدق الحديث وحسن الجوار وتحرى الخير والتواضع للخلق وكمال العقل والشرف وعلو البيت وطهارة النسب**". البدء والتاريخ، 147/4.

عن دينه أو أنْ يسلموه إليهم لقتله[1]، وتشير المصادر التاريخية[2] إلى إنَّ أبا طالب (J) قال لهم:" **قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا فَانْصَرَفُوا عَنْهُ**"[3]، ثم عادوا إليه ثانية، وهنا كان التهديد قد شمل أبو طالب(J)، إذ إذ قالوا له: " **يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا، وَإِنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَاكَ أَنْ تَنْهَى ابنَ أَخِيكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا وَآبَائِنَا وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ**"[4]، ويغلب الظن إنَّ أبا طالب (J)، كان ردّه عنيفاً تجاه القوم ولعّل القصيدة الشعرية[5] الشعرية[5] التي قالها تُفصح عن ذلك نورد بعضٍ منها:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمُ وَقَدْ قَطَّعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُـزَايِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بالوصائل[6]

وعلى هذا فأن أبي طالب (J) تمكن من أنْ يخرج عن قرار الملأ ويجمع بني هاشم للدفاع

عن النبي (O) وحمايته[7]، ممّا يشير إلى إنَّه كان يملك قوة معنوية، وتأثيراً واسعاً في بني قومه، على الرّغم من ضعف رأس المال الاقتصادي لديه إبّان تلك الحقبة الزمنية بحسب المصادر[8]، وممّا يؤيد القوة

([1]) ابن إسحاق، المغازي والسير، 148؛ السهيلي، الروض الأنف، 8/3-9؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 117/1.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 323/2؛ ابن الجوزي، المنتظم، 368/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 661/1.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 323/2.

([4]) المقدسي، البدء والتاريخ، 147/4؛ ابن الجوزي، المنتظم، 368/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 661/1.

([5]) المتأمل لهذه الأبيات يجدها دليلاً كافياً لإسلام أبي طالب(J) للمزيد من الأبيات ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 53/3-57؛ البغدادي، خزانة الأدب، 59/2-66.

([6]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 97/1؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 53/3؛ البغدادي، خزانة الأدب، 60/2.

([7]) تضمنت المقاطعة جملة أمور منها: أنْ لا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً ابداً ولا تأخذهم بهم رأفةٌ ولا رحمةٌ، حتى يسلموا إليهم النبيُ (O) ليقتلوه، ولبثوا في الشعْب ثلاث أعوام واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عليهم الأسواق ليقتلهم الجوع. للمزيد ينظر: أبو نعيم الاصبهاني، دلائل النبوة، 271/1؛ البيهقي، دلائل النبوة، 311/2-313.

([8]) تشير بعض المصادر إلى أنَّ أبا طالب(J) إبّان البعثة النبوية كان ضعيفاً في موارده المالية، إذ أورد اليعقوبي في تاريخه تاريخه قائلاً: "**وكان أبو طالب سيّداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه**". تاريخ اليعقوبي، 10/2. وذكر ابن الجوزي، كفالة أبو طالب للنبي (O) بعد وفاة عبد المطلب، فقال:" **لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَبَضَ أَبُو طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ [ص]... وكان أبو طالب لا مَالَ لَهُ**". المنتظم، 282/2. ويغلب الظن أنَّ ضعفه هذا مرده الأزمة التي أصابتْ قريش و تبنّيه أبناء عمومته، وذكر الطبري ذلك بقوله: " **أَصَابَتْ قُرَيْشًا أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرَةٍ**" . تاريخ الرسل والملوك، 313/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 136/1. بَيْد أنَّ اليعقوبي ذكر عبد المطلب سيد قريش ووالد أبو طالب(J)،

المعنوية عند أبو طالب(J)، ما ذكره اليعقوبي[1]، في رواية مضمونها أنَّ النبيُ الأكرم (O) كان يطوف بالبيت الحرام ذات يوم، حتى عمد نفرٌ من قريش على ايذاء الرسول (O) بأنْ القوا بعض القاذورات (السّلَى[2] والفرث[3]) بين كتفيه وهو يصلي فعاد وشكى ذلك عند عمه، الذي بادر بأخذِ سيفه وغلام له، ودخل عليهم وسلَّ سيفه، فقال: "**والله لا تكلّم رجل منكم إلّا ضربته، ثم أمرَ غلامه فأمرَّ ذلك السلى والفرث على وجوههم واحداً واحداً**" [4]، فأهانهم في مجلسهم، وهذه الحادثة تعطي دليلاً على قوة رأس المال الرمزي عند أبي طالب(J) التي لا تقل شأناً عن قوة رأس المال الحاكم، إذ لم يُحرّكوا ساكناً، كإنَّ الطير على رؤوسهِم، فلم يجرؤا على ردها، وفي رواية أُخرى، لليعقوبي[5]، تعطي ذات المعنى للقوة المعنوية لأبي طالب(J)، في ليلة أُسريَّ بالنبي (O)[6]، افتقده فخاف إنَّ الملأ من قريش قد اغتالته، فجمع سبعون رجلاً من بني عبد المطلب وأمرهم أنْ يجلس كلُ رجلٌ منهم إلى جانب رجل من قريش وقال لهم: " **إنْ رأيتموني ومحمداً معي فأمسكوا حتى آتيكم وإلّا فليقتل كل رجل منكم جليسه ولا تنتظروني**"، تشير الروايتين إلى قوة رأس المال الرمزي عند أبي طالب(J)، تلك القوة التي تكاد تعادل قوة رأس المال الحاكم، إذ إنَّها تُصرح بقدرته على إهانتهم تارة أو تصفيتهم تارة أخرى، ما بدى له ذلك، كما إنَّها تعطي دليلاً على إسلامه حتى أنهم لم يجرؤا على ايذاء النبي (O) وتمتع بقدر من الحرية في التبشير بالدين ما برح أبو طالب(J) حياً[7].

أنّه كان ثرياً، إذ قال: "**وأطعم في المحّل حتى أُطعم الطير والوحوش في الجبال، قال أبو طالب: ونطعم حتى تأكُلَ الطيرُ فضلنا، إذا جعلتْ أيدي المفُضين ترعدُ**". تاريخ اليعقوبي، 8/2. السؤال الذي يمكن طرحه، أين ذهبت أموال عبد المطلب؟ المفروض أنَّ ابو طالب(J) الذي ورث الزعامة يكون قد ورث منه كل شيء، بما فيها الأموال، يغلب الظن أنَّ الأزمة التي أصابت قريش شملت أبي طالب(J) اضافة إلى كفالته لأبناء عمومته، وربما تعرضه إلى خسارة في تجارته مع الشام، وهو فرض يحتاج إلى دليل.

([1]) تاريخ اليعقوبي، 17/2.

([2]) السَّلَى: الجلدة التي يكون فيها الولد من الناس والمواشي، أي المشيمة وهي غشاء البطن، أحشاء الحيوان، تخرج بالولادة. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 237/3؛ ابن سيده، المخصص، 50/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 299/38–300.

([3]) الفرث: السِّرقين ما دام في الكرِشِ. يقال: ضربتُه حتى فرَثْتُ كبِدَه في جوفه أي فتَّتُها. الفراهيدي، كتاب العين، 220/8؛ أبو منصور الهروي، تهذيب اللغة، 58/15؛ ابن منظور، لسان العرب، 176/2.

([4]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 17/2.

([5]) تاريخ اليعقوبي، 2/ 18.

([6]) قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء/الآية 1.

([7]) ورد عن النبي (O) أنَّه قال: "**ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**". المقريزي، إمتاع الأسماع، 45/1؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 685/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 497/1.

وحينما شعر الملأ من قريش بخطورة الموقف وإصرار أبي طالب(J) بعدم التخلي عن حماية النبي الأكرم(O) قدّمَ عرّضٌ أخرٌ، يكْمنُ في منحةِ التّحكْم في أموالهم بما يشاء إذ ورد، ما نصه: " **فليمسك عن ذلك وليَحكُم في أموالنا بما يشاء**"[1]، ما يشير إلى إنَّ القوم كانوا يرون الدعوة الإسلامية التي جاء بها النبيُ (O) ذات هدف مادي يسعى من وراءه تحصيل السيادة عليهم في رأس المال الاقتصادي؛ ولهذا عرضوا عليه السلطة في التحكم بأموالهم، وفي الوقت نفسه يعطي النص دلالة على أنَّ مخاوف قريش من الدين هو فقدانهم المركزية الاقتصادية في مكة بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة، والحقيقة التي نود أنْ نبوح بها في هذا المقام: هو إنَّ الصدام بين الدعوة الإسلامية ورأس المال الحاكم أو بعبارة أخرى بين النبيُ (O) والملأ من قريش كان منذ الوهلة الأولى التي رفض فيها النبيُ (O) طريقة المعاملات المالية التي كانت تجري في موسم الاتجار بمكة والتي تقوم على أساس الربا، فحينما أتخذ النبيُ (O) موقف المعارض من المعاملات الربوية وعابها عليها وحرّمها[2]، ومن ثمَّ أضحى له جمهوره الرافض –على ما يبدو– ممّا دعا القوم إلى مساومته، وحينما لاقوا الرفض الشديد، سلكوا طريق المجابهة، فالرفض – للدين– كان بدواعي اقتصادية، وإلّا فالنبيُ (O) كان بين ظهرانيهم ويعرفونه حقَّ المعرفة، بل والأبعد من ذلك أنَّهم كانوا يعلمون بنبوته قبل سن الأربعين الذي فرضته روايات المؤرخين[3]، ولهذا جوبهت الدعوة الإسلامية بقرارات ذات طابع سياسي، اتخذها الملأ للحيلولة دون أنتشار الدين الإسلامي في مكة ما مكنهم ذلك، على المستوى الجماعي والفردي.

بوسعنا الاشارة إلى مسألة هامة وهي: حينما بدأ النبي (O) في بناء المجتمع الإسلامي –مجتمع الاخوة– كأساس لبناء دولته الإسلامية، فأنَّه بدأ باختيار الاشخاص الذين يجد فيهم القدرة والقابلية على فهم واستيعاب وحمل الدين الإسلامي، فكان يلتمس الحذر الشديد في اختيار وانتقاء الشخصيات، فأوضحت المستشرقة والكاهنة البريطانية كارين أرمسترونج[4]، ذلك قائلة: "**كان يُدرك [النبي (O)] بالفطرةِ**[5] **أنَّ**

([1]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 18.

([2]) ورد في تحريم الربا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران/الآية 130. وكذا في سورة البقرة/ الآيات 275–281، سورة النساء/الآية 161.

([3]) نقلاً عن د. زمان المعموري.

([4]) سيرة النبي محمد، 155.

([5]) مع اعتقادنا بأن النبي (O) هو ذلك الأنسان الكامل، فكل حركة قام بها تنمُ عن درايةٌ عقليةٌ، أكثر من كونها فطرية بسيطة، قال الفخر الرازي: "**ولما كانت مراتب النقصان والكمال ومراتب الإكمال والإضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية... والنبي هو الإنسان الكامل المكمل**". مفاتيح الغيب، 75/19. وعلى هذا فالنبيُ (O) لا ينطق عن هوى بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ سورة النجم/ الآيتين 2,3.

رسالته سوف تُثيرُ عداءً عميقاً له، ومن ثم التزم الحذر الشديد حقاً في اختيار من يدعوهم إلى الإيمانِ، فكانت الدعوة إبَّان السنوات الثلاثة الأولى من البعثةِ تقتصرُ على أفراد دون غيرهم وتتسمُ بالخصوصيةِ المحضةِ بحيث انتشرتْ كلمةُ الإيمان من فمٍ إلى فمٍ ومن قلبٍ إلى قلبٍ". وعلى هذا الأساس فأن مسألة كون علي بن أبي طالب (T) أول من أظهر إسلامه[1] ليست الغاية منها كونهِ الأول فحسب؛ إنَّما النبي (O) حينما بُلّغ بالرسالة الإلهية وجد في عليٌ (T) القدرة والقابلية والصفات والشروط التي ينطلق منها للتأسيس[2]؛ حتى تصبح انطلاقته مبنية على أُس رصين يمكن عن طريقه تأمين مستقبل رسالته الإنسانية التي أراد منها لبناء المجتمع اولاً، ومن ثم التأسيس لدولته التي تعم أرجاء المعمورة ثانياً؛ لذا فإنَّه بدأ بعلي (T) ثم زوجته ثم الآخرين من بعدهم، وعلى هذا الأساس فحينما نقول: أن عليٌ (T) أول من أسلم، لا تكمن الفضيلة في الأسبقية إلى تقبْل الدين، بقدر ما تمثل أسبقيته في المعرفة والقدر والقابلية على فهم واستيعاب الدين، ومن ثم حملها وتسويقها للمجتمع الغارق في العادات والأعراف القبلية؛ ولبدءِ عملية تصحيح المسار في الجزيرة العربية ثم حملها للعالم، ومن جانب أخر، لعل دخول بعض الشخصيات في الإسلام له جنبة اقتصادية فضلاً عن القدرة والمعرفة في فهم استيعاب الدين، وعلى هذا فأن الباحث في قابل بحثه سوف يضع هذا المعيار اساساً للتميز بين الشخصيات التي كانت لها القدرة والقابلية على فهم واستيعاب ما جاء به النبي الأكرم (O) بقدرٍ معينٍ، ومن ثم هل كان قادراً للسير على وفق المنهج الذي وضع أُسه نبي الأمة من عدمه، ومن ذلك فأن خديجة بنت خويلد(è) (ت: 3ق.هـ) زوج النبي (O) التي شكل زواجها بعداً اقتصادياً كبيراً في الدعوة الإسلامية، إذ وصِفَتْ بأنَّها:" **الزوجة والمحبة والأم والصديقة والنجية والكاشفة للغم**"[3]، وكانت من خيرة زوجات النبي (O) فحينما يذكرها يثني عليها ويحسن الثناء حتى اغاض ذلك عائشة (ت:58هـ/678م)، فقالت: "**قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ**"[4]، يفصح الحديث مار الذكر عن حقائق كثيرة، منها:

([1]) يعتقد الباحث بأن الإمام عليٌ (T)، هو نفس رسول (O)، ومن ثمَّ فهو الإنسان الكامل المسلم ابتداءً؛ لأن النبيُ (O) حينما خرج لمباهلة النصارى، أخذ عليٌ وفاطمة والحسن والحسين (h)، حينما نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة آل عمران/ الآية61. للمزيد ينظر: ابن سعد، متمم الطبقات الكبرى، 392؛ البلاذري، فتوح البلدان، 71؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 286/3.

([2]) للمزيد عن بعض الصفات التي يتمتع بها الإمام علي (T)، ينظر: سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس، 17–20.

([3]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 57.

([4]) بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، 356/41 .

1- أن خديجة بنت خويلد(è) كانت من أفضل نساء النبي (O) بلا منازع بصريح النص.

2- اطلع الباحث عن قرب وشاهد بأم عينيه المكان الذي كان يتعبد فيه النبيُ (O)، وشاهد حجم المعاناة في تسلق جبل حراء[1] حيث غار حراء الذي يقع في أعلى قمة الجبل فضلاً عن بعد المسافة بين بيت الله الحرام ومضارب قريش وصولاً إلى جبل حراء، فادرك معنى المؤازرة التي قدمتها السيدة الجليلة، إذ كانت تتحمل مشقة الذهاب والمجيء يومياً لتوصل الطعام والشراب للنبيُ (O) وهو يتعبد في الغار، فضلاً عن مؤازرتها للنبي (O) بمالها في بداية الدعوة الإسلامية في وقت مرت به الدعوة الإسلامية في منعطفٍ خطيرٍ.

3- كان رأس مال خديجة من أسباب استمرار الدعوة الإسلامية، وفي الرواية قوله (O): "**وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ**"[2]، مّما يعني أنَّ رأس المال الاقتصادي لديها أسهم في تقوية الدعوة الإسلامية؛ لأن المال ضروري في كل شيء ومن ثم فأن الحاجة إليه، تكون قد أثّرت بشكل إيجابي في بداية الدعوة الإسلامية، ولعلها أنفقت كل ثروتها في سبيل الإسلام، في وقت وصِفتْ بأنَّها من أثرياء قريش إنْ لم تكن أثراها[3].

سلكت رجالات الملأ من قريش، كافة السبل في ثني عزم الراغبين بالدخول في الدين الإسلامي ومنهم -على سبيل المثال- الأعشى[4] (ت:7هـ/629م) الشاعر المعروف الذي كان كلفًا بشرب الخمر حريصًا على تعاطيها، قيل إنَّه اتخذ قراراً للدخول في الإسلام وأراد الذهاب إلى الرسول (O) لينشده ويعلن أمامه دخوله في الإسلام، ونظم شعرًا في مدحه، فأدرك أبو سفيان (ت:31هـ/652م) ما في شعر الأعشى من مدح الرسول (O) والإسلام، من أثر في تصرفه وفي إضعاف قريش، فلقيه وحادثه وكلمه وجاءه من ناحية نقطة الضعف التي كانت فيه- حبه للخمرة- فهيج أشجانه فيها، وأظهر له كيف إنَّ الإسلام حرّمها على المسلمين[5]، وجعل في شربها الحد[1]، فهو سيُحرم من متعته الوحيدة التي بقيت له في حياته أنْ دخل في

([1]) وهو الجبل الّذي كان يتحنّث فيه رسول الله (O) وبينه وبين مكّة ثلاثة أميال، وهو جبل منفرد على طريق حُنين من مكّة، وهو منيف صعب المرتقى، وفيه غار حراء الموضع الّذي نزل فيه جبريل (Q) الذي يقع في أعلاه من مؤخّر الجبل. البكري، المسالك والممالك، 403/1؛ ابن جبير، رحلته، 124؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، 119.

([2]) ابن حجر، فتح الباري، 137/7.

([3]) يفهم ذلك من النص الذي أورده ابن هشام عن أبن إسحاق: "**وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً، ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إيَّاهُ، بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ**". السيرة النبوية، 171/1.

([4]) أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، من بكر بن وائل العدنانية، من فحول الشعراء. أبو عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، 17؛ ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 205/1-258

([5]) قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾. سورة المائدة/ الآية 90.

الإسلام، وأثار فيه الحنين إليها، ورغّبهُ في الذهاب إلى قومه والمكوث هناك سنة يشربها، ثم يرى رأيه بعد ذلك، فأمّا أنْ يستمر على شربها، وإما أنْ يعافها ويدخل في الإسلام، ويأخذ مقابل ذلك مائة من الإبل حمراء، فأثَّر كلام أبو سفيان فيه، وأخذ الإبل وعاد إلى قومه فنفرت راحلته في اليمامة[2]، وتوفي هناك[3]، يبدو من قصة الأعشى وأبو سفيان الأثر الواضح لرأس المال وكيف تمكن الأخير من اقناع الأعشى للعدول عن رأيه في لقاء النبي (O) بقوة أثر رأس المال، وأخذ مائة من الإبل حمراء وإنْ يعود إلى قومه إلّا أنَّه لم يفلح في قراره هذا حتى خسر الدنيا والآخرة.

وحينما يأس الملأ من النيل من رسول الله (O) وأخذت أعداد الذين يدخلون في الدين الجديد بالنمو، عمدوا إلى اتباع وسائل عدة من أجل اضعافهم وثني عزمهم من الدخول في الإسلام، ومن بين تلك الوسائل استخدام العنف والقوة تجاه الضعفاء من المسلمين الذين ليس لهم عشيرة تجيرهم، حتى عمدت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يسومونهم أنواع العذاب[4].

أتخذ الملأ قراراً يقضي بمجابهة الدين الإسلامي، وهذا القرار يختلف بحسب قوة الداخل في الإسلام، فالضعفاء والفقراء الذين ليس لديهم من يدافع عنهم[5]، وأكثرهم من الموالي منهم على سبيل المثال لا الحصر: ياسر وزوجته سُميّة (ت: نحو 7ق.هـ)[6]، وبلال الحبشي(ت:20هـ/641م)[7]، وعبد الله بن مسعود(ت:32هـ/653م)[8]، وخباب بن الارت(ت:37هـ/657م)[1]، وهم من الموالي، أتخذ الملأ طريق

([1]) الطبري، جامع البيان، 563/10؛ الزجاج، معاني القرآن،203/2؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 142/2.

([2]) وهي من أرض نجد وقاعدتها حجر، بينها وبين البحرين عشرة أيام، كانت تسمى جوّا سكنتها قبائل طسم وجديس قديماً، وهي أرض ذات نخل وشجر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 441/5-446.

([3]) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، 250/1.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 661/1-673.

([5]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 80.

([6]) ياسر بن عامر بن مالك الكناني المذحجي العنسيّ اليماني، أبو عمار، صحابي، من السابقين إلى الإسلام، أنتقل إلى مكة، وحالف أبا حذيفة ابن المغيرة المخزومي وزوجه أبو حذيفة بأمَةٍ له اسمها سُمية، فولدت له ابنه عمار، آمن هو وزوجته وابنهما عمار، وعذبهم مشركو قريش رأس المال الحاكم-، وقتل أبو جهل، سمية (زوجة ياسر) ومات ياسر في العذاب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 246/3، 136/4؛ ابن حجر، الإصابة، 473/4؛ الزركلي، الأعلام، 128/8.

([7]) بلال بن رباح الحبشي وينسب لامه فيقال: بلال بن حمامة، كانت لبني جُمح، من المستضعفين، أعتقه أبي بكر، مات في الشام إبَّان عهد عمر بن الخطاب، في ظروف غامضة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 232/3-237؛ ابن حجر، الإصابة، 455/1-457.

([8]) الهذلي قدم مكة على فرس وناقه، وعرضها على أهل مكة للحلف فقبلها منه عبد بن الحارث بن زهرة، فهو حليف بني زهرة. ابن حبيب، المنمق، 244-245. من أوائل الصحابة، ومن المحدثين، ولي بيت مال الكوفة، يعد من الزهّاد ثم

التعذيب الجسدي، بينما الآخرين ممّن يمتلكون عشائر أو رأس مال نقدي فإنَّهم سلكوا طريق الوعد والوعيد، فكان أبو جهل[2] يأتي الرجل منهم، قائلاً له: "**أتترك دين أبيك وتقيل رأيه، وتضع شرفه؟ وإنْ كان تاجراً قال له: ستُكسد تجارتك، ويهلك مالك، وإنْ كان ضعيفاً أغرى به حتى يُعذب**"[3]، سلك الملأ طريق الوعد والوعيد لإصحاب رؤوس الأموال بأنْ يعملوا على كساد تجارتهم، ونفاد أموالهم، ولعل ذلك يكون بالمقاطعة الاقتصادية للتُجّار الأثرياء من المسلمين، كما يُبيّن النص أنَّ الملأ حينما لم يستطع مجابة القوة المعنوية – رأس المال الرمزي– عند أبي طالب(J)، فإنَّه أتخذ قراراً تجاه إضعاف الداخلين في الدين الإسلامي بطريق التعذيب أو الوعد والوعيد، كما جاء في النص الآتي: "**ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديد**" [4]، وهنا يكْمنُ أثر رأس المال في مواجهة الدين الإسلامي.

إزاء الضغوط التي مورِسَتْ قبال المسلمين الداخلين في الدين، أتُخِذَ قراراً بالهجرة إلى الحبشة، السؤال الذي يمكن طرحه، ما السبب الذي دعا المسلمون إلى اختيار الحبشة من غيرها، مع علمنا بوجود علاقات تجارية للمكيين مع الشام والحبشة في الوقت ذاته، وأنَّ النبي (O) سبق له أنْ ذهب إلى الشام في رحلات تجارية من قبل، وهل كان اختيار الحبشة من المهاجرين أنفسهم ام من لدنٍ النبي محمد (O) ؟، لماذا لم يذهبوا صوب العراق مثلاً، أو اليمن، ثم أنَّ الحبشة سبق لها قادت حملة الفيل[5] لتهديم الكعبة! فما الذي تغير في المواقف؟، مع علمنا بأنَّ الحبشة على دين النصرانية ومن الممالك التي ترتبط بعلاقات مع بيزنطة، أذن ماهي الأسباب التي دعت إلى اختيار الحبشة من سواها؟.

ما ذكرته المصادر التاريخية، في السبب المباشر الذي دعا المهاجرون لاتخاذ قرار الهجرة إلى الحبشة، هو: أنَّ فيها ملك لا يظلم عنده أحد[6]، وسبب الهجرة يتمحور حول الاضطهاد الذي تعرض له المسلمين

عاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة(32هـ/653م)، بعد أنْ جرّ وضرب حتى كسرت أضلاعه. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 118/2؛ ابن الأثر، أُسد الغابة، 280/3–286؛ الزركلي، الأعلام، 137/4.

([1]) التميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: صحابي، من السابقين، قيل: أسلم سادس ستة، كان قيناً يعمل السيوف، بمكة، من المستضعفين، توفي سنة(37هـ/657م) . للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 164/3–166.

([2]) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبيّ، كنّاه رسول الله (O) بـ: ابي جهل، إذ كان يعرف بـ: أبي الحكم، قتل في معركة بدر سنة (2هـ/623م). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 444/5؛ البلاذري، أنساب الاشراف، 125/1؛ ابن حجر، الإصابة، 443/4.

([3]) المقريزي، إمتاع الإسماع، 115/9.

([4]) ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، 214.

([5]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 31.

([6]) ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، 160؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 321/1 السهيلي، الروض الأنف، 120/3.

من لدنِ الملأ ولاسيّما الضعفاء منهم – مع عدم اهمال السبب المباشر– إذ إنَّ اختيار الحبشة كان من لدن النبي الأكرم (O)[1]؛ لأنَّه سبق له أنْ اطلع على أحوال بعض مدن بلاد الشام التي خَبرَها جيداً وكان على معرفة تامة بأهلها إبَّان رحلاته التجارية سواء مع عمه أبو طالب(J) أو عند الاتجار بمال خديجة(è)[2]، ومن ثم فأنَّه بذلك يكون قد علم مسبقاً بعدم أهلية بلاد الشام لأنْ تكون مأوى للمهاجرين من جهة، وسلامة الدين الذي سيصبح منشائه قريباً من الامبراطورية البيزنطية وبالتالي وأدهِ مبكراً؛ لذا أُستُبعدت الشام، أما أرض السواد (العراق) فإنَّها خاضعة للإمبراطورية الساسانية ولاسيّما الحيرة[3]، التي ترتبط أيضاً بصلات تجارية مع الملأ، ومن ثم فأن ركون السلمون الاوائل إليها ربما يتم تسليمهم إلى الملأ ليتم تصفيتهم أو على أقل تقدير رفض ايوائهم؛ وكذا الحال بالنسبة إلى اليمن لأن سيف بن ذي يزن[4] الذي تمكن من طرد الأحباش كان بدعم وأسناد من الساسانيين[5]، وبالتالي فإنَّ مسألة وجود المسلمين المهاجرين قد يلاقي المصير نفسه؛ وعلى هذا الأساس فإنَّ قرار النبي (O) باختيار الحبشة كمأوى للمسلمين، اصبح بعيداً عن متناول رأس المال الحاكم فضلاً عن وجود مَلِكٌ لا يظلمُ عنده أحد، ولعل أحد أسباب اختيار الحبشة هو لحمل المهاجرين للعمل بالتجارة، إذ إنَّ الطابع العام للمكيين هو العمل التجاري الذي اتقنوه واجادوا فيه، والقرآن الكريم يُحدّثنا عن رحلتي الصيف والشتاء[6] التي وضع أُسها قصي بن كلاب ثم أحفاده من بعده[7]، بعده[7]، وأضحى العمل التجاري هو السمة الغالبة للمكيين؛ ولهذا يكون اختيار الحبشة بالإضافة إلى وجود وجود النجاشي الذي وصِفَ بأنَّه لا يُظلم عنده أحد، فأن العمل بالتجارة هي الفرصة المناسبة للمسلمين المهاجرين، ويغلب الظن أنَّ النبي (O) أراد من اختيار الحبشة هو ايجاد طريق بديل للتجارة من الجنوب إلى الشام بعيداً عن متناول الملأ، ومن ثم كسر طوق الاحتكار الذي أوجده التجار المكيين؛ ولهذا انتاب

([1]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 81.

([2]) ابن هشام، السيرة النبوية، 180/1–182؛ السهيلي، الروض الأنف، 140/2–144؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 179/8–186.

([3]) كانت حرب الفجار، بسبب تجارة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، التي وجهها إلى أسواق العرب. للمزيد ينظر: السهيلي، الروض الأنف، 146/2–150.

([4]) الحميري من سلالة ملوك اليمن، وهم نصارى تغلّبوا على أهل اليمن وحكموا بها أكثر من سبعين عاماً في القرن السادس السادس الميلادي، فهزمهم سيف بن ذي يزن هذا بنصرة الفرس الساسانيين وأخرجهم من اليمن وتم ذلك قبل بعثة النبي(O). للمزيد ينظر: ابن دريد الازدي، الاشتقاق، 531؛ ابن حجر، الإصابة، 249/3.

([5]) ابن حبيب، المنمق، 427؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، 57/1؛ واط، محمد النبي ورجل الدولة، 17، 86–87.

([6]) ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ سورة قريش/الآيتان 1، 2.

([7]) ينظر الفصل الأول من الأطروحة، 41.

الملأ القلق ازاء هذه الهجرة فاتخذوا قراراً يقضي بإرسال اثنين من دُهاة العرب[1] بالهدايا إلى النجاشي وحاشيته لإفساد تلك المحاولة، ذكر ابن اسحاق[2] ذلك، قائلاً:" **فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيأوا له هدية على ذي حده، وقالوا لهما: أدفعا إلى كل بَطْريق هديته قبل أنْ تُكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإنْ استطعتم أنْ يردهم عليكما قبل أنْ يكلمهم فافعلا**"، يظهر من النص مدى التهديد الذي سوف يتعرضوا له إذا ما نجح المسلمون المهاجرون في اقناع نجاشي الحبشة بالدين الجديد[3]، أو على اقل تقدير تمكنهم من العيش بأمان في مملكته ومن ثم التبشير بالإسلام بحريه مطلقة مّما يقوي شوكتهم، وكان على رأس المهاجرين جعفر بن أبي طالب[4]، ونطالع عند ابن إسحاق[5] في سرده أحداث الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب ومحاولة عمرو بن العاص افساد الأمر على المسلمين وأقناع النجاشي بالهدايا والحيّل في عدم قبول الجوار للمسلمين، وما آلت إليه الأحوال من قبول المسلمين في مملكته، ربَّما الأحداث لم تكن بالتفاصيل ذاتها للرواية التي وصلتنا، فهنالك حقيقةٌ وهي الهجرة إلى الحبشة وهنالك ما هو موازياً للحقيقة في بعض تفاصيل الرواية[6]، وإبَّان وجود المهاجرين في الحبشة خرج رجل ينازع النجاشي ملكه ثم أنَّ الغلبة كانت للنجاشي[7]، ولم يفصح عن السبب الذي قامت من أجله الثورة، ويرجح الباحث، أنَّ أنَّ الثورة التي نشبت في الحبشة في وقت تواجد المسلمون المهاجرون هي من دسائس الملأ، ولاسيّما وأنَّهم

([1]) هما: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، كان من أشد أعداء الإسلام، وأسلم في صلح الحديبية، ونُسبت له الفتوحات في الشام ومصر زمن ابن الخطاب، عزله عثمان عن مصر ثم عاده معاوية سنة (38هـ/659م) وأطلق له خراجها قرابة ستة أعوام جمع منها أموال طائلة، توفي في مصر سنة (43هـ/695م). ابن الأثير، أُسد الغابة، 741/3-745؛ الزركلي، الأعلام، 79/5. والآخر: عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، كان أسمه بحيراً فلمّا أسلم سمّاه رسول الله (O)، عبد الله، ولاه عمر بن الخطاب على الجند ثم عثمان ولما حوصر عثمان جاء لنصرته وسقط من جواده فمات سنة (35هـ/657م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 444/5؛ البخاري، التاريخ الكبير، 9/5؛ ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، 896/3.

([2]) كتاب السير والمغازي، 213.

([3]) أشارت المصادر إلى أنَّ نجاشي الحبشة اعتنق الإسلام وبعث بالهدايا إلى النبيُ (O). ابن هشام، السيرة النبوية، 340/1؛ البيهقي، دلائل النبوة، 285/2-310؛ السهيلي، الروض الأنف، 120/3-144.

([4]) هو جعفر بن أبي طالب(عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهو جَعْفَر الطيار ذي الجناحين، وكان أشبه الناس برسول اللّه (O) خلقًا وخلْقا، أسلم بعد إسلام أخيه الإمام علي (T) بقليل، وكان قد هاجر الهجرتين، واستشهد في مؤته (8هـ/630م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 34/3؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 241/1-343.

([5]) كتاب السير والمغازي، 214-221.

([6]) ذكر ابن إسحاق حصول ثورة ضد النجاشي، وكان المسلمون في الشق الآخر من النيل وأرادوا معرفة نتائج المعركة، فانبرى الزبير بن العوام وكان أحدثهم سناً، "**فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس**". كتاب السير والمغازي، 216. يغلب الظن أنَّ بعض المؤرخون سلك منهجاً أراد منه صناعة البطل في التاريخ.

([7]) ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، 216.

أرسلوا أثنين من دُهاتِهم بالمال، والتنسيق مع الطبقة الثيوقراطية في المملكة، الذين وجدوا أنَّ قبول النجاشي للدين الإسلامي ومن ثمَّ السماح للمسلمين للعيش بجواره يشكل خطراً محدقاً بمصالحهم الاقتصادية وإنَّ نجاح الدعوة الإسلامية فيها سيقضي على جبروتهم ومكانتهم؛ لأنَّها سوف تمتد إلى الجزيرة العربية ولاسيّما مكة التي ما برح النبي (O) يسكنها؛ لعّلهم عملوا على تحريك الأحباش للقضاء على النجاشي والمجيء بملك يستقيم مع مصالحهم الاقتصادية، إلّا أنَّ النجاشي تمكن من اخماد تلك الثورة والقضاء عليها، وأتخذ قراراً بقبول الدين الإسلامي وسمح للمسلمين البقاء في مملكته والعيش بسلام.

ولمّا لم يجد الملأ بدٌ من ذلك، اتخذوا قراراً ذو بعدٌ سياسيٌ، يَكمنُ في المقاطعة الاقتصادية[1]، ضد المسلمين في مكة، حتى تمكن الملأ من اقناع باقي القبائل بقرار فرض المقاطعة الاقتصادية لِما يمتلكونه من رأس المال، ويصّور ابن اسحاق[2] الكيفية التي تعامل بها رأس المال الحاكم مع المحاصرين في الشُعْبِ، فقال: "**وحصروهم في شُعْبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشُعْبِ إلى الموسم، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم**"، ولما كان الملأ من قريش يمتلك رأس المال، فقد رغَّبوا التجّار في محاربة بني هاشم حتى كانوا يدفعون الأموال مّمن ليس لديه المال في شراء البضائع فذكر ابن اسحاق[3]، بعض من تلك الاساليب قائلاً:" **فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب**"، يبدو أثر راس المال واضحاً في المقاطعة الاقتصادية، إذ أنهم وضفوا قوة رأس المال في إيذاء بني هاشم ومحاصرتهم ثم منع التجّار من ابتياعهم، والأبعد من ذلك أنَّهم عملوا على اقراض ممّن ليس لديه المال، "**ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد**"[4]، كل ذلك من من أجل وأد الدعوة الإسلامية، أو حمل بني هاشم على التخلي عن النبي الأكرم (O)، إلَّا أنَّ أبي طالب(J) وبني هاشم لم يستسلموا لتلك الضغوط، وأثروا على أنفسهم حماية الرسول (O)، على الرغم من

([1]) فرضت قريش على بني هاشم المقاطعة الاقتصادية التي أستمرت قرابة ثلاثة أعوام في شعب أبي طالب(J). ابن حبيب، المحبر، 11.

([2]) كتاب السير والمغازي، 159،

([3]) كتاب السير والمغازي، 159،

([4]) كتاب السير والمغازي، 159،

محاولات الملأ الذين يملكون رأس مال نقدي، ودهاء تجاري، واقتصادي سواء مع القبائل الأخرى أو مع ممثلي القوى الكبرى آنذاك[1].

كان أبو طالب (J) حَذِراً من قريش مخافة القتل للنبي(O)، فكان يعمد إلى تغيير مكان رقوده في الليل وذكر ابن إسحاق[2] ذلك فقال: "**إذ أخذ مضجعه أو رقد، بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أنْ يقتلوه**"، يعطي النص دلالة على أنَّ الملأ من قريش توسل السبل والوسائل للقضاء على النبي الأكرم(O) بما فيها أخذه غدراً، وفي الوقت ذاته يبين مدى حراجة الوضع الذي مرَّ به النبيُ (O) ومخاوف أبو طالب(J) من أنْ تناله ايدي الملأ من قريش ودسائسهم، حتى أنّه يعمل على تغيير مضجعه حال رقوده إلى النوم، ويعطي دليلاً آخراً للحفاظ على حياة النبي (O) وأن كلفه ذلك فقد أحد أبناءه.

ازاء الرعاية التي حضي بها النبي (O) من لدن عمَّهُ أبو طالب(J) والتي كانت أحد أسباب قيام الدعوة الإسلامية، وبعد خروجهم من الشُعْبِ بثمانية أشهر تقريباً[3]، حدث ما لم يُرجَ حدوثه تمثل بـ: وفاة الزوجة الصالحة المثالية التي أفنت أموالها في سبيل الإسلام، وسيد البطحاء الحامي والكافل والمدافع عن النبي (O)، في عامٍ واحدٍ ولعله في شهرٍ واحدٍ، الذي عرف بـ: عام الحزن[4]، الذي وضع النبي الأكرم (O) في امتحانٍ صعبٍ، اشتدت فيه المواجهة مع الملأ، وأصبح في مقدورهم أنْ ينالوا منه مالم يكن بوسعهم ذلك، فورد عن النبي (O) أنّه قال:" **ما زالت قريش كاعين عني حتى مات أبو طالب**"[5]، وفي حديث آخر قال (O): "**ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**"[6]، ويرى الباحث أنَّ وفاة ذينك الشخصيتين في السنة ذاتها ولعلها في وقت قريب بين وفاة الاثنين[7] يمثل إحدى دسائس رأس المال الحاكم في محاولة محاولة منهم لأضعاف النبي (O) ومن ثم النيل منه، وكان ذلك في السنة العاشرة للبعثة النبوية أو قبل

([1]) وات، محمد في مكة، 61؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 180/6.

([2]) كتاب السير والمغازي، 160،

([3]) البيهقي، دلائل النبوة، 340/2–353؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 45؛ الديار بكري، 299/1.

([4]) سماه رسول الله (O) بهذا الاسم، وهو العام الذي اختلف المؤرخون في المدة الزمنية بين وفاة أبو طالب(J) وخديجة، فقيل: مات أبو طالب(J) بعد موت خديجة بـ: خمسة وخمسون يوماً وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة. ابن حبيب، المحبر، 11؛ ابو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 179/4؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 45؛ النويري، نهاية الأرب، 167/1. الباحث يرجح قصر المدة على ثلاثة أيام ويعدها من دسائس رأس المال الحاكم فربما دُسَّ إليهم السُمَّ؛ لأنَّهم شكلوا الدعّامة الأساسية التي اتكأ عليها النبي (O) للتبشير بالدين الجديد.

([5]) ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، 239؛ البيهقي، دلائل النبوة، 347/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 134/3.

([6]) المقريزي، إمتاع الأسماع، 45/1؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 685/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 497/1.

([7]) ذكر ابن حبيب المدة الزمنية بين وفاة خديجة (ë) وأبو طالب (J) ثلاثة أيام. المحبر، 11.

ثلاثة أعوام من الهجرة إلى يثرب (المدينة)[1]، في وقت كان فيه عضد الدعوة الإسلامية لم يشتدُ بعدُ؛ ولهذا نطالع في كتابات المؤرخين[2]، أنَّ النبي (O) بدأ يبحث عن موطن قريب من مكة فهو لم يشأ الخروج إلى الحبشة، ولعله رغب في مكان يكون قريباً، أي ضمن دائرة الحجاز –الرقعة الجغرافية لموطنه الأصلي–، وهذا يفسّر السبب الذي من أجله لم يستقر النبي (O) طويلاً في المدينة فهو يعود ليدخل مكة فاتحاً، لينطلق منها خارج الحجاز وقد بينا في مستهل بحثنا في الفصل الأول السبب الذي من أجله اختيرت مكة من بين سائر مدن الجزيرة العربية لأنْ تكون المنار الذي تنطلق منه الدعوة الإسلامية.

وقع الاختيار على مدينة الطائف، والسؤال الذي يمكن طرحه، لماذا أتخذ النبي قراراً باختيار الطائف دون غيرها من مدن الحجاز؟ مع العرض إنَّها تمثل مصيفاً لأغنياء مكة[3]، فضلاً عن إنَّها ترتبط مع رأس رأس المال الحاكم بارتباطات مالية وتجارية وزراعية قوية.

أنَّ الجواب على هذا السؤال نراه يقع في عدة أسباب يمكن اجمالها بالاتي:

1- تعد الطائف بالنسبة إلى مدن الحجاز ثاني مدينة بعد مكة من حيث الأهمية، فهي من الجانب الديني يوجد فيها معبد اللات[4]، كان على طراز البيت بمكة من حيث المنزلة والاحترام والكسوة، وكانت العرب، العرب، ومنها قريش، تعظِّمه وتحج إليه وتطوف به، وهو الذي هُدم في الإسلام عند فتح الطائف عام (8هـ/630م)، أمّا من الجانب الاقتصادي، فإنَّها أرض زراعية تنوعت فيها المحاصيل الزراعية فكانت تمول مكة بالمنتوجات المختلفة[5]، ما يعني أنها على جانب كبير في الحياة الاقتصادية.
2- يعلل المقريزي[6] سبب اختيار الطائف إلى كونهم أخواله، ربما هذا التبرير له ما يعضده فإن خروج النبي النبي (O) كان بتكتم ولعله خائف يترقب، ويرشدنا إلى ذلك، ما جاء في الرواية أنه طلب منهم عدم اخبار قريش بذلك، فقال لهم:" **إِذَا أَبَيْتُمْ فَاكْتُمُوا عَلَيَّ ذَلِكَ، وَكَرِهَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ**" [7]، ويغلب الظن أنَّ النبي

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 685/1؛ النويري، نهاية الأرب، 167/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 497/1.

([2]) ابن حبيب، المحبر، 11؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 344/2؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 155/4.

([3]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 12.

([4]) وهو الصنم الذي كانت تعبده الطائف، وسدنته بني ثقيف، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، هدم بعد الفتح وبني مكانه مسجدا للمسلمين، وموقع اللات في الجهة اليسرى من منارة مسجد الطائف. ابن الكلبي، كتاب الاصنام، 16-19. ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى**﴾ سورة النجم/ الآية 19.

([5]) للمزيد عن الطائف ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، 97-101؛ الحميري، الروض المعطار، 379؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 7/ 142-156.

([6]) إمتاع الأسماع، 45/1.

([7]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 685/1؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 135/3؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 45/1.

النبي (O) حينما خرج إلى الطائف ربما وجد منهم تقبلاً للدين الجديد ولكن هذا التقبل كان عند عددٍ قليلٍ من عوام الناس الذين لا يملكون القول الفصل فيكون ذهابه إلى زعمائهم من أجل أنْ تضفي على دعوته القوة في المنعة من الملأ المكي الذي اطلقنا عليه ايضاً رأس المال الحاكم، إلَّا أنَّ الرؤساء من ثقيف رفضوا ذلك فاغروا به سفهاؤهم وعبيدهم حتى الجأوه إلى حائط (بستان) لبني أميه[1]؛ المؤرخون[2] من جانبهم ذكروا أنَّ مكوثه (O) في الطائف كان شهراً فهل يعقل أنَّه طول هذا الشهر لم يقنع منهم أحد لتقبل الدين الجديد؟ ولكن مّما يمكن قوله إنَّ اقناع الرؤساء يُسْهل من الأمر، ومن ثم إذا ما قَبلوا بالدين الجديد يعني أنَّ أفراد القبيلة تبعٌ إلى شيخهم أو رئيسهم، ولكن الذي حصل أنَّ رؤساء ثقيف بما لديهم من علاقات تجارية ومالية وزراعية مع الملأ المكي، هو من دفعهم إلى عدم تقبل الدين، وعلى هذا الأساس يمكن القول: أنَّ الدافع الاقتصادي هو الباعث الدافع وراء عدم التقبل والرفض للدين، ولم يكن الدافع العقدي الأساس في ذلك؛ لأنَّ رأس المال يتحرك على أساس المكسب، فالمنافع المادية أولاً ثم يتبعها ما يوافقها من أفكار وإنْ كانت عقيدة أو دين، وهذا ما دفع الطائف إلى رفض العقيدة الإسلامية التي جاءت بتحريم المعاملات الربوية– المصدر الهام لتنمية رأس المال في مكة والطائف سوية؛ ولهذا عاد النبي (O) إلى مكة.

إبَّان تلك الأحداث كان النبي (O) يعرض نفسه على القبائل والوفود لتقبل الدعوة الإسلامية[3]، حتى اوجس الملأ المكي خيفة من تعاظم أمر الدعوة الإسلامية، فيما نطالع عند ابن هشام[4]، اجتماع قريش واتخذوا قراراً سياسياً حاسماً يقضي باغتيال النبي (O)، فقال: "**وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه [وآله] وسلم قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ...فَاجْتَمَعُوا لَهُ... يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه[وآله] وسلم، حَيْنَ خَافُوهُ**"، فاتخذوا قراراً سياسياً يقضي بتصفية الرسول (O) حتى قرر الهجرة إلى يثرب (المدينة) وكلّف علي بن أبي طالب (T) للمبيت في فراشه وارجاع الودائع للناس[5]، وإنَّ قراره بالهجرة هذا لم يأتِ عن فراغ، وإنَّما بُني على أسبابٍ معقولةٍ يقع في مقدمتها ما حدث من بيعتي العقبة الأولى والثانية[6]، ثم المدينة المنورة

([1]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 156/1؛ السهيلي، الروض الأنف، 24/4؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 344/2.

([2]) ابن حبيب، المحبر، 11؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 151.

([3]) للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 422/1– 428.

([4]) السيرة النبوية، 480/1– 482.

([5]) للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 482/1؛ السهيلي، الروض الأنف، 125/4؛ الطبري، تاريخ الرسل والمولك،374/2؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، 60.

([6]) للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 431/1–438؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، 188–191؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 194–199؛ درمنغم، الشخصية المحمدية، 129–132.

كانت أكثر مدنيَّة من مكة وأُناسها أكثر تقبل لمفهوم الدين بفعل وجود اليهود فيها ومعرفتهم بسبب ذلك لبعض أخبار الديانات السالفة، وإلى غير ذلك من أمور النبيين التي عرفت فيما بعد هذا التاريخ بالرواية التوراتية أو الاسرائيلية، أمّا في مكة فقد واجهت الدعوة الإسلامية صعوبات أو معوقات تمثلت بقوة رأس المال الحاكم؛ لذا قرر النبي (O) المضي قدماً في مشروع الأمة الإسلامية خارج حدود بلاده وأرضه ليذهب ببصره صوب الأكثر تمدناً –يثرب– فأمر أصحابه بالهجرة ارسالاً فخرجوا، ثم لحق بهم وبدأ بتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فوضع النواة الأولى لدولته، ليعود بعد ذلك إلى مكة.

نخلص مّما تقدم: أثر رأس المال في القرار السياسي واضحاً إبَّان قيام الدعوة الإسلامية، إذ أنَّ الملأ من قريش، جاءت حاكميته لامتلاكه رأس المال بكل أنواعه، فسعى جاهداً في سبيل القضاء على الدعوة الإسلامية في وقت مبكر موظفاً في ذلك كل طاقاته وإمكانياته المادية، متخذاً قرارات ذات طابع سياسي غايته وأد الدعوة الإسلامية، إلّا إنَّها جوبِهَتْ بمقاومة أبي طالب(J) الذي أطلقنا على حركته بـ: رأس المال الرمزي، فخفف من وطأة الملأ المكي، ومنح النبيُّ (O) دافعٌ قويٌ تمكن فيه من التبشير بالإسلام في مكة، ثم خديجة الكبرى، زوج النبيُّ (O) التي وظفت جُلِّ أموالها في خدمة الدين، فقرار المقاطعة الاقتصادية الذي اتخذه الملأ، جاء نتيجة لامتلاكهم رأس المال، والحال يقضي أنَّ المقاطعة الاقتصادية هي من آثار رأس المال، بَيْد أنَّ وفاة أبا طالب(J) وخديجة في عامٍ واحدٍ شكل ثغرةٌ قويةٌ القت بضلالها على وجود الدعوة في مكة، ما كلّف النبيَّ (O) البحث عن موطن بديل للمسلمين، ولعل اختيار للحبشة جاء بعد أن زادت مخاوف النبيُّ (O) على مصير الدعوة في وقت اضحى فيه الملأ، بمقدوره النيل منها، وفي خطوة استباقية اتخذ النبيُّ (O) قراراً بالبحث عن موقعٍ بديلٍ للمسلمين ريثما يشتد عضد الدعوة الإسلامية، ثم زيادة الضغط الذي تعرض له النبيُّ (O)، اتخذ قراراً أخر بخروجه إلى الطائف لكي يستطيع منه العودة إلى مكة، وحينما أختار الطائف، فأن عدم قبول الدعوة فيها يمثل أحد أثار رأس المال الحاكم، حتى عاد النبيُّ (O) ليدخل مكة ثم يتخذ قراراً أخراً، ذو صبغة سياسية، تمثل باختيار يثرب –المدينة– مركزاً سياسياً ينطلق منها لبناء دولته الإسلامية وفق نظرية العدل الإلهي، بعيداً عن تأثرات الملأ المكي؛ أذن يمكن القول: أن رأس المال كان له الأثر البيّن في اتخاذ القرار السياسي في المرحلة المكية، سواء في القرارات التي اتخذها النبيَّ (O) للحوادث مارة الذكر، أو قرارات رأس المال الحاكم.

المبحث الثاني

أثر رأس المال في القرار الديني

كان ولا زال للمال أثرٌ في قيام الحروبِ واشعالِ فتيلها وقد بينا في الفصل الأول من بحثنا أنّ الغزو يعد أحد موارد رأس المال في الجزيرة العربية، ولعّل اعتياد العرب على الغزو، أجدُ أثر ذلك في تسمية حروب النبي (O) مع الملأ بـ: (السير والمغازي)[1].

بعد هجرة النبي (O) إلى المدينة زادت مخاوف الملأ، ولاسيّما الإجراءات التي اتخذها النبي (O)، من احتواء العصبية القبلية الذي كان على جانباً من الصعوبة، و نظام المؤاخاة وموادعة اليهود ثم تحديد حرم المدينة وارسال المبشرين والسرايا داخل الحريم السياسي للمدينة؛ لمنع أي اعتداء أو محاولة اختراق حريم المدينة، فإنَّ ذلك ممّا لم يُريح غيض الوثنين فأخذوا يتحينون به الفرص ويغيرون على مواشي أهل المدينة[2]، للتضييق على المسلمين، خاف المسلمون على أموالهم ودينهم، وسبق للنبيُّ (O) أنْ بيَّن لهم

([1]) سُميت المحاولات الأولى لجمع المعلومات عن سيرة النبي (O) بـ: المغازي أو السير والمغازي ، ودرجوا على تسمية القوة العسكرية التي يشارك فيها الرسول (O) بـ:(غزوة)، أمّا التي يبعث فيها مَنْ ينوب عنه بـ: (السرية). والسرية: ما بين خمسة إلى ثلاثمائة، وقيل: هي من الخيل نحو أربعمائة، والسرية: قطعة من الجيش؛ يقال: خير السرايا أربعمائة رجل، سميت سرية لأنَّها تسري ليلا في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا. يقال: سرى قائد الجيش سرية إلى العدو إذا جردها وبعثها إليهم. ابن منظور، لسان العرب،383/14. ويرى الباحث أن اطلاق تسمية الغزوة على حروب النبيَّ(O) فيها من الإساءة؛ لأن الغزو من بين الأشياء التي عمل جاهداً للحد منها، وبالتالي لا يمكن بحال من الأحوال وصف حروب النبي (O) بالمغازي، ويغلب الظن أنَّ التسمية جاءت لتغطية تصرفات مسلمة الفتح، أي وضع غطاء شرعي لغزواتهم وما نتج عنها من اساءة للدين الإسلامي، ولعّل التسمية الأصح هي الحروب، إذ ورد ذكر الحرب في القرآن الكريم ثلاث مرات ولم ترد الغزوة، منها قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ سورة البقرة/ من الآية 279. ومنها قوله تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ سورة محمد/ من الآية 4. ومنها قوله جلَّ وعلاَّ: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ سورة الأنفال/الآية 57.

([2]) ذكر المؤرخون أنَّ قريش أخذت تضيق الخناق على المدينة فترسل من يشنُ الحملات على سرح المدينة (المواشي)، فخرج رسول الله (O) بنفسه يتعقب كرز بن جابر الفهري (ت: 8هـ/627م) فلم يدركه، وسميت بـ: (غزوة بدر الاولى). الواقدي، المغازي، 12/1؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، 200؛ السهيلي، الروض الأنف، 51/5؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 1/ 263.

انتصار دينهم، إذ ورد عنه (O) أنَّه قال: "**وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**"[1].

إزاء الضغوط التي مارسها رأس المال الحاكم على مسلمي المدينة، فأن النبيُّ الأكرم بعد أنْ وضع أُس النظام القانوني (وثيقة المدينة)، شرع في التبشير بالدين الإسلامي في المناطق المجاورة للمدينة فعمل على إرسال السرايا والبعوث، واختلف المؤرخون[2] في أول لواء عقده رسول الله (O) فقيل إلى عمه حمزة[3]، وقيل إلى عبيدة بن الحارث[4]، ثم حاولوا التوفيق بين الخبرين فقالوا: "**أن بعث [حمزة] وبعث عبيدة كانا معاً فشبَّه ذلك على الناس**"[5]، وقالوا: أول بعث كان لبعد الله بن جحش[6]، واختلفوا أيضاً في عدد السرية، الثلاثين رجلاً، قيل: من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وعللوا ذلك بأن الأنصار شرطوا على النبي (O) أنَّهم يمنعونه في دارهم[7]، وقيل: شطرين، أي خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار[8].

يغلب الظن أنَّ اختلاف المؤرخين في أول من عقد له اللواء مرده أمّا الخوف من السلطان أو التزلف له، لأن التاريخ كما هو معلوم في غالبه، كُتب تحت أنظار الحكام والأمراء وبالتالي فأن المحاباة لهذا الطرف أو ذاك وارد في متن الروايات التاريخية[9]، والشيء المهم الذي ينبغي الوقوف عنده، أن تلك

([1]) ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، 316/2؛ البخاري، صحيح البخاري، 20/9؛ الطبراني، المعجم الكبير، 62/4.

([2]) الواقدي، المغازي، 9/1؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 260/1؛ المقريزي، إمتاع الإسماع، 71/1.

([3]) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة، ولد قبل النبي(O) بسنتين وقيل بأربع، عقد له (O) لواء في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام، واستشهد بأحد (3هـ/624م). ابن سعد الطبقات، 8/3-10 .

([4]) هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، يكبر رسول الله (O) قرابة العشر سنوات، استشهد يوم بدر (2هـ/623م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 50/3-51؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1020/3.

([5]) ابن هشام، السيرة النبوية، 174/2؛ السهيلي، الروض الأنف، 44/5؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 260/1.

([6]) هو عبد الله بن جحش رائب بن يعمر الاسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب، من المسلمين الاوائل هاجر الهجرتين، أخته زينب زوج النبي (O)، استشهد في أحد (3هـ/624م). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 89/3-91؛ ابو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، 1606/3-1607؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 878/3 .

([7]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 260/1؛ ابن الجوزي، المنتظم، 80/3.

([8]) الواقدي، المغازي، 9/1؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 71/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 214/3.

([9]) اختصر ابن هشام، سيرة ابن اسحاق، وبين في المقدمة اسباب اختصاره، نورد جزء منها، قال:" **وَبَعْضٌ يَسُوءُ بَعْضَ النَّاسِ ذِكْرُهُ**". ابن هشام، السيرة النبوية، 4/1؛ عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، 161.

السرايا أو البعوث التي أرسلت إلى أطراف الحريم السياسي للمدينة الهدف منها ليس كما صوره الرواة (التعرض لقافلة من قوافل التُجّار القرشيين)[1]، ويرى الباحث أنَّها أُرسلت للأسباب الاتية:

1- لصد اعتداء حاصل من لدن الملأ المكي سواء بخرق الحريم السياسي أو الاعتداء على مواشي المدينة، وقد صرح بعض المؤرخون عن ذلك[2]، بمعنى أنَّ النبي (O) كان في وضع الدفاع عن الحريم السياسي للمدينة وليس في وضع الهجوم أو الغزو بحسب ما وصف.

2- التبشير بالدين الإسلامي بين القبائل لاسيّما وأن النبي الاكرم (O) لم يأمرهم بالقتال، لعل السرايا التي كان يرسلها في بعض منها، لنشر الدين بين القبائل، وأنَّه كان يرسل جُلّ أصحابهِ، فلا غرابة من حملهم السلاح للدفاع عن أنفسهم إذا ما تعرضوا إلى خطر إبَّان تنقلهم ضمن الحريم السياسي للتبشير بالدين إذ أن العربي دأب على حمل سلاحه، وأنَّ ما حصل من قتل ابن الحضرمي[3]، فأن النبي (O) لامهم وأنبّهم على تصرفهم هذا، حتى جزعوا وضنوا أنَّه الهلاك، والذي اعقبته معركة بدر الكبرى(2هـ/623م)[4] .

3- لعل الغاية منها الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة، وعقد المعاهدات مع القبائل التي مساكنها على الطرق الرئيسة، وإشعار منافقي المدينة ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بالحريم السياسي للمدينة (الحدود الجغرافية)، ولعلها رسالة اشعار للجميع بأنّ المسلمين أقوياء؛ لإحباط التضليل الإعلامي الهادف إلى أنَّ المسلمين ضعفاء عسكرياً، وإنذار الملأ المكي عقبى طيشهم، حتى يفيقوا عن غيّهم الذي لا زال يتوغل في أعماقهم، وعلّها تشعرهم بتفاقم الخطر على اقتصادهم وأسباب قوتهم فيجنحوا للسلم.

4- اضعاف الملأ المكي اقتصادياً، ازاء القبائل الساكنة ضمن الحريم السياسي أو المتاخمة له، لبيان أنَّ الحريم السياسي للمدينة لا يمكن خرقه من لدن أعداء الإسلام وإنَّ القوافل التجارية المارة عبر هذا الحريم عليها أنْ تذعن للقوانين الإسلامية، وبالتالي فإن ذلك سوف يُسهم في فض جميع الاتفاقات الاقتصادية التي اجراها رأس المال الحاكم مع القبائل، أو اعادة حساباتها إبَّان وجود قوة إسلامية متنامية أضحت واقعاً مفروضاً لابد من التعامل معها بجدية بعيداً عن سذاجة وتخاريف الملأ، الذي بان ضعفه

([1]) للمزيد ينظر: الواقدي، المغازي، 553/2؛ السهيلي، الروض الأنف، 51/5؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 144/2.

([2]) خرج النبي (O) بنفسه في طلب كرز بن جابر الفهري، الذي أغار على سرح المدينة. الواقدي، المغازي، 12/1؛ السهيلي، الروض الأنف، 51/5.

([3]) عمرو بن الحضرمي، وقيل اسم الحضرمي هو: عبد الله بن عمار أو ضمار، من حلفاء بني أُمية، وهو أول قتيل من المشركين قتله المسلمون يوم نخله (2هـ/623م) خطأ، وخُمستْ أمواله، وكان مقتله مدعاة لقيام معركة بدر. البلاذري، أنساب الأشراف، 372/1؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 41/20؛ ابن حجر، الإصابة ، 445/4.

([4]) الواقدي، المغازي، 14/1-18؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 76/1-77؛ الديّار بكري، تاريخ الخميس، 366/1.

وعجزه قبالة الدعوة الإسلامية التي اثبتت صدق دعواها في قابل الأيام، يطالعنا ابن حبيب[1] في رواية، أنَّ النبي (O) بعد عودته من معركة بدر الكبرى (2هـ/623م) سمعَ أحد الصحابة من الأنصار ، قال: "**مَا قَتَلْنَا إلاَّ عَجائِزَ صُلْعاً، فَقَالَ [O] وسمّعه: أُولئك المَلأُ مِن قُرَيْشٍ**"، ولعل اعتراض النبي الأكرم (O) على ذلك الأنصاري – في وصفه للملأ – يريد بيان أنَّ هؤلاء كانوا ممن تهابهم قريش وتحسب لهم الحُسبان، لكن بانَ ضُعفِهم وعَجزِهم عند اللقاء.

5- إبعاث السرايا أسهم في اضعاف الملأ المكي، إذ أنَّ عبقرية النبي (O) التي تمكن فيها من احكام سيطرته على الطرق التجارية التي ترتادها قوافل الملأ ومنعها من المرور عبر الحريم السياسي للمدينة، أضعف الامكانيات المادية الاقتصادية لهم، ومن ثم قلة تمويلهم للحروب المزمع قيامها للقضاء على الدعوة الإسلامية .

لبيان ذلك فإنَّ الباحث أتخذ من أحدى السرايا التي بعثها النبي (O) عند الحريم السياسي للمدينة لإماطة اللثام عن مرادها للوقوف على النتائج التي توصل إليها الباحث آنفاً، ومن بين تلك السرايا ما عرف في الموروث التاريخي بـ: (سرية عبد الله بن جحش) [2] أو سرية :(نخلة) [3]، إذ ذكر المؤرخون[4]، أنَّ النبيُّ (O)، دعا عبد الله بن جحش أنْ يوافيه مع الصبح، وقال له:

1- " **قد استعملتك على هؤلاء النفر**"[5].

2- وحينما سأله عن الوجه التي يقصدها، قال:" **اسلك النجدية**"[1].

([1]) ابن حبيب، المنمق، 26.

([2]) هو عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي، من المسلمين الاوائل، هاجر الهجرتين، أستشهد يوم أحد (3هـ/624م). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 89/3؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 877/3؛ ابن الأثير، 90/3-19.

([3]) نخلة: أو بطن نخلة، هي ثنية على مسيرة ليلة من مكة، وادٍ على طريق اليمن إلى مكة وتسمى نخلة الشامية ونخلة اليمانية. البكري، معجم ما استعجم، 1304/4؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 1364/3؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 276/5-277. ما يعني إنَّها تقع على مفرق طرق بين الذاهب إلى اليمن و الشام، فهي تحتل موقع استراتيجي أيضاً بين مكة والطائف. علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 49/14.

([4]) الواقدي، المغازي، 13/1-18؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 602/1-606؛ السهيلي، الروض الأنف، 53/5-57؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 264/1.

([5]) النَفرُ: هو العدد الذي لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة، فيقال: عشرة نفر، أي عشرة رجال، ولا يقال: عشرون نفراً، ولا ما فوق العشرة، وجمعها: أنفار. الفراهيدي، كتاب العين، 267/8؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 833/2. أمّا الرهط: الرَّهْطُ: العدد الذي يجمع بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل من الثلاثة إلى السبعة، أو من السبعة ألى العشرة، ليس فيهم امرأة، وعليه في كل الأحول لا يتجاوز عددهم العشرة، ينتسبون الى قبيلة واحدة، ومنها قوله تعالى :﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ النمل/48. الفراهيدي، كتاب العين، 19/4؛ أبو منصور الهروي، تهذيب اللغة، 101/6؛ الزبيدي، تاج العروس، 311/19-316.

3- وأمره أنْ لا يفضَّ الكتاب إلّا بعد أنْ يسير مسافة ليلتين من المدينة، قال (O): "**فأمض حتى إذا سرت ليلتين فأنشر كتابي**".

4- ثم أمره قائلاً:" **لا تكرهنَّ أحداً من أصحابك على المسير معك وامضِ في مَنْ تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عِيْرُ قريش**"[2].

الملفت للنظر أن النبي (O) بعد عودته من بدر الأولى[3] التي خرج فيها لطلب كرز بن جابر الفهري[4]، الذي غار على سَرحْ المدينة (المواشي)، دعا عبد الله بن حجش واستعمله على نفرٍ، والنفر في لغة العرب لا يزيد على عشرة، ثم لم يحدد له الوجهة التي يقصدها بالدقة، إنَّما قال له : (**اسلك النجدية**)، ثم يسير مسافة ليلتين ويفضُّ الكتاب ليَعْلم ما فيه، ممّا يشير إلى مدى السرية والحذر والتكتم في عمل النبيُّ (O) حتى أنَّه لم يرسل معه إلَّا نفر من المهاجرين؟ لم يكن فيهم أنصاري، ثم أمره بعدم اجبار أحد على رفقته، والشيء المهم في الحادثة أنَّ النبي (O) أمرهم بـ:"(**ترصد خبر قريش**) وليس (عِيْرُ قُرَيْش) ولعل التحريف أو التصحيف طال لفظة: (خبر) فاضحت:(عِيْرُ)، والترصد[5] يعني الترقب وتحسس المعلومات عن العدو، فهو لم يأمرهم بقتال قط، ودليلنا في ذلك أنَّه أنَّبهم على تصرفهم، وجزعوا لذلك حتى ضنوا الهلاك[6]، ثم إنَّ عديدهم القليل لا يُفهم منه أنَّه يريدُ القتال، وإذا أخذنا بالحسبان عدد المقاتلين الذين خرج بهم النبي (O)؛ لصد الاعتداء الذي أحدثه كرز بن جابر الفهري في بدر الأولى (2هـ/623م)، وكان عديدهم بين المائة والخمسون والمائتين من المقاتلين، وحمل لوائه الإمام علي (T)[7]؛ فهو خارج لمواجهة اعتداء حاصل على ممتلكات المسلمين (سرح المدينة، والمواشي) ضمن الحريم السياسي للمدينة ولم يبادر

([1]) ذكرت النجدية حينما خرج أبو سفيان في غزوة السّويق في مائتي راكب، قيل: " **فسلك النّجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيّت من المدينة**"، وتيتٌ جبل قرب اليمامة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 65/2؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 137/4.

([2]) الواقدي، المغازي، 13/1-18؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 602/1-606؛ السهيلي، الروض الأنف، 53/5-57؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 264/1. والعِيْرُ: الإبل التي تحمل الميرة. ابن السُكيت، إصلاح المنطق، 28.

([3]) هي ذاتها سفوان، وهو واد في ناحية ابار بدر، خرج فيها النبي (O) على رأس مائتين من المسلمين، في طلب كرز بن جابر الفهري، ورجع دون قتال. السهيلي، الروض الأنف، 53/5-57؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 264/1؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 336/8 .

([4]) هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاحب بن حبيب الفهري، أسلم بعد الهجرة و استشهد عام الفتح عند دخول المسلمين لمكة أضل الطريق فقتله المشركون سنة (8 هـ/628م). ابن عبد البر، الاستيعاب، 1310/3.

([5]) **الرَّصَدُ:** هم القوم الذين يرصُدون كالحَرَس. الفراهيدي، كتاب العين، 96/7. أَرْصَدْتُ لَهُ: أَعْدَدْتُ، والترصد: الترقب، وتحسس الخبر: تطلبه وتبحثه. ابن منظور، لسان العرب، 177/3، 50/6؛ الزبيدي، تاج العروس، 99/8، 542/15.

([6]) ابن هشام، السيرة النبوية، 12-602-606؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 264/1.

([7]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 263/1؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 336/8..

إلى الحرب إلّا بعد أنْ علم بحصول اعتداء من الملأ المكي، ثم أنَّ معظم تلك السرايا كانت في السنة الثانية للهجرة، في وقت كانت فيه الدعوة الإسلامية لم يشتد عضدها بعد، فهل يعقل بأنْ يُرسل كل تلك السرايا لغرض القتال والمبادرة إلى الحرب؟، مما يدعونا للقول: أنَّ السرايا التي كانت وقتئذ لغرض الدفاع وليس المبادرة، وعلى هذا فإنَّ ذلك يعطي دليلاً على أنَّ السرايا التي بعث بها النبي (O) في حدود الحريم السياسي كانت للأغراض التي أشرنا في مستهل بحثنا .

وعلى هذا الأساس فأنَّ حروب الإسلام كانت دفاعية ورداً للعدوان فضلاً عن وصفها وسيلة لنشر السلام الإسلامي الذي يرمي إلى اقامة مجتمع عادل أساسه القيمُ الرفيعةُ، ولمّا أخذ الملأ باستخدام قوته المادية والمعنوية في ممارسة الضغط والتهديد للدولة الإسلامية في المدينة فقد شُرّعَ الجهاد في قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]، من أجل تحقيق الارادة الإلهية والعمل على إسعاد البشرية، إذن فالمسلمون أُجبروا على الحروب، وبالتالي يمكن القول: أنَّ الإسلام لم ينتصر ولم ينتشر بحد السيف، ولم تكن الحروب وسيلة أو هدفاً له، وانما جاءت تحت ضغط الإكراه، حينما لم يجد المسلمون بدٌ، وإلى هذا أشار أبو سفيان (ت:31هـ/651م)، قائلاً: " **كُنَّا قَوْمًا تُجَّارًا، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ حَصَرَتْنَا حَتَّى نَهَكَتْ أَمْوَالَنَا**" [2]، ما يعني أنَّ الملأ وضّف كل ما يملك من طاقات وامكانيات ورأس مال مادي ومعنوي في حرب النبي (O)، متخذاً شتى القرارات، الغاية منها حصر النبي (O) أو اضعافه أو قتله، ومن ثم الحفاظ على صدارتهم السياسية والاقتصادية في الجزيرة العربية، التي أخذ الدين الإسلامي يهددها، فهم توسلوا كل السبل للحيلولة دون قيام الدين، ومن هنا اتخذوا قراراً بالقضاء على الإسلام بحروب كان لرأس المال الاثر البالغ فيها .

اولاً: أثر رأس المال في معركة بدر (2هـ/623م).

شاءت المصادفة أنْ تكون إحدى قوافل الملأ المكي التجارية، عائدة في ذلك الحين من الشام، وكان ابو سفيان قد بعث إلى مكة، قبل مسيره، رسولاً يستنفر قريشاً لحماية القافلة، وقاد هذا إلى اعتقاد الذي لا مبرّر له بأن المسلمين راغبون في اعتراض القافلة، ومن ثم تزامنت معها معركة بدر(2هـ/623م)، ويغلب الظن أنَّ هذه الفكرة لا أساس لها من الصحة؛ فقد مرّت هذه القافلة نفسها بالمدينة في طريقها إلى الشام ذهاباً، من غير ان يتعرض لها أحد بسوء، ليس هذا فحسب، بل أنّ رأس المال الحاكم– في جميع

([1]) سورة الأنفال/ الآية 38.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 646/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 262/4؛ علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 297/13.

محاولاته– كان يسعى لتحريض الناس على الهجوم، وخلال استعداداتهم كلها من أجل ذلك– لم ينبسوا بكلمة تشير إلى الخوف المزعوم على سلامة القافلة، فقد كان مصرع ابن الحضرمي هو الحادثة الوحيدة التي استغلوها لإثارة اهتياج عارم يغري القوم بالانتقام، وإلى هذا، فقد كانت القافلة بعد أنْ انحرفت عن طريقها المألوف، قد بلغت مكة في سلام، قبل أن يلتقي الجمعان في بدر، اذن من الافتراء المحض أنْ يُنسب إلى المسلمين مثل هذه الدوافع، لقد كان تشوّف قريش الموصول إلى سحق قوة الإسلام النامية هو السبب الأوحد الذي قاد إلى نشوب المعركة، والواقع أنَّ المسلمين جرّوا اليها جراً، ومجرد الحقيقة القائلة بأن القوة الإسلامية لم تزد على ثلاثمئة وثلاثة عشر مقاتلاً، في جملتهم الغلمان، وكلهم مسلّحون تسليحا بسيطاً، يظهر أنَّهم كانوا أبعد ما يكونون عن التفكير في التصدّي لقوة مؤلفة من ألف رجل مزودين بالسلاح الكامل؛ لأنهم خرجوا صائمين وتخلف عدد من الصحابة عن المعركة[1]، ممّا يشير إلى أنَّهم لم يكونوا على استعداد لخوض الحرب، وإنَّما أُجبروا عليها[2]، ثم أنَّ سرية عبد الله بن جحش، بعثها النبي (O) للترصد، بمعنى أنَّ النبي (O) كان يتوقع أو يعلم بأنَّ الملأ من قريش يستعد لمهاجمته، فكان يبعث بالسرايا لترصد الأخبار عن العدو، وليس للقتال، أذن يمكن القول: أن هنالك حقيقة هي وقعة بدر سنة (2هـ/623م)، وهناك ما هو موازي للحقيقة يَكمُن في التفاصيل التي ربطت وقعة بدر مع التعرض للقافلة التجارية التي يتزعمها أبي سفيان لتجعل منه بطلاً تمكن من أن يسحل بالقافلة صوب البحر لتصل سالمة إلى مكة، يغلب الظن إنَّها من صنع الرواة، وجاءت تحت تأثير رأس المال فيما بعد، وجاءت لإبعاد أبو سفيان من مجابهة النبي (O) يوم الفرقان في بدر؛ ؛لأن بني أُمية الذين تربعوا على كرسي الخلافة للمسلمين ليس من مصلحتهم ابقاء أبو سفيان لأنَّ يكون ممّن لعنهم القرآن الكريم؛ ارادوا من الرواية تحسين موقفه بأن صيغت الرواية بهذه الصورة.

كان من نتائج واقعة بدر إنَّ عدد من المشركين تم أسرهم، وبالتالي ماهي الآلية التي يتم فيها التعامل معهم، أي هل بالإمكان عدهم رقيق ويتم التعامل معهم على هذا الأساس، أم ماذا؟ هذا مالم يدرك مكنونه إلّا الثلة القليلة من المسلمين وفي سابق حديثنا عن الكيفية التي اعتمدها النبي الاكرم(O) في اختيار ممن له القدرة والقابلية على حمل الرسالة الالهية تتجلى في الآلية التي اعتمدها الرسول (O) في التعامل مع الاسرى بمقتضى النص القرآني، إذ إنَّ النبي (O) في حربه مع كفار قريش التي

([1]) عدَّ المسعودي الذين تخلفوا عن معركة بدر، وكان عددهم ثمانية، ومع هذا فأن النبيَّ (O) فرض لكل منهم سهم. التنبيه والإشراف، 205. للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 66/2.

([2]) للمزيد عن أحداث بدر ينظر: الواقدي، المغازي، 39/1–145؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر،281/1–318؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 339/8–346. ولنا في ذلك شاهداً مماثلاً في وقعة الطف (61هـ/681م)، أن الإمام الحسين (Q) لم يكن قاصداً للحرب أنما أجبر عليها.

نتج عنها أسرى، وضع آلية ذات منحى اقتصادي واجتماعي، فهي ذات طابع اقتصادي تكمن في الحاجة إلى المال الذي لابد منه، إذا ما علمنا أنَّ المسلمين الذين هاجروا من ديارهم لم يحملوا معهم من المال ما يكفي لمعيشتهم بل تركوها في مكة والتحقوا بالمدينة مما يعني أنَّ الاستهلاك أخذ بالازدياد الذي لم يكن بمقدور مسلمي المدينة سده؛ لأن الأعداد تضاعفت وبالتالي لابد من زيادة في الانتاج لسد النقص الحاصل؛ ولهذا أجد أنَّ كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ركزت على العمل واولته أهمية بالغة[1]، وجاء النص القرآني يبين الكيفية التي يتم التعامل بها مع الأسرى كجزء من متطلبات الجانب الاقتصادي، إذ يقول جلّ وعلاّ في محكم كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[2]، فالقرآن الكريم اعطى المسلمين خياران للتعامل مع الأسرى **(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً)**، فإمّا أنْ يَمنوا عليهم بأطلاقهم من الأسرِ، وتحريرهم بغير عوض ولا فدية، وإمّا أنْ يفادوهم فداء بأنْ يعطوهم من أنفسهم عوضا حتى يطلقوهم، ويخلوا لهم السبيل[3]، ذكر ابن هشام[4] أنَّه قيل لأبي سفيان:" **افْدِ عَمْرًا ابْنَكَ، قَالَ: أَيُجْمَعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي، قَتَلُوا حَنْظَلَةَ، وَأَفْدِي عَمْرًا، دَعُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ يُمْسِكُوهُ مَا بَدَا لَهُمْ**"، فإطلاقهم بالمَنْ يمثل الجانب الاجتماعي الذي يلحق بالمُطلِق وهي ذات بعد اخلاقي تَكمنُ في العفو عند المقدرة، واخرى تلحق بالمُطلَق ترافقه طيلة حياته؛ ولهذا ورد في فتح مكة بأن وصف الذين مَنَّ عليهم النبي (O) بالطلقاء[5]، إذ جمع الناس وخاطبهم قائلاً: "**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**"[6] أمّا اطلاقهم بفداء فهي تمثل الجانب الاقتصادي الذي يمكن أنْ يعوض المسلمين ما خسروه بتركهم أموالهم في مكة، وبالتالي فأن تلك القاعدة أو الآلية التي سنها القرآن الكريم لضرب ما جرت العادة عليه في التعامل مع الأسرى وأخذهم ارقاء أو عبيد، إلّا أنَّ تلك القاعدة لم تستمر في التاريخ الإسلامي ونلحظ ازدياد عديد الرقيق بشكل ملفت للنظر في زمن ما يسمى بالفتوحات الإسلامية .

([1]) للمزيد ينظر: وناس والخفاجي، أهمية العمل في الإسلام، 49-50.

([2]) سورة محمد/ الآية 4.

([3]) الطبري، جامع البيان، 154/22.

([4]) السيرة النبوية، 650/1.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، 414/2؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 236/4؛ السمهودي، خلاصة الوفا، 98/1.

([6]) ابن هشام، السيرة النبوية، 412/2؛ المقريزي، إمتاع الإسماع، 378/8.

ثانياً: أثر راس المال في معركة أُحد (3هـ/624م).

كان لرأس المال الحاكم أثراً حاسماً في التحشيد والاستعداد لمعركة أُحد التي كادت أنْ تنهي الدعوة الإسلامية، وكان أثر رأس المال واضحاً في تلك المعركة، إذ عمد رأس المال الحاكم إلى أنْ يتخذ قرارٍ يقضي بتوظيف الأموال مع ما جنيت القافلة التي سبقت واقعة بدر (2هـ/623م) من أرباح في مواجهة النبي (O) والقضاء على الدعوة الإسلامية التي أخذ نجمها يسطع بعد بدر، التي خسر فيها الملأ أبرز قادتِهم[1]، وازدياد مخاوفهم من تعاظم أمر الدعوة، وعلى هذا أجمعوا للقضاء على النبي (O) وصحبه قضاءً مبرماً وصاروا إلى تسخير كُلِّ أموالهم وما يمتلكون من وجاهةٍ عند القبائل، وما يمكن تسخيره لصالحهم من القبائل والأحابيش والعبيد، عندها عقد الملأ مجلساً واتخذوا قراراً بمهاجمة المسلمين في المدينة، ويطالعنا الطبري[2] في ذلك، إذ وصف خطابهم الذي جاء فيه: " **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ... فَاجْتَمَعَتْ قريش لحرب رسول الله...وَأَصْحَابُ الْعِيرِ بِأَحَابِيشِهَا وَمَنْ أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كِنَانَةَ**[3] **وَأَهْلِ تِهَامَةَ**[4]**، وَكُلُّ أُولَئِكَ قَدِ اسْتَعْوَوْا عَلَى حَرْبِ رسول الله**"، وأنَّ مسألة تحشيد القبائل لحرب رسول الله (O) يبدو واضحاً إبَّان إرسال بعض الأشخاص إلى بلاد العرب لشحذِ هممهم وجمعهم للقتال، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أنَّ صفوان بن أُمية[5]، تمكن من اقناع أبو عزَّة الشاعر[6] لتوظيف اشعاره في كسب القبائل إلى جانب قريش، على

([1]) عتبة وشيبة أبنا ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان وامية بن خلف وأبا جهل وغيرهم. ينظر: الواقدي، المغازي، 147/1-152.

([2]) تاريخ الرسل والملوك، 500/2.

([3]) كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقريش هو النظر بن كنانة. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 11؛ ابن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، 43.

([4]) بعض الجغرافيين قسّمَ جزيرة العرب إلى خمسة اقسام: تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن، وتقع تهامة إلى الجنوب من الحجاز حتى اليمن، وسميت تهامة لشدّة حرّها وركود ريحها، وفيها أسواق اشهرها سوق حباشة، تسكنها القبائل العدنانية ومنها: مضر وربيعة وإياد. الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، 371؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، 47-48؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 10؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 63/2-64؛ القلقشندي، قلائد الجمان، 18.

([5])الْجُمَحِيُّ، صفوان بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح، اعطاه رسول الله من غنائم حُنين خمسين بعيراً يتألفه فيها، قتل أباه يوم بدر، ومات صفوان بمكة سنة (41هـ/681م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 449/5؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، 718/2-722.

([6]) الجمحيّ، عمرو بن عبد الله بن عثمان، أبو عزة، شاعر من أهل مكة، أسر على الشرك يوم بدر، فقال: يا رسول الله لقد علمت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن عليَّ، ولك أن لا أظاهر عليك أحدا، ولما عاد يوم أُحد طلب المن من رسول الله (O)، فقال النبي (O): لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، قتل سنة (3هـ/624م).ابن دريد، الاشتقاق، 131؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 317/1؛ الزركلي، الأعلام، 80/5- 81.

الرغم من إنَّ الأخير رفض العرض، إذ كان من الذين منَّ عليهم رسول الله (O) بعد أنْ أُسر في بدر(2هـ/623م)، إلّا أنّه وافق، بعد أنْ قال له: " **إِنْ رَجَعْتَ أَنْ أُغْنِيَكَ، وَإِنْ أَصَبْتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي يُصِيبُهُنَّ مَا أَصَابَهُنَّ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ فَخَرَجَ أَبُو عَزَّةَ يَسِيرُ فِي تِهَامَةَ، وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ، وَخَرَجَ مُسَافِعُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بن جُمَحٍ**[1]**، إِلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ يُحَرِّضُهُمْ ويدعوهم الى حرب رسول الله**"، فكان لقريش ما أردت وتمكنت من اعداد الجيوش وتوجهت الحشود صوب المدينة، وهنا تكمن آثار رأس المال في التحشيد لحرب الرسول (O) .

أنَّ مجريات معركة أُحد التي حُسمت لصالح كفة المسلمين أول الأمر، ثم انقلاب نتائج المعركة لصالح قريش، يبدو أنَّ هنالك خيانة قلبت موازين المعركة، لعّلها لم تكن بحسب ما ذهبت إليه الروايات، تبدو ملامحها في التحصن والإصرار على المواجهة داخل المدينة، ثم أنخزال ابن سلُول[2] في ثلث المقاتلين[3]، ونزول الرماة (أصحاب التل)[4] وقيام خالد بن الوليد[5] بعملية الالتفاف[6]، فهو مبرر غير غير كافي؛ لأنَّ العقل يقضي أنَّ هناك عملية خيانة في معسكر الجيش، لعلها من آثار أموال الملأ المكي في إحاكة الدسائس؛ فالمسلمين منهم من فر إلى المدينة ومنهم من لحق في الشعاب وآخرون

([1]) عند ابن كثير (نافع بن عبد مناف). البداية والنهاية، 10/4. وعند ابن هشام، (مُسافع بن عبد مناف). السيرة النبوية، 61/2. ولعل الصحيح، مُسافع بن عبد مناف. الزبيري، نسب قريش، 93؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 265/10.

([2]) عبد الله بن أبي من مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، رأس المنافقين في الإسلام، وهو سيد الخزرج توفي سنة (9هـ). البغوي، معجم الصحابة، 97/4؛ الزركلي، الأعلام، 65/4.

([3]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 39/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 41/2.

([4]) شرط النبي (O) على الرماة عدم ترك موضعهم (النزول من التل) سواء حُسمت المعركة لصالح المسلمين أم خسروا فيها. مما يؤكد أنَّ النبي (O) كان يدرك خطورة الموقف، ولعله كان يستشعر بوجود خيانة؛ فجاء في وصيته لعبد الله بن جبير الذي جعله على خمسين من الرماة قائلاً : " **انْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، وَاثْبُتْ مَكَانَكَ إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا**". ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 42/2. ولهذا فانه (O) حينما عاد من أحد سالماً وصار يتجه لحمراء الأسد أعلن أنْ لا يرافقهم إلّا من كان حاضراً في أحد؟!. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 53/2 .

([5]) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمير المخزومي، أسلم بعد الحديبية، توفي سنة (21هـ/643م) . ابن سعد، سعد، الطبقات الكبرى، 394/7؛ الزركلي، الأعلام، 300/2 .

([6]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 8/2-13؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 298/2-313.

أصحاب الصخرة كانوا يبحثون عن وسيط لقبولهم الردة عن دين الإسلام ودخول مكة[1]، فلم يبقَ مع النبيَّ (O) إلّا نفرَّ قليل يذودون عنه[2].

ثم أنَّ مسألة وجود شخصين أصبحا في مدينة الرسول (O) بعد معركة أُحد (3هـ/624م)، يثير الشك حول وجود مؤامرة دُبرت بليل من لدن الملأ المكي للقضاء على النبيّ (O)، وهؤلاء هم: معاوية بن المغيرة[3] وابو عزَّة الشاعر، الأول منهم أصبح في دار عثمان بن عفان، صوّر الواقدي[4] وجوده في المدينة بعد واقعة أُحد، بأن عليه دين ازاء عثمان، جاء للوفاء به، قال : "**فَإِنّ لَهُ عِنْدِي ثَمَنَ بَعِيرٍ اشْتَرَيْته عَامَ أَوّلٍ فَجِئْته بِثَمَنِهِ، وَإِلّا ذَهَبْت**"، هذا التبرير غير كافي لأنَّ النبيَّ (O) قد أحكم السيطرة على مداخل المدينة وكما بيّنا سابقاً كيف عمل (O) على تعيين حدود المدينة وارسال السرايا في الحدود ثم لعله (O) وضع المخافر والعيون على الحدود، فكيف تمكن معاوية بن المغيرة اختراق كل هذه الحجب حتى وصل دار عثمان دون أنَّ يعترضه أحد –لوفاء دين له– بَيْد أنَّ الصراع بين المسلمين والملأ المكي بلغ أوج عظمته، وكادت معركة أُحد تُحسم الموقف لصالحهم، فهل يعقل أنَّه جاء: (لوفاء دين بذمته!!)، هذا ما يدعونا إلى الشك في وصفه ممّنْ أُرسل لتدبير المكيدة وما حصل من نتائج معركة أُحد، أمَّا ابن الاثير[5]، فأنَّه يعلل وجوده في المدينة بإنَّه اخطأ الطريق فأتى دار عثمان يستجير به، وما جاء في النص : "**كَانَ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى دَارَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَهْلَكْتَنِي وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ. فَقَالَ: أَنْتَ أَقْرَبُهُمْ مِنِّي رَحِمًا، وَقَدْ جِئْتُكَ لِتُجِيرَنِي. وَأَدْخَلَهُ عُثْمَانُ دَارَهُ**"، وبطبيعة الحال فإنَّ هذا التبرير غير كافي، لأنَّ العرب عُرِفوا كيف يتعاملوا مع الصحراء في الاستدلال والاهتداء للطريق، ثم أنَّه خارج من واقعة صورت بأنَّ الملأ هو المنتصر فيها، ومن كان منتصراً لا يضل، فهو يختار

([1]) ورد في الرواية أنهم قالوا: "**لَيْتَ لَنَا مَنْ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ لِيَأْخُذَ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُونَا**". ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 46/2.

([2]) الواقدي، المغازي، 238/1. وفيها سطّر علي بن أبي طالب (J) أروع صور البطولة، فحينما حمي الوطيس واشتد القتال وكادت أنْ تحسم لصالح كفار قريش، كان علي (T) يذود عن النبي (O) يوجهه حيث يريد ، " **فَقَالَ لِعَلِيٍّ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ، ثُمَّ أَبْصَرَ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ لَهُ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَفَرَّقَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ، فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ الْمُؤَاسَاةُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمَا. قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ، وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ**". ابن الأثر، الكامل في التاريخ، 44/2.

([3]) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُمية، وهو من مثَّل بحمزة بن عبد المطلب في أُحد. ابن عبد البر، الاستيعاب، 1923/4؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 6/ 293.

([4]) المغازي، 332/1.

([5]) الكامل في التاريخ، 53/2.

الطريق بكل أريحيه كما أنَّه لم يكن فاراً من الواقعة، ثم لماذا أختار دار عثمان؟ إذا قال: بإنَّه يرتبط به بصلة الدم "**أَنْتَ أَقْرَبُهُمْ مِنِّي رَحِمًا**"، فإن ذلك يزيد من الطين بلة، فيزيد الشك من وجود التواصل معه قبل حدوث الواقعة، ثم أنَّ اختلاف ابن الأثير مع الواقدي في تبرير وجود معاوية بن المغيرة في المدينة بعد أُحد في دار عثمان بن عفان يوسع من دائرة الشك، ولاسيّما وأنَّ الأخير طلب لمعاوية الإجارة، ومنحه رسول الله (O) ثلاثة أيام لمغادرة المدينة إلّا أنَّه لم يغادر[1]، ووجدوه مختبأ بدار عثمان[2]!؟، ثم خروج النبي (O) إلى حمراء الأسد[3] حينما علم أنَّ الملأ يريد المدينة، وأمر أنْ لا يخرج معهم إلّا من كان حاضراً بأُحد[4]، يبدو أنَّ الموقف في المدينة بعد واقعة أُحد اضطرب كثيراً، ممّا حدى بالنبي (O) أنْ يمنع الخروج معه إلّا من كان معهم في أُحد؛ ليميز الخبيث من الطيب، فإنَّ النفاق بلغ أوجه، حتى أنَّ أبا سفيان وظّف رأس المال في الجانب الإعلامي، فلقي جماعة وطلب منهم أنْ يبلّغوا النبي محمد (O) استعداده للمواجهة واستئصال المسلمين ، وقال لهم: "**بَلِّغُوا عَنِّي مُحَمَّدًا رِسَالَةً، وَأَحْمِلُ لَكُمْ إِبِلَكُمْ هَذِهِ زَبِيبًا بِعُكَاظٍ**"[5].

مما تقدم نخلص إلى نتيجة: أنَّ رأس المال بكل أنواعه أحدث أثراً في القرار عند رأس المال الحاكم الذي وضف كل طاقاته في سبيل القضاء على الدعوة الإسلامية، سواء أكان ذلك باستخدام نفوذه في تأليب القبائل، أو في استئجار الأحابيش[6] مثلاً، أو في الجانب الإعلامي كما بينا ذلك آنفاً، وفي معركتي بدر (2هـ/623م) وأُحد (3هـ/624م)، ولاسيّما الاخيرة كادت أنْ تُنهي الدعوة الإسلامية، لولا تدخل العناية الإلهية، وصمود ثلة قليلة من الأصحاب يذودون عن النبيُّ (O) [7]، وإلّا فأنَّ المسلمين بين

([1]) المقريزي، إمتاع الإسماع، 178/1؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 449/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 353/2.

([2]) الواقدي، المغازي، 333/1.

([3]) وهو موضع على ثمانية أميال جنوب المدينة، خرج اليه رسول الله(O) في اليوم الثاني بعد أحد، فنزل بالشق الغربي منه وبعث بعلي بن ابي طالب (T) والمقداد والزبير إلى الشق الشرقي المعروف بروضة خاخ. البكري، معجم ما استعجم، 1330/4؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 301/2؛ الحميري، الروض المعطار، 200؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 65/4- 66.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 53/2.

([5]) ابن الأثير، 53/2؛ العامري، بهجة المحافل، 213/1.

([6]) ذكر ابن الأثير، بان الحليس بن زبان سيد الاحابيش مر على أبو سفيان وهو يضرب حمزة سيد الشهداء برمحه، بعد شهادته. الكامل في التاريخ، 49/2. مما يؤكد إلى مشاركة الأحابيش في المعركة إلى جانب رأس المال الحاكم.

([7]) الواقدي، المغازي، 238/1. وفيها سطّر علي بن أبي طالب (T) أروع صور البطولة، وحينما حمي الوطيس واشتد القتال وكادت أنْ تحسم لصالح كفار قريش، كان علي (T) يذودُ عن النبي (O) ويوجهه حيث يريد: " **فَقَالَ لِعَلِيٍّ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ، ثُمَّ أَبْصَرَ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ لَهُ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَفَرَّقَهُمْ وَقَتَلَ فِيهِمْ، فَقَالَ**

بين قتيل[1] وجريح وبين فار بنفسه صوب المدينة[2] وبين مَنْ يروم الرَّدةُ عن دينهِ، يبحث عن وسيط عند أبو سفيان ليدخل مكة آمناً [3]، ويرجح الباحث أنَّ تلك المأساة التي لحقت بالمسلمين من آثار رأس المال بكل أنواعه، كما بينا ذلك فيما تقدم.

جِبْرَائِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ الْمُؤَاسَاةُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمَا. قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ، وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ". ابن الأثر، الكامل في التاريخ، 44/2.

([1]) لكثرت من استشهد في أُحد مع قلة مؤنتهم، ذكر المؤرخون :أن الحمزة بن عبد المطلب، كان من بين الشهداء، لم يوجد له إلّا بردة يكفن فيها، فإذا غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطي رجلاه بدا رأسه، فأمرهم رسول الله (O) أنْ يغطوا رأسه ويلقوا على رجليه شيئا من الإذخر . البيهقي، دلائل النبوة، 300/3؛ محب الدين الطبري، ذخائر العُقبى، 184.

([2]) فرَّ أصحاب رسول الله (O) يوم أُحد(3هـ/624م) ولم يبقَ منهم إلّا ثمانية، ومن جملة الفارّين عثمان بن عفان ذو النورين!. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 522/2؛ السهيلي، الروض الأنف، 289/7.

([3]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 46.

الفصل الثالث

أثر رأس المال في الانقلاب السياسي والديني

المبحث الأوَّل

أثر رأس المال في الانقلاب السياسي(إمرة المسلمين).

عَمِلَ نبيُّ الأُمة (O) منذ الوهلة الأولى لإعلان دعوته الإسلامية على بناء مجتمع الاخوّة، ليكون قادراً على حمل الرسالة السماوية، وانتشال مجتمعات الجزيرة العربية من واقعهم المُزرِ إلى مجتمع متحضر يقضي فيه على بعض التقاليد والأعراف الاجتماعية التي درجوا عليها، ولتحقيق ذلك فإنَّه بدأ باختيار المسلمين الاوائل، وحينها أوضحنا مسألة وصف علي بن أبي طالب (T) أول من أسلم؛ لتجسد القدر والقابلية على فهم واستيعاب الرسالة السماوية في شخصه، ومن ثم تأمين استمرار ما بناه الرسول (O) في الحقب اللاحقة.

وعلى هذا الأساس فإنَّه (O) أعدَّ العُدة في التمهيد لذلك بأن أوضح في غير موطن بأحقية الإمام علي (T) لولاية الأمر من بعده، فأثر عنه أنَّه (O) قال لعلي (T):" **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**"[1]، ومنها قوله (O):"**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَا عَلِيًّا...وَأَعْطَاهُ اللِّوَاءَ**"[2]، وأحاديثٌ كثيرةُ بلغت حدِّ التواتر[3]،لامجال لذكرها[1]، فهو (O) أراد منها تهيئة الأُمة لتقبل الإمام في حفظ الدين وسياسة الدنيا،

([1]) ابن راشد، جامع معمر بن راشد، 226/11؛ أبو داود، مسند أبي داود، 167/1؛ ابن حنبل، مسند احمد بن حنبل، 114/3.

([2]) ابن حنبل، فضائل الصحابة، 604/2-618؛ البخاري، صحيح البخاري، 60/4، 18/5؛ النسائي، السنن الكبرى، 311/7، 411-418؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، 377/15.

([3]) الخبر المتواتر: هو خبر جماعة يُفِيد بنفسهِ العلم بصدقه لاسْتحَالَة توافقهم على الكذِب كالمخبرين عن وجود مَكَّة ومعركة بدر. الكناني، المنهل الروي، 32.

يُغلب الظن أنَّ بعض الصحابة لم يدركوا كنهِ ما جاء به نبيُ الأمة؛ لقصور معرفتهم؛ ولهذا سرعان ما ينقلبوا على اعقابهم، والقرآن الكريم على لسان النبيَّ (O) حذّر من ذلك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، وبيّنا ذلك في أحداث معركة أُحد (3هـ/624م) [3]، وفي موارد أخرى يعترضون على بعض الاجراءات التي أتخذها النبي (O)[4]، منها –على سبيل المثال لا الحصر– اعتراضهم عند توزيع غنائم ثقيف، حينما أعطى المؤلفة قلوبهم، إلّا إنَّهم بعد أنْ بين لهم غايته، عادوا ادراجهم نادمين[5]، وإزاء مستقبل رسالته السماوية، فإنَّه مُدرك جيد أنَّه سيرحل إلى بارئه حتماً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[6]، وعلى هذا الإساس أضحى لزاماً الإعلان عمّن سيخلفه في إكمال رسالته السماوية، فكتب إلى عليٍّ (T) أنْ يأتي بأهل اليمن[7]؛ ليشهدوا الحجة والبيعة بالأمر فحضروا، وأخذ البيعة له بولاية الأمر[8]، ومن ذا يتضح أنَّه (O) قد أختار الزمان والمكان المناسبين؛ لإعلان ولاية الأمر عند غدير خُمَّ[9]، فمن جهة المكان، فإنَّ خُمَّ يقع على مفرق طرق للذهاب إلى مكة أو المدينة، فيكون قد أختارها قبل افتراق المسلمين بعد أنْ اجتمعوا في الحجّ ليُعْلِم الكافة، ومن جهة الزمان فإنَّ موسم الحج يكون المسلمون فيه قد حضروا بأجمعهم .

ذلك مّما لا يُريح الطامحين إلى ولاية الأمر الذي أفضى فيما بعد إلى ظهور فريق الطامحين والمنافقين، إذ ذكر سُلم[10] رواية مفادها، أنَّ هؤلاء الطامحين بعد عودتهم إلى المدينة اجتمعوا في دار أبي

([1]) للمزيد ينظر: ابن حنبل، فضائل الصحابة، 566/2–682؛ البخاري، صحيح البخاري، 19/5، 3/6؛ مسلم، صحيح مسلم، 1870/4–1871؛ ابن ماجة، صحيح ابن ماجة، 42/1–45.

([2]) سورة آل عمران/الآية 144.

([3]) للمزيد ينظر: الفصل الثاني من الأطروحة، 38–44.

([4]) بعد عودتهم من حنين اعترضوا ناقة رسول الله (O) يسألونه غنائمهم حتى عدلوا ناقته عن الطريق واسقطوا ردائه. ابو عبيد، الأموال، 317، 385.

([5]) ابن هشام، السيرة النبوية، 492/2؛ ابن حزم الاندلسي، جوامع السيرة، 245–247؛ السهيلي، الروض الأنف، 7/ 357–358.

([6]) سورة الزمر/الآية 30.

([7]) ابن حزم، جوامع السيرة، 261؛ الطبرّسي، إعلام الورى، 144–146؛ البيهقي، دلائل النبوة، 436/5.

([8]) الطّبرسي، إعلام الورى، 144–146؛ الحميري، الروض المعطار، 156؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 171/3.

([9]) وادٍ بين مكة والمدينة في الجحفة فيه عين ماء كثير المطر، كان محلٌ للنزهة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 389/2؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 70/7.

([10]) كتاب سليم بن قيس، 42–43.

بكر وكتبوا صحيفة بينهم، تعاهدوا وتعاقدوا عليها، تتلخص بنكث الولاية لعلي (T) وإنَّ الأمر إلى : (أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة)، بالتتابع[1]، ودُفِنتْ تلك الصحيفة في الكعبة المشرفة، وإبَّان وإبَّان مرض النبيَّ (O) الذي توفي فيه، أمرهم أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لنْ يضلوا بعده أبداً، فجاءت الإجابة: أنَّه يهجر وغلبه الوجع، وحسبنا كتاب الله[2]، فكان عبد الله بن عباس [3] كثيراً ما يردد قوله: "**إِنَّ الرَّزِيَّةَ، كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِاخْتِلَافِهِمْ، وَلَغَطِهِمْ**"[4]؛ لأنَّهم يعلمون بوصيته لعلي (T) بولاية الأمر؛ فحالوا دون أنْ يوثق ذلك بكتاب، ولمّا كثر لغطهم وعلا صوتهم بحضرة نبيهم (O) أخرجهم من عنده، فكان لهم ما اردوا.

أنَّ وفاة النبي الإعظم(O) كان لها أثرٌ بالغٌ في فقدان الاجتماع السياسي والديني للجماعة الإسلامية، القى بضلالهِ على دولةَ المدينةِ، فالمسلمون كافة على اختلافِ مشاربهم ممن اسلموا طائعين أو مكرهين، كانوا قد فقدوا نبيهم وقائدهم الذي تمكن من أنْ يجمع كلمتهم، لما يمتلكه من قدرات وقابليات– فضلاً عن كونه نبيُ الأُمة – تمكن من بناء النواة الأولى للمجتمع الإسلامي على أساس الإخوة في الدين أي الجماعة الإسلامية، بديلاً عن رابطة الدم أو التعصب القبلي، أي من ثنائية الأوس والخزرج إلى ثنائية الأنصار والمهاجرين، والكاريزم التي تجَسدتْ في شخص النبي (O) يمكن عدّها مصدر قوة للمسلمين بدءاً من إعلانه الدعوة الإسلامية وحتى رحيله، وبالتالي فأن فقده أعطى الطامحين للسلطة فُسحة تمكنوا فيها من بسطِ نفوذهم متخذين من السابقة في الإسلام، مصدراً لقوتهم في نيل مبتغاهم ناهيك عن قوتهم الاقتصادية، فأنَّ الطامحين للسلطة، اتخذوا قراراً يقضي بتبوئهم إمرة المسلمين خلفاً للنبي الأكرم(O)[5]، متكئين في ذلك ذلك على قوة السابقة في الإسلام (الصحبة) والقرابة القبلية مكَّنهم ذلك من الاحتجاج به على الأنصار مما

([1]) ومما يعضد هذه الرواية قول عمر بن الخطاب: " **لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته**". ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 32.

([2]) ابن حزم، جوامع السيرة، 263؛ الطبرّسي، إعلام الورى، 147.

([3]) حَبرُ اللأُمة، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد بمكة، وشهد مع الامام علي(T) حربي الجمل (36هـ/657م) وصفين (37هـ/658م)، عالماً بالحديث والأنساب والشعر، كف بصره وسكن الطائف حتى وفاته فيها عام (68هـ/687م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/331–356؛ ابن حجر، الإصابة، 4/123–130.

([4]) البيهقي، دلائل النبوة، 7/184؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 14/446؛ الديّار بكري، تاريخ الخميس، 2/164.

([5]) أورد سليم بن قيس الهلالي رواية عن سلمان المحمدي، أنَّ جماعة تعاهدوا وتعاقدوا في مكة على أخذ الأمر عن أهل البيت في حال وفاة النبي (O) أو قتله، وهؤلاء هم: ابو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجرّاح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، 42–43. ويعضد هذه الرواية قول ابن الخطاب عندما سألوه تعين من سيخلفه في إمرة المسلمين قال: " **لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ... وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ**". الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/227.

شكل خرقاً في وحدة الجماعة الإسلامية والعودة إلى الانتماء القبلي الذي بان بوضوح في خطاب أبي بكر في السقيفة الذي جاء فيه: "**لَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ**" [1].

إنَّ السابقة في الإسلام (الصحبة) التي مثلت أحدى المرتكزات الرئيسة التي احتجَّ بها الطامحين للسلطة في سقيفة بني ساعدة[2]، والذي يمكن عدّها رأسُ مالٌ رمزيٌ، لمِا لها من قوة التأثير، الذي لم يَحْظَ بها من المسلمين غير جمهرةٌ قليلةٌ ممّن أسلموا قبل الهجرة، وعدوا أنفسهم ممّن تحملوا أثمان إسلامهم عزلاً وعقاباً من بيئتهم المكية المناهضة للدعوة الإسلامية، وشكل هؤلاء ما يمكن تسميته بـ: (الصحبة الخاصة)، وهي قليلة العدد في قبالة (الصحبة العامة) التي ضمّتْ المهاجرين والأنصار، ورأس مال السابقة في الإسلام، أُتخذ منها اساساً لمشروعية **الأمر** والسلطة في الإسلام، وعلى هذا احتج أبي بكر (11-13هـ/633-635م)، قائلاً: " **أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا، أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا**"[3].

المذهل حقاً أنهم تركوا نبيهم يصارع الموت وحضورا السقيفة التي تدور حولها كثيراً من الاستفهامات والتساؤلات، ما عسى أنْ تضم السقيفة تحت ظلها من أعداد؟ وهل كان اجتماعهم لمرض المَّ بسعد بن عبادة[4]؟، الذي وصِف بأنَّه كان عليلاً[5]، أم كان الغرض: مَنْ سيخلفهُ في أمرة الأوس والخزرج؟ بوصفه كان على فراش الموت، أم أن حادثة السقيفة نسيج تاريخي نسجه الرواة لإضفاء واقعة السقيفة؛ لتغييب الإنقلاب الذي حصل فيها، الاحتمال الأول وارد ويتفق مع المنطق؛ لأنَّ ذلك مما درج عليه العرب في اختيار مَنْ سيخلف أميرهم في حال مرضه مرضاً لا يرجى شفاءه فيعمدوا إلى اختيار ما يرونه مناسباً بالتشاور مع رئيسهم، أمّا السؤال الآخر، هل كان اجتماعهم هو لحيازة أمرة المسلمين عامة، أم أنَّ

([1]) ابن هشام، السيرة النبوية، 659/2؛ السهيلي، الروض الأنف، 590/7.

([2]) السقيفة: كلّ بناء سقّف به صفّة أو شبه صفّة ممّا يكون بارزا، وأمّا بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حيّ من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو، منهم سعد بن عبادة (ت:15هـ/637م). ياقوت الحموي، معجم البلدان، 228/3-229؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 92/4.

([3]) الترمذي، الجامع الكبير، 52/6؛ البزار، مسند البزاز، 94/1. وورد عند ابن قتيبة الدينوري بصيغة اخرى مشابهة قال:" **ومن أحق بها منّى! أو لست أوّل من أسلم**". المعارف، 169.

([4]) هو سعد بن عبادة بن دليم، من بنى ساعدة، من الخزرج، ويكنى أبا ثابت، وكان يحسن الكتابة قبل الإسلام، وخرج إلى الشام بعد وفاة رسول الله(O) فتوفى بحوران أيام عمر بن الخطاب سنة (15هـ/637م) وكان سبب موته، فيما يزعم المؤرخون أنَّه جلس يبول في نفق، فلدغ، وقيل قتلته الجن. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 613/3 ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 259؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 204/2-205. يغلب الظن أنَّ مقتله جاء نتيجة عدم البيعة للطامحين للسلطة ومعارضته لهم فتم تصفيته .

([5]) السهيلي، الروض الأنف، 590/7؛ ابن الجوزي، المنتظم، 66/4؛ الديّار بكري، تاريخ الخميس، 167/2.

اجتماعهم للتشاور معه في مسالة الأمر من بعد النبيُّ (O)، بالإجمال هل كان اجتماعهم لمصلحة الأنصار أنفسهم أم لعامة المسلمين، أم أنَّ أمر السقيفة جاء موازياً للحقيقة، لتغطية الانقلاب ؟.

بحسب الدارج من الرواية فأنَّ اجتماع المهاجرين كان في خطوة استباقية أراد منها الأنصار الاتفاق على أخذ البيعة لعليَّ (T)؛ لأنَّهم يدركون ما كان يخطط له المهاجرين ولاسيّما الثلاثة الذين حضروا السقيفة، (ابو بكر وعمر وأبي عبيدة)، ويرجح الباحث إنَّ حضورهم لم يكن محض صدفة، وإنَّما باتفاق مسبق بين عدد من المهاجرين والأنصار، وما يؤيد ذلك في العرض الأول قالوا لهم: "**مِنَّا الْأُمَرَاءُ وَمِنْكُمُ الْوُزَرَاءُ**"[1]، وحينما لم يجد الأنصار بدٌ من مواجهة الثلاثة[2]، ومن خذلهم من الأنصار، ولاسيّما بشير بن سعد[3]، الذي بادر إلى القوم وحدثهم بعدم منازعتهم الأمر، قال: " **وَايْمُ اللَّهِ لَا يَرَانِي اللَّهُ أُنَازِعُهُمْ هَذَا الْأَمْرَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخَالِفُوهُمْ**"[4]، عندها نزلوا عند قول الحباب بن المنذر الجموح[5]: "**منا أمير ومنكم أمير**" [6]، وهذا ما يعضدهُ قول سعد بن عبادة حينما سمعها، قال :"**هذا أول الوهن**"، يفهم من النص أنَّ الأنصار أردوا البيعة لعليٌ (T)، ولكن حينما خذلهم القوم صاروا يحتفظوا لأنفسهم بعض المكاسب فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، لكن ابن الخطاب حينما استشعر ضعفهم، بادر قائلاً :" **هيهات لا يجتمع اثنان فِي قرن! والله لا ترضى العرب أنْ يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أنْ تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدل بباطل، أو متجانف لاثم، ومتورط فِي**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 202/3؛ ابن حبان، السيرة النبوية، 422/2.

([2]) ذكر المسعودي افتراق الأنصار فقال:" **وتخلى الأوس عن معاضة سعد خوفاً أنْ يفوز بها الخزرج**". مروج الذهب، 321/2.

([3]) أبو النعمان، بشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أول من بايع أبي بكر من الأنصار قتل في عين التمر (12هـ/633م)، مع خالد بن الوليد. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 532/3؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 231/1. وكان قد أعطى مشورة إلى أبي بكر، قال: " **إِنَّهُ قَدْ أَبَى وَلَجَّ، فَلَيْسَ يُبَايِعُكُمْ حَتَّى يُقْتَلَ**". الذهبي، سير أعلام النبلاء، 276/1.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 191/2.

([5]) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب الخزرجي الانصاري، من ذوي الرأي والشعراء الشجعان، صاحب صاحب لواء الخزرج يوم بدر(2هـ/623م)، شهد مع رسول الله (O) المشاهد كلّها، توفي زمن عمر بن الخطاب. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 567/3-568؛ أبو نعيم الاصبهاني، معرفة الصحابة، 867/2؛ ابن الأثر، أُسد الغابة، 436/1-437.

([6]) ابن أعثم، الفتوح، 285/4؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 65/5؛ ابن الجوزي، المنتظم، 66/4.

هلكة"[1]، يفهم من النص أنَّ ابن الخطاب تكلّم من مصدر قوة، وتهديد لكل من ينازعهم الأمر مكرساً بذلك رمزية السيادة لقريش، وتهديدٌ واضحٌ للأنصار.

بعد أنْ لوح الثلاثة بالحرب، وذلك بحسب ما ورد في قول أبي بكر مخاطباً سعد بن عبادة: " **لئِنْ نَزَعْتَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، أَوْ فَرَّقْتَ جَمَاعَةً، لَنَضْرِبَنَّ الذى فيه عيناك**" [2]، ولعل هذا الذي حَمل سعد بن عبادة، إلى مخاطبة ابن الخطاب قائلاً: "**أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض، لسمعت مني فِي أقطارها وسككها زئيرا يجحرك وأصحابك، أما والله إذا لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع**" [3]، ينبئ النص عن حدة الصراع الذي دارت رحاه في سقيفة بني ساعدة، ويعضده قول الحباب، حين انتفض قائلاً: "**انا جَذيلها المُحكَك**[4]، **وعذيقُها المرجّبْ**[5]**! أما واللَّه لئن شئتم لنُعيدنَّها جذعة**"[6]، مما يشير إلى حجم حجم التهديد الذي لاقاه الأنصار ومصدر قوة الثلاثة من رمزية قريش ورأس المال الاقتصادي في تسخير القبائل لخدمة مخططهم، وهذا ما يدل على أن المؤتمرون اعادوا النزعة القبلية إلى سابق عهدها والنكوص إلى القبلية العشائرية وتفكيك مجتمع الاخوَّة الذي صاغه نبيُ الأُمة(O).

يبدو أنَّ حادثة السقيفة كانت ممّا خطط لها مسبقاً لاتفاق وفاة النبيُ الأعظم (O)، ومرض كبير الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي ومن ثم مقتله الذي نُسب إلى الجن[7]، وتصريح ابن الخطاب، قائلاً :" **خَشِيتُ إِنْ فَارَقْتُ الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُحْدِثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً، فَإِمَّا أَنْ نُتَابِعَهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى بِهِ، وَإِمَّا أَنْ نُخَالِفَهُمْ فَيَكُونُ فَسَادًا**"[8]، ودخول قبائل اسلم[9] إلى أزقة المدينة حتى ضاقت بهم، إذ نطالع في ذلك

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 220/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 191/2 .

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 223.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 222/3.

([4]) جذيلها: هو تصغير جذل، أراد العود الذي يُنصب للإبل الجربى لتحتك به، أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الإبل الجربى بالاحتكاك. الفراهيدي، كتاب العين، 94/6 .

([5]) عذيقها: تصغير عذق: العذق: كل غصن له شعب. والعذق أيضا: النخلة عند أهل الحجاز، والمرجب: هو أن تدعم النخلة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع، يقال: رجبتها فهي مرجبة. ابن منظور، لسان العرب، 232/10.

([6]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 221/3؛ النويري، نهاية الأرب، 35/19.

([7]) للمزيد عن مقتله، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 617/3؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 94/15.

([8]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 615/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 189/2.

([9]) بنو أسلم بن أفْصي بن حارثة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر، من الازد القحطانية، التي نزحت من اليمن، ولأسلم بن أفصي: سلامان وهوازن، وفروعهم. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، 456/2–459. يعدهم ابن عبد البر بطن من بطون خزاعة، ويرى أن كل ولد ربيعة بن حارثة ومنهم خزاعة؛ تخزعوا من بني عمرو بن عامر، أي تخلفوا عنهم

النص للطبري، قائلاً: "**أنَّ أسلم أقبلت بجماعتها حَتَّى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلّا أنْ رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر**"[1]، فما هي صلة تلك القبيلة بالثلاثة (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة)، وما الذي دعاهم للدخول إلى المدينة حتى تضايقت بهم السكك؟، لبيعة أبي بكر، ثم تصريح ابن الخطاب بالنصر حينما شاهد دخول قبائل أسلم إلى المدينة، يفهم من النص أنَّ الأمر مُبيَّتْ ومُعد إعداداً مسبقاً.

والمذهل حقاً أنَّهم انشغلوا في أمرة المسلمين تاركين تغسيل وتكفين نبيهم (O) حتى حسموا الأمر، ولا يستبعد الباحث أنَّ دخول قبائل أسلم بهذا الكم الهائل إلى المدينة –حتى تضايقت بهم السِكَك–، من تأثير رأس المال الذي طالما اتكأت عليه قريش في تحقيق مآربها، ويغلب الظن أنَّ دخولهم بهذا الشكل يكون بأسلحتهم؛ لأنَّ العربي اعتاد على حمل سلاحه في أوقات السلم والحرب[2]، فما بالك إذا كانت الأمرة متفق عليها مسبقاً، ولعل استجابت أسلم لدعوة ابن الخطاب تكون بالضد من الأوس والخزرج الذين كانوا يمثلهم سعد بن عبادة، ناهيك عن أثر رأس المال فيهم، وبالتالي فأن قبول البيعة في الأمر لأبي بكر في محاولة منهم لاستبعاد ابن عبادة، وانتزاع السيادة من الأنصار، وحينما لم يجد الأنصار بد من مواجهة ابن الخطاب الذي استعان ببني أسلم مع غياب بني هاشم، أصبحوا قد أذعنوا للأمر الواقع[3]، مع احتجاج الثلاثة عليهم بالصحبة أو السابقة في الاسلام، تلك القوة التي اتكأ عليها ابن الخطاب والتي اسفر عنها قبول الأمرة لأبي بكر مع قوة قبائل أسلم، ومنذ تلك اللحظة دبَّ الضعف والانقسام في الجماعة الإسلامية التي كان النبي (O) يأمل منها لقيادة الأمة، فذهبت جهوده ادراج الرياح؛ وجاءت بيعة أبي بكر فلّتة وقى الله المسلمون شرّها[4]، وحصول الانقلاب السياسي.

وفارقوهم وتفرقوا في البلدان، اربعة شعوب. الاول: ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهم بني جفنة (الغساسنة) في الشام، والثاني: أسلم بن أفْصي، والثالث: ملكان، والرابع: مالك بن أفصي بن حارثة بن عمرو بن عامر. الإنباه على قبائل الرواة، 84–85. استقر بنو أسلم بن افصي في ثنية ثعثع وهو جبل سليع في المدينة ويعدون من الأنصار إلى جانب الأوس والخزرج. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 242/3؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 732/2.

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 218/3.

([2]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 308/13.

([3]) أورد الطبرّسي رواية عن الإمام الصادق (T)، ذكر فيها ما حدث إبَّان وفاة الرسول (O)، وقال: "**وانتهزت الجماعة الفرصة لأنشغال بني هاشم برسول الله (O) وجلوس علي صلوات الله وسلامه عليه للمصيبة فتنازعوا إلى تقرير ولاية الأمر لأبي بكر ما اتّفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهة القوم تأخير الأمر إلى أنْ يفرغ بنو هاشم من مصاب رسول الله (O) فيستقرّ الأمر مقرّه فبايعوا أبا بكر**" . إعلام الورى، 151.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،205/3؛ المقدسي، البدء والتاريخ،190/5؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 245/5.

جاء احتجاج الثلاثة على المهاجرين بالقرابة من رسول الله(O)،على الرغم من أنَّ قبيلة أبو بكر لم تكن بذات العدد الذي يؤهله للأمر، وهذا ما أشار اليه أبو سفيان حينما علم بتولية أبي بكر أمرة المسلمين، خاطب الإمام علي (T)، قائلاً" **مَا بَالُ هَذَا الأَمْرِ فِي أَقَلِّ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ... ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ.. فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ[Q]، وَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ الإِسْلامَ شَرًّا! لا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ.**"[(1)]، أراد أبو سفيان من ذلك اشعال الحرب، والنكوص القبلي إلّا إنَّ الإمام (Q) وهو المدرك لعواقب الأمور القمه حجر فلم يحرِ جواباً، فعليٌ (Q)، كان أحرص الصحابة على حفظ الموروث النبوي وهو المؤتمن الأول عليه والمعنيُّ بحفظه، الذي تشرب تعاليم النبيُّ (O) وتحلى بأخلاقه منذ صباه، فتصرف بحكمة سياسية وشجاعة أدبية حتى قطع الطريق على خيار الفتنة تحت دعوى إنصافه في حقه وركن إلى أسلوب المعارضة السلمية لأبي بكر، فمنذ متى كان أبو سفيان حريصاً على الإسلام ووحدة المسلمين، لكنه أراد أنْ يعديها إلى سابق عهدها جذعة، فهو ما زال يتطلع إلى الزعامة والسيادة لقريش، لكنه لا يملك قوة الشرعية، أي لا يجرُؤ على أنْ يدعي لنفسه الأمر بوجود الإمام علي (Q)، مع أنَّ الإمام يملك قوة الشرعية إلّا أنَّه رجح كفة الحفاظ على بيضة الإسلام، على كفة إمرة المسلمين، أي رجح كفة الحفاظ على الجانب الديني، على كفة الجانب السياسي، فعمل القوم على استرضاء أبي سفيان بأنْ استعملوا ابنه يزيد على الشام[(2)]، فكُمِتْ الأفواه تحت قوة السيف تارة والمناصب تارة أخرى، وأميط اللثام عمّا خُفيَّ في غابر الأيام؛ فأعادوها جذعة[(3)]، وعلى هذا الأساس صاغوا الاحاديث المكذوبة على النبي (O) منها، على أنَّه قال:" **إِنَّمَا مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ أَوْ أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ فَأَيُّهَا اقْتَدَوَا اهْتَدَوْا**"[(4)].

أمّا موقف الإمام علي (Q) منها فإنَّه لم يجد المناصرين له، فأثر الحفاظ على بيضة الإسلام واستمرار ما بناه رسول الله ولو بعد حين، ولما سؤل عنها، قال: "**أما والله لقد تقمصها ابنُ أبي قحافة أخو تيم**[(5)]، **وإنَّهُ ليعلم إنَّ محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونها**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،209/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 187/2؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء،55.

([2]) الطبرسي، إعلام الورى، 151.

([3]) جَذَعَة: أي أول ما يُبْتَدَأ بها. الفراهيدي، كتاب العين، 221/1. ويقال: فر له الأمر جذعاً إذا عاوده من الرأس، والحرب اذا طفت بين القوم يقول أحدهم: أنْ شئتم اعدناها جذعة، أي من أولها. الزمخشري، أساس البلاغة، 128/1.

([4]) الحديث مما لم يرد في كتب الصحاح، إذ أورده ابن عبد البر، وقال عنه: **هَذَا الْكَلَامُ لَا يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ [ص]** " وانكره وضعّفه. جامع بيان العلم وفضله، 923/2. ومنها قوله: "**مَثَلُ أَصْحَابِي فِي النَّاسِ كَمَثَلِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ**"، ويعقب الراوي بالقول: هيهات ذهب ملح القوم. ابن راشد، الجامع، 221/11؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، 58/1.

([5]) في مصادر أخرى (ابنُ فلان) والمراد به أبي بكر. الشريف الرضي، نهج البلاغة، 33–39.

ثوباً وطويت عنها كشحا[1]، وطفقت ارتأى بين أنْ اصول بيد جذاء أو أصبر إلى طخية عمياء[2]، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شذى أرى تُراثي نهبا"[3]، ما يشير إلى أنَّه (Q) صبر على تلك المؤامرة التي حيكت ضده، وهو القادر على ردِّها، إلَّا أنَّه رجح كفة الإسلام وديمومته، على إمرة المسلمين، إذ ورد في ذيل الخطبة أنَّه، إذ قال:" **لسقيتُ آخرها بكأس أولها، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عَفطةِ عنزٍ"[4]**، ولما أستقر الأمر لأبي بكر، على الرغم من عدم اقرار الإمام علي (Q) له بالبيعة، بل كان سكوته حرصاً منه على الدين، صرح قائلاً: " **فأمسكت يدي، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (O) فخشيت أنْ لم أنصر الإسلام وأهله، أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىَّ أعظم من فوت ولايتكم"[5]**.

بعد عرض أحداث ما جرى في سقيفة بني ساعدة، السؤال الذي يمكن طرحه، كيف تمكن الثلاثة –أبو بكر وعمر وأبو عبيدة– من أخذ ولاية الأمر من المسلمين مع ضعف القبيلة التي ينتسب اليها أبي بكر – **ما بال هذا الامر في أقل الحي من قريش[6]**–، دونما تحرك بنو عبد مناف الأكثر عدداً ونفوذاً، هل كانت كانت فلتة كما وصفها ابن الخطاب، مع وجود الوقت الكافي بعد اليوم التالي لوفاة النبيُّ (O) كي يبطلوا ما جرى في السقيفة، أم هناك عوامل اساسية مؤثرة ؟.

يرجح الباحث عاملين رئيسيين في ايلولة أمر المسلمين إلى الطامحين للسلطة، مع عدم إهمال العوامل الأخرى الثانوية بالنسبة إلى:

1- تأثير رأس المال والرمزية (الصحبة).

([1]) طويت عنها كشحا: الكَشَحُ: الكي بالنار، ويراد به داء يصيب الإنسان في كشحه، أي في خصره، وطوى كشحه عنه، إذا أعرض عنه. ابن منظور، لسان العرب، 573/2؛ الزبيدي، تاج العروس، 75/7–76. ولعل المراد بقول الإمام (عليه السلام)،إنَّه طوى تلك الصفحة المؤلمة وغادرها.

([2]) طخية عمياء: الطَّخْيةُ، من الغيم أو السحابة التي تحجب ضوء القمر. الفراهيدي، كتاب العين، 294/4؛ ابن منظور، لسان العرب، 6/15. ولعل المراد بها كناية على ما يصيب الأُمة من فتنة، وصبره حتى جلائها.

([3]) الصدوق، علل الشرائع، 150/1؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 118/1–119.

([4]) الشريف الرضي، نهج البلاغة، 38.

([5]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 54/6؛ المجلسي، بحار الانوار، 596/33؛ عبده، شرح نهج البلاغة، 484–486. 486.

([6]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 209/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 187/2؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 55.

يمثل رأس المال عامل مؤثر ومحرك رئيس في الحياة على مختلف الاصعدة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، وبالتالي بالإمكان عدّه أحد العوامل التي أسهمت في انتقال ولاية الأمر من صاحبها الشرعي إلى غيره من الطامحين إليها سياسياً، إذ أنَّهم يعدونها سلطة سياسية لإدارة الدولة والتمتع بمزايا الزعامة والرئاسة، بَيْد أنّها تمثل: حراسة الدين وسياسة الدنيا[1]، وعلى هذا فإنَّ نزول قبيلة أسلم إلى المدينة في سابقة لم يشهدها تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن النبيُّ (O)، بكمٍ هائلٍ من الأعداد حتى ضاقت بهم سكك المدينة، فإنَّ دخولهم عشية وفاة النبيَّ (O) ينبئ عن اتفاق مسبق، والعربي مجبول على حب المال، مما يعطي دليلاً على أنَّ الثلاثة استأجروا أسلم لتحقيق غايتهم ومرامهم، وهذا الاجراء لم يعطِ الآخرين فرصة المقابلة ولاسيّما الصدمة التي انتابتهم غِبَّ وفاة نبيهم، وانشغالهم بمراسيم غسله وتكفينه ودفنه، ثم أنَّ الثلاثة، إبَّان أحداث السقيفة وضفوا عامل رئيسي آخر، عمل جنباً إلى جنب بالتعاضد مع رأس المال، تتمثل بـ: (رمزية الصحبة)، ولاسيّما الخاصة منها، إذ إنَّ الثلاثة احتجوا على أصحاب السقيفة بالصحبة الخاصة التي تعد عامل قوي ومصدر قوة عند المسلمين وظفها أبو بكر، قائلاً: " **أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا، أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا**"[2]، ومن ثم فأن رأس المال ورمزية الصحبة مجتمعاً، كانا أحد العوامل الرئيسة في انتقال ولاية الأمر إلى أبي بكر مع وجود مَنْ هو أحق بها، وحينما علم الإمام علي (Q) بحجة أبي بكر بالصحبة أو السابقة، قال: "**أنا الصدّيق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أنْ يسلم أبو بكر**"[3].

2- سياسة الإمام علي (Q) في الحفاظ على الدين.

كانت سياسة الإمام علي (Q) في تلك الحقبة هي حفظ الدين، ولما كانت الإمرة تعني حراسة الدين وسياسة الدنيا[4]، فأن الحفاظ على الدين مقدماً على سياسة الدنيا، عند تعارض المصالح، ففضل الإمام البعد الأول على الثاني، على الرغم من شعوره بالأحقية وامتلاكه القوتين الشرعية والقبلية، فما برح الدين في مأمن من الضياع، فإنَّ الانقلاب السياسي عنده غير ذي بال، وهو القائل: " **أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىَّ أعظم من فوت ولايتكم**"[5]، جاء النص كاشفاً عن السبب الذي منع الإمام عن

([1]) الماوردي، الأحكام السلطانية، 15.

([2]) الترمذي، الجامع الكبير، 52/6؛ البزار، مسند البزاز، 94/1. وورد عند ابن قتيبة الدينوري بصيغة أُخرى مشابهة قال:" **ومن أحق بها منّى! أو لست أوّل من أسلم**". المعارف، 169.

([3]) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 169.

([4]) الماوردي، الأحكام السلطانية، 15.

([5]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 54/6.

المطالبة بحقه تحت قوة السلاح، فهو رجح كفة حفظ الدين من أنْ يرى فيه ثلماً أو هدماً، على كفة ولاية الأمر، وهذا بطبيعة الحال كان عاملاً مساعداً انتهزه الثلاثة لتحقيق مبتغاهم في الانقلاب السياسي.

من كل ما تقدم نخلص إلى النتائج الاتية:

1- أن اتفاق مرض النبي (O) ومن ثم وفاته مع مرض سعد بن عبادة ومن ثمَّ قتله في ظروفٍ غامضة نُسِبتْ إلى الجن، مع تجهيز جيش أُسامة[1]، لعله من تدبير فريق الطامحين مع وجود القرائن التي توحي إليه، إذ ورد في الخبر، أنَّ النبيّ (O) لُدَّ[2] بالدواء وهو مغشيٌّ عليه، ولمّا أفاق طردهم من داره؛ لأنَّهم لدّوه دون علمه[3]، مما يرجح أنَّهم سْقوهُ السُمَّ، وفي ذات الليلة التي توفي فيها (O)، انعقد مجلس السقيفة!.

2- اجتماع الثلاثة (أبو بكر وعمر وابي عبيدة) وحضورهم في سقيفة بني ساعدة، في ليلة وفاة الرسول (O) لم يكن محض صدفة، وإنَّما باتفاق مسبق ومعد لأمر دبر بليلٍ، يفصحُ عن ذلك قول عمر بن الخطاب حينما سؤل مَنْ يستخلف، قال:" **لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ... وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ**"[4]، يفهم من النص أنَّ الثلاثة متفقون على تولي إمرة المسلمين بالتتابع.

3- انتهاز الثلاثة الفرصة في غياب بني هاشم وجل الصحابة في تجهيز النبيُّ (O) ودفنه، للاحتجاج على من حضر من الأنصار في السقيفة بقوة السابقة في الإسلام والرمزية القبلية -رأس المال الرمزي- لأخذ البيعة لأبي بكر.

4- استخدام الثلاثة قوة رأس المال في انزال قبيلة أسلم في المدينة بقوة السلاح حتى تضايقت بهم السكك، وحينما شاهدهم ابن الخطاب ايقن بالنصر ونجاح المؤامرة.

([1]) أُسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزي بن زيد بن أمرئ القيس، من عائلة خدمت الإسلام مبكراً، لقب بالحِبِّ بن الحِبِّ، مولى لرسول الله، ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، أمّرهُ النبيَّ (O) قبل أنْ يبلغ العشرين من عمره، توفي أيام معاوية سنة (54هـ/674م) بالجرف. للمزيد ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، 224/1-225؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، 78/75/1، ابن الأثر، أُسد الغابة، 79/1-80.

([2]) اللدُّ: أنْ يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق، واللَّدُودُ: ما سُقيَ الإنسانُ من أَحد شقَّي الفمِ، ولدّدتُ الرجلَ ألدهُ لدّاً إذا سقيتهُ. الفراهيدي، كتاب العين، 8/8-9؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 203/5؛ ابن منظور، لسان العرب، 390/3؛ الزبيدي، تاج العروس، 138/9.

([3]) ذكر في الخبر أنّه بعد أنْ فاق النبيٌّ (O)، غضب لفعلهم فلُدَّ كل منْ في الدار. الواقدي، المغازي، 1119/3؛ ابن الجوزي، المنتظم، 16/4؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 350/2؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 125/3.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 227/4.

5- هدم ما بناه رسول الله (O) طيلت الثلاث وعشرون عاماً في ليلة وضحاها، ونكوص الأمة إلى سابق عهدها.

6- عدم مطالبة الإمام علي (Q) بأحقيته بأمرة المسلمين، بقوة السلاح نتيجة لقلة العدد الكافي من المؤيدين، قبالة العدد الهائل ممن انقلبوا على أعقابهم، فأكتفى بالمطالبة الشفوية وتذكير الصحابة باحاديث النبيُّ (O) ومواقفه تجاه الإسلام، وهذه لا تجدُ نفعاً ازاء قوة رأس المال الاقتصادي الذي وضّف كل الإمكانيات من شراء الذمم والسلاح.

7- بروز ثلاث تيارات: تيار الإصلاح الديني (حزب الله) الذي تزعمه الإمام علي بن أبي طالب (T)، وتيار الطامحين للسلطة الارستقراطية القديمة الذي يتزعمه أبو سفيان، وتيار الثيوقراطية الذي تزعمه أبي بكر .

المبحث الثاني

أثر رأس المال في الانقلاب الديني (الزامهم الطاعة والجماعة)

كان الانقلاب السياسي قد حصل أثر رأس المال، إبَّان أحداث السقيفة وما آلت إليه الأمور من تنصيب أبي بكر لولاية الأمر، ولمّا كانت الولاية بحسب ما عرّفها الماوردي[1]: "**حفظ الدين وسياسة الدنيا**"، فأن الطامحين للسلطة قد حققوا مرامهم في سياسة الدنيا، والقيام بالانقلاب السياسي على صاحب الحق فيه، أمّا ما يرتبط بحفظ الدين فأنهم على رغم من المدرات التي ابدوها ازاء تواجد جلِّ الصحابة، وخاصة الإمام علي (Q)، إلّا أنَّ ذلك ممّا لم يتم وحصل الانقلاب الديني، بأن سُفكت الدماء وسُبيت الذراري وغُنمت الأموال تحت مسمى حروب الردة عن الدين وعلى هذا الأساس سوف نسلط الضوء على أحداث تلك الحروب لبيان فيما إذا كان لرأس المال أثر فيها من عدمه.

([1]) الأحكام السلطانية، 15.

يرتبط مفهوم الردة بعدد من الشخصيات التي ورد ذكرهم في التاريخ الإسلامي وهم كل من: (الاسود العنسي[1] وطليحة الأسدي[2] ومسيلمة وسجاح التميمية[3])، وهؤلاء أظهروا ما فيهم من ادعاء النبوَّة زمن النبيُّ (O)، وبانَ كذبهم وافترائهم، فالأسود العنسي، انتهى خبره في عصر الرسالة[4]، وأمَّا طُليحة عاد أدراجه إلى المدينة المنورة وشارك في حروب الإخضاع والسيطرة حتى قتل فيها عام (21هـ/641م)، ومُسيلمة الكذاب وسجاح فقد قتلوا أيضاً[5]، والمُلفت للنظر أنَّهم ظهروا جميعهم زمن النبي (O) ولم يعبأ بهم، حتى إنَّه (O) حينما عاد من الحج في السنة التي توفي فيها (11هـ/633م)، أمر بتجهيز جيش أُسامة بن زيد[6] وإبعاثه إلى الشام[7]، وأمر المسلمين جميعاً بما فيهم أصحاب السقيفة، ولم يعطِ أدعياء النبوة، أهمية تذكر، ممّا يشير إلى أنَّهم لم يشكلوا خطراً على الدعوة الإسلامية، وعليه فإنَّ إدراجهم ضمن مانعي الصدقات لأجل خلط الأوراق وتسمية الجميع بـ: (المرتدين)، بَيْد أنَّ واقع الحال مختلف تماماً،

([1]) الأسود بن كعب بن عوف العنسي الكذاب، لقب الاسود قيل: لسواد وجهه، كان كاهناً في اليمن، ولقب أيضاً بـ: ذو الخمار لأنَّه يقول يأتيني ذو الخمار، أو لأنَّه يرتدي خماراً، اغتيل بالتواطي مع زوجته، وقيل خبره قبل وفاة النبيُّ (O)، وقيل بعده، والراجح إنَّه تم تصفيه قبل وفاة النبيُّ(O). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 525/5 البلاذري، فتوح البلدان، 109–111؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، 240؛ ابن منده، معرفة الصحابة، 545–546 .

([2]) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نظله الأسدي، أرتد وخرج إلى الشام ثم عاد بعد وفاة النبيُّ (O)، وقتل مع خالد بن الوليد في نهاوند (21هـ/641م). للمزيد ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 773/2؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 477/2؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 316/1.

([3]) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، من المعمرين خرج باليمامة، وكاتب النبي (O) مطالباً اشراكه في الامر وهو شيخ كبير عمرّ نحو مائة وخمسون سنة، لقبه النبي (O) بالكذّاب، التقت مصالحة مع سجاح الكاهنة التميمية وتزوَّجها، ثم قُتل عام (12هـ/633م) على يد وحشي قاتل الحمزة في أحد (3هـ/624م). للمزيد ينظر: الواقدي، كتاب الردة، 111–147؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 405؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة، 2733/5؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 662/4–664 .

([4]) ابن الجوزي، المنتظم، 22/4–24؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 196–201.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 267/3–282؛ ابن أعثم، 22/1–41؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 164/5– 165.

([6]) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزي بن زيد بن أمرئ القيس، من عائلة خدمت الإسلام مبكراً، لقب بالحِبُّ بن الحِبِّ، مولى لرسول الله، ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، أمّرهُ النبيَّ (O) قبل أنْ يبلغ العشرين من عمره، توفي زمن حكم معاوية عام (54هـ/674م) بالجرف. للمزيد ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، 224/1–225؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 78/75/1، ابن الأثر، أُسد الغابة، 79/1–80 .

([7]) للمزيد ينظر: الواقدي، المغازي، 1119/3–1121؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 350/2؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 123/2–126.

ولبيان ذلك، نقف عند بعض الحوادث التاريخية لإماطة اللثام عن حقيقة مانعي الصدقات، الذين قيل عنهم مرتدين .

بعد تَسنُم أبو بكر ولاية الأمر، امتنعت عدة قبائل تسليم الصدقات إليه، فعقد اللواء إلى خالد بن الوليد المخزومي لإرضاخهم وسأله الأخير ما يصنع بهم؟، فأوصاه عدة وصايا آخرها **(الزامهم الطاعة والجماعة)**[1]، تحمل تلك العبارة في طياتها معنى انقسام الأمة على نفسها ومن ثم لابد من اخضاعهم بالقوة، وكتب له كتابًا يأمره فيه بقراءته عليهم، فأن أطاعوا فبها وإلّا يُحرّقهم ويأخذ أموالهم ويسبي ذراريهم ونسائهم[2]، فمن الجهل بمكان تسمية تلك الحروب بـ: (حروب الردة)؛ لأن الردة عن دين الإسلام تعني الرجوع عنه إلى غيره من الأديان أو الوثنية بعد إسلامه[3]، وحكمهُ أن أُستُمهل، حُبس ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قُتل، أي إنْ تاب فبها، وإن لم يتب قتل[4]، ويجزم ابن حزم[5]، بعدم تسمية مانعي الصدقات بالمرتدين، بالمرتدين، والحال إنَّ الخبر الوارد عنهم يدور حول أموال الصدقات وامتناعهم من اعطائها، ومما قالة أبو بكر بشأنهم: " **لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا أَوْ حَبْلا لَقَاتَلْتُهُمْ**"[6]، ممّا يعني أنَّ الحروب التي أعلنها أصحاب السلطة، السلطة، هي لقتال مانعي اعطاء الصدقات[7]، وليس ارتداداً منهم[8].

لبيان ذلك ينبغي الوقوف على بعض الحوادث التاريخية، والكيفية التي تعامل بها الطامحون إلى السلطة، في كسب أكبر قدر من رأس المال الذي مثل الانقلاب الديني، والخروج على بعض مبادئ الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبيّ الأُمة، نطالع في بعض النصوص التي فيها إشارة إلى إنَّهم منعوا اعطاء الصدقات ليس ردة عن الإسلام، بل هي مما كانوا يعتقدون به من عدم احقية أبي بكر بالأمرة

([1]) الواقدي، كتاب الردة، 71.

([2]) الواقدي، كتاب الردة، 71-72.

([3]) الارتِدادُ: الرجوع، ومنه المُرْتَدُّ، وسمي المرتد؛ لأنه رد نفسه إلى كفره. الفارابي، الصحاح تاح اللغة، 473/2؛ ابن فارس، فارس، معجم مقاييس اللغة، 386/2.

([4]) الشافعي، الأم، 175/6؛ ابن حبيب، الحاوي الكبير، 149/13؛

([5]) المحلى بالأثار، 116/12.

([6]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 101.

([7]) أشار المستشرق لويس إلى ذلك قائلاً: "**فمع أن هذه القبائل رفضت الاعتراف بخلافة أبي بكر، إلّا أنَّ رفضها هذا لم يكن في واقع الأمر، رجوع جماعة مسلمة إلى وثنيتها الأولى...فقد شعرت أنَّه لا يربطها شيء بانتخاب أبي بكر ذلك الانتخاب الذي لم تشترك فيه، فامتنعت في الحال** ". العرب في التاريخ، 69.

([8]) أرتد الأشعث بن قيس مرتين، ولم يُقتل، بل كافئه أبو بكر بأن زوَّجه أُخته. ابن شبه، تاريخ المدينة، 687/2. ثم ندم أبو أبو بكر على فعله، فقال: "**وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس ضربت عنقه فإنه يخيل إليَّ إنَّه لا يرى شراً إلّا سعى فيه وأعان عليه**". البلاذري، فتوح البلدان، 108.

للمسلمين، بل هناك من هو أحق بها، إذ ورد في الخبر ما نصّه:" **لا وَاللَّهِ، لا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا أَبَدًا، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالزَّكَاةِ مِنَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ**"[1]، فما المراد بالدنية؟، ورد في أمثال العرب أنَّهم قالوا: "**المنية ولا الدنية و شر الفقر الخضوع، وخير الغنى القنوع**"[2]، والدنية في اللغة النقيصة، فقيل: "**علامَ نعطي الدنية في ديننا**"، أي الخصلة المذمومة، وهي العصرة، أي دون ما سواهم[3]، بمعنى أنهم يرون أنَّ أبا بكر ليس أهلا لها، فيما أوضح ذلك زعيم بني تميم[4]، قائلاً: "**إنَّكم قد علمتم بأن محمد بن عبد الله قد[O] كان جعلني على صدقاتكم قبل موته... ولا بدَّ لهذا الأمر من قائم يقوم به، فلا تطمعوا أحداً في مالكم فأنتم أحق بها من غيركم**"[5]، ينبئ هذا النص من أنَّ ابن النويرة –زعيم بني تميم–الذي لقب بالجَفول؛ لأنه جَفلَ جَفلَ إبل الصدقة[6]، حينما جاء بالصدقات وجد أنَّ النبيّ (O) قد توفي وإنَّ القوم أمّروا أبو بكر عليهم، فعاد بها حيثُ قدم، وخاطب قومه بعدم إعطاء الصدقات إلّا لمستحقها –**ولا بدّ لهذا الأمر من قائم يقوم به**[7]–، ما يعني أنَّه رفض تسليم الصدقات وينتظر قيام صاحب الأمر، ويعني بذلك الإمام عليٌّ (Q)؛ لأنَّه كان حاضراً في بيعة الغدير وسمع كلام النبيُّ (O) بتولية عليٌّ ولاية الأمر وحينما أنقلب القوم على أعقابهم، فإنَّه رفض تلك الإمرة التي يعدها غير شرعية، وهذا يعني أنَّ القوم لم يمنعوها كفراً بالدين، وإنَّما يرون اعطائها لابي بكر، منقصة لهم؛ لأنَّها لا تكون في محلها؛ وذكر اليعقوبي[8] تخلّف جماعة عن بيعة، قائلاً: "**تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب**"، ما يعني أنَّ الرافضين اعطاء الصدقات كانوا ممن يعتقدون بأحقية الإمام علي (Q) بالأمر بعد رسول (O)، ولاسيّما أنّهم سمعوا ووعّوا قول الرسول(O) فيه، آخرها كان في غدير خم[9]؛ ولهذا شُنتْ عليهم حرب شعواء يتخللها القتل والسبي والغنم لكل ما يملكون، إذ ورد في الخبر أنَّ أبا بكر أمر قائده على الجند

([1]) ابن أعثم، الفتوح، 19/1.

([2]) ابو عبيد، الأمثال، 197؛ الهاشمي، الأمثال، 347؛ النيسابوري، مجمع الأمثال، 303/2.

([3]) الفراهيدي، كتاب العين،296/1؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، 895/2؛ ابن منظور، لسان العرب، 274/14.

([4]) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي، يكنى أبو حنظلة، وهو شاعر شريف أحد فرسان بن يربوع بن حنظلة، ولقب بـ: (الجفول) لأنَّه جفل إبل الصدقة، إذ جعله رسول الله (O) على صدقات قومه، وأخيه متمم الشاعر الذي رثاه بقصائد بعد أنْ قتله خالد بن الوليد، ودخل بزوجته عام (12هـ/634م). ابن أعثم، الفتوح، 19/1؛ المرزباني، معجم الشعراء، 360؛ الدارقطني، المؤتلف والمختلف، 600/2؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 276/4–278.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، 19/1.

([6]) ابن سلّام، طبقات فحول الشعراء، 205/1؛ المرزباني، معجم الشعراء، 360.

([7]) ابن أعثم، الفتوح، 19/1.

([8]) تاريخ اليعقوبي، 84/2. فيما ذكر أخرون أمتناع الكثير من المهاجرين والأنصار البيعة لأبي بكر. الطبري، تاريخ الرسل الرسل والملوك، 218/3–219؛ عبد الحميد، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، 279–309.

([9]) الطّبرسي، إعلام الورى، 144–146؛ الحميري، الروض المعطار، 156؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 171/3.

(خالد) بأنْ :"**لا يَتْرُك أَحَدًا قَدَرَ عَلَيْهِ إلا أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ إِحْرَاقًا، وَيَسْبِي الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ، وَيَأْخُذَ الأَمْوَالَ**"[1]، وهذا كله انقلاباً على الدين؛ لأنَّه وكما بينا انفاً، أنَّ المرتد، يُمهَل ثلاثة أيام أنْ أستتاب فبها، وإلّا يقتل، فما بالك بهؤلاء الذين لم يكونوا مرتدين وإنَّما معارضين لأمرة أبي بكر، فهل يجوز لهم بمقتضى حكم الإسلام، قتلهم وسبيهم وغنّم أموالهم؟!، بكل تأكيد لا يصح ذلك، ولكن حب المال والسلطة دفهم إلى الانقلاب على أعقابهم، والملفت للنظر أنَّ بعض المؤرخين استثنى قبيلة قريش وثقيف ممّا سُمِّي بـ (الردة) فقال: "**ارتدّت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلّا قريشاً وثقيفاً**"[2]، وأجد إنَّ هذا الاستثناء هو من أثر فعل رأس المال فيما فيما بعد سياسياً؛ لأنْ تلك القبيلتين كانت من أشد المعارضين للدين الإسلامي وحاربوه بكل ما أتوا من قوة، ودخلوا الإسلام كرهاً غير طائعين ثم إنَّ قريش تضم عدد من القبائل، ولاسيّما بعض المهاجرين الذين وقفوا إلى جانب الإمام علي(عليه) ما يعني أنَّهم ايضاً امتنعوا عن اعطاء الصدقات لأبي بكر، فالدين والعقل يقضيان بإعطاء الصدقات (الأموال) إلى من يستحقها، وهو ما سارت عليه القبائل البعيدة عن مركز القرار (المدينة المنورة)، فما بالك بالقريبة منها والتي أعلنت معارضتها للإمرة، وهذا يعطي دليلاً على أنَّ الطامحين للسلطة تمكنوا من اخضاع الداخل بما يملكون من قوة (رأس المال والسلاح) ثم توجهوا نحو المناطق البعيدة عن المركز؛ ولهذا أتخذ مسلمة الفتح[3]، من الصدقات (الزكاة) العذر الكافي لمحاربة ومقاتلة المعارضين للبيعة المزعومة، حتى أنَّ أبا ايوب الأنصاري[4]، التمس أبي بكر عدم الاستعجال في إرسال الجيوش قائلاً:" **إنَّ القوم كثر عددهم وفيهم نخوة الملك ومنعه، وإذا همّوا بالجمع جمعوا خلقاً كثيراً فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا، وصفحت عن أموالهم لرجوت أنْ ينيبوا إلى الحقِ، وأن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين غير مكرهين، فذاك أحبّ إليّ من محاربتك إياهم**"[5]، إلّا أنَّ أبي بكر رفض تلك المشورة وأصرَّ على مقاتلتهم قائلاً: " **لَوْ مَنَعُونِي عِقَالا أَوْ حَبْلا لَقَاتَلْتُهُمْ**"[6]، وأورد ابن أعثم[7] المحاورة التي جرت بين خالد بن الوليد ومالك بن نويرة، يظهر منها أنَّ القوم عزموا القتل لكل مَنْ لم يُذعن لطاعتهم، فقال:" **ثم قدّم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه فقال مالك: أتقتلني وأنا مسلم أصلّي إلى**

([1]) الواقدي، كتاب الردة، 72.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 242/3؛ابن حزم، جوامع السيرة، 399/1 مسكويه، تجارب الأمم، 277/1.

([3]) يراد بهم: الذين أسلموا طوعاً أو كرهاً واتخذوا من الإسلام غطاء لتحقيق مآربهم من جمع الأموال وغيرها، أي الذين تصدوا للفتوحات واغلوا فيها، دون مراعات ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من قواعد ومبادئ حقه.

([4]) خالد بن زيد بن كليب الخزرجي، الانصاري، الذي نزل عنده النبي (O) حال قدومه من مكة مهاجراً، وشهد المشاهد كلها، (ت: 25هـ/646م). للمزيد ينظر: ابن منده، معرفة الصحابة، 453؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 425/2.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، 56/1.

([6]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 101.

([7]) الفتوح، 19/1.

القبلة! فقال له خالد: لو كنت مسلماً لمَا منعت الزكاة ولا أمرت قومك بمنعها والله! ما نلت ما في مثابتك حتى أقتلك. قال: فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثم قال: يا خالد! بهذه قتلتني؟ فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن دين الإسلام وجفلك لإبل الصدقة وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم. قال: ثم قدّمه خالد فضرب عنقه صبراً"، ومن أجل الظفر بزوجته الحسناء وأموال الصدقات، حتى مورست أنواع الأساليب لتحقيق مبتغاهم من قتلٍ، وحرقٍ، وسلبٍ، ونهبٍ، واحراقٍ، وسبيٍ للذراري[1]، منقلبين على الدين وناكصي إلى الأعراف التي ورثوها.

ومما تقدم يمكن القول: أن القبائل التي امتنعت عن أداء الصدقات لم تكن قد أنكرت وجوبها أو فرّضها بقدر ما إنَّهم رفضوا تسليمها إياهم، مما يدل على أنَّ القبائل التي وصفت بالمرتدة كانت قد أمتنعت عن تسليم المستحقات مالية، فأوهموا العامة بأنَّهم مرتدين لكسب الرأي العام وتضليل حقيقة أمرهم لكي يتسنى لهم قتالهم والاستحواذ على ممتلكاتهم وإذلالهم تحت غطاء شرعي، ومن ثم إضعاف كفة أصحاب الحق بالأمر، ليتم تغير مسار الدولة الإسلامية التي اعدها النبي الأكرم(O)، الذي أراد منها أنْ تصبح مركز الإشعاع في الحياة على وفق مبادئ التسامح الديني وعدم فرض الإسلام بالقوة، بمقتضى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وعند الرجوع إلى سيرة النبيَّ الأكرم(O) نجد روح التسامح والموعظة الحسنة والعيش بسلام وتأكيد وحدانية وجبروت وقوة الله عزَّ وجلَّ، وتقوية الأنسان المؤمن بالأخلاق الإسلامية، لا إكراه في الدين واعطاء كل ذي حقٍ حقهُ، نلحظ ذلك في كتابه (O) إلى أهل اليمن قائلا: "**وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفْتَنُ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ**"[3]، ونطالع ذلك في وثيقة المدينة، وما جاء في بعض نصوصها: "**وإنَّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم...وإنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين**"[4]، ومنها ما جاء فيها: "**وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ...وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا...وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ**" [5]، كما ورد عنه (O) أنَّه قال: "**مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَكَفَرَ**

([1]) الواقدي، الردة، 107–119؛ الأصفهاني، الأغاني، 15/292–298.

([2]) سورة البقرة/ الآية256.

([3]) أبو عبيد، الأموال،29.

([4]) ابن هشام، السيرة النبوية، 504/1؛ السهيلي، الروض الآنف، 176/4؛ ابن كثير، السيرة النبوي، 322/2.

([5]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 228/1؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 275/3.

بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرُمَ دَمُهُ وَمَالُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ"[1]، وكانت سياسته في السرايا عندما يبعث اميراً على الجند يوصيه بوصايا منها: **ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَكُفَّ عَنْهُمْ وَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ**"[2]، هكذا كانت سياسة النبيَّ (O) في تقبل الدين الجديد من عدمه، فإنَّ خيار الحرب عنده أخر الدواء، فما بالك إذا كان ممّن وصفوا بالمرتدين، كانوا مسلمين يؤمنون بالله واليوم الآخر، وما حصل مع جماعةٌ أمر خالد بضرب أعناقهم، فذكر ابن أعثم[3] ذلك، قائلاً:" **قلنا: نحن المسلمون، فقالوا: ونحن المسلمون، ثم أذّنّا وصلّينا فصلّوا معنا، فقال خالد... إنْ كانوا قد صلّوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم ولا بدّ من قتلهم. قال: فرفع شيخ منهم صوته وتكلّم فلم يلتفت خالد إليه وإلى مقالته فقدمهم فضرب أعناقهم عن آخرهم**". ومن الشواهد على خروج الطامحين للسلطة عن جادة الشريعة، قتل مالك ابن النويرة، من لدن خالد بن الوليد والدخول بزوجته، ضارباً مبادئ الشريعة عرض الجدار من أجل إشباع شهواته، إذ ورد في الراوية: " **تزوج بامرأة مالك ودخل بها، وعلى ذلك أجمع أهل العلم**"[4].

أنَّ ما يعضد السياسة التي انتهجوها عند وصولهم سدة الحكم، حاولوا كسب الناس إلى جانبهم، فذكر ابن سعد[5]، رواية تعطي ذات المعنى، مضمونها: إنَّ أبي بكر حينما وليَّ الأمر بعث إلى عجوز من بني النجار[6] بأموالٍ، فقالت: " **مَا هَذَا؟ قَالَ: قِسْمٌ قَسَمَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ قالت: أَتُرَاشُونِي عَنْ دِينِي؟ فَقَالُوا: لَا، فَقَالَتْ: أَتَخَافُونَ أَنْ أَدَعَ مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: لَا، قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ لَا آخُذُ مِنْهُ شَيْئًا أَبَدًا**"، هذا النص يميط اللثام عن السياسة المالية التي انتهجها الطامحين للسلطة في ترضية المعارضين لحكمهم، ففي الوقت

([1]) أبو عبيد، الأموال،27؛ ابن حجر، فتح الباري، 277/13؛ العيني، عمدة القارئ، 88/24.

([2]) ابن أبي شبة، مصنف ابن أبي شيبة، 428/6؛ ابن زنجويه، الأموال، 478/2؛ أبو عبيد، الأموال،31.

([3]) الفتوح، 19/1. للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 33/3؛ ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 460/2.

([4]) الواقدي، كتاب الردة، 207؛ ابن أعثم، الفتوح، 20/1.

([5]) الطبقات الكبرى،182/3. وأوردها ايضاً، المتقدي الهندي، كنز العمال، 706/5.

([6]) بنو النجّار: ينسبون إلى عمرو (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج من الأزد القحطانية، ، وهم أخوال عبد المطلب بن هاشم جد النبي (O). ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 346؛ السمعاني، الأنساب، 36/13؛ المقريزي، نهاية الأرب، 431. سُمِّي النَّجَّارَ لأنّه نَجَرَ وجهَ إنسانٍ، يُقَال لهُ العِثْر، بقَدُومٍ فقتَله، العَثْرُ: اشتداد الرمح وغيره، واضطرابه واهتزازه، وعتر الرمح إذا ترجع في اهتزازه، والعتر تأتي بمعنى الأصل. الفراهيدي، كتاب العين، 65/1؛ الزمخشري، أساس البلاغة، 633/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 81/14، 517/21-530.

الذي سلكوا فيه جانب القوة لإخضاع المعارضين، فإنَّهم في الوقت ذاته انتهجوا سبيل الترضية بالأموال، ولعل استفهام تلك المراءة –**أتراشوني عن ديني**– يعطي معنى اعتراضها على أبي بكر في تولي إمرة المسلمين، فهي إلى جانب ذلك تستفهم عن مخاوفهم فقالت: **(أتخافون أنْ أدع ما أنا عليه)**، إذن فإنَّ مضان الرواية يعطي دليلاً على عدم قناعة الناس بولاية الأمر لأبي بكر، وفي الوقت نفسه أنهم سلكوا طريق الترضية لكسب ود الناس اليهم بالأموال، وهذا النص يفسر قول أبي بكر لخالد بن الوليد حينما وجهه لإخضاع المعارضين، قال له: " **الزامهم الطاعة والجماعة**"[1]، ثم أنَّ عمر بن الخطاب الذي مثل محور الطامحين للسلطة فرض لأبي بكر راتب شهري، فتح هذا الإجراء الباب أمامهم للتصرف بأموال الصدقات لتحقيق أغراضهم الخاصة، إذ ورد في الرواية ما نصه: " **افْرِضُوا لِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ مَا يُغْنِيهِ، قَالُوا: نَعَمْ، بُرْدَاهُ إِذَا أَخْلَقَهُمَا وَضَعَهُمَا وَأَخَذَ مِثْلَهُمَا، وَظَهْرُهُ إِذَا سَافَرَ، وَنَفَقَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ كَمَا كَانَ يُنْفِقُ قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ**"، ثم زادوا في مقدار راتبه رويداً رويداً، " **لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلُوا لَهُ أَلْفَيْنِ، فَقَالَ: زِيدُونِي، فَإِنَّ لِي عِيَالًا، وَقَدْ شَغَلْتُمُونِي عَنِ التِّجَارَةِ، قَالَ: فَزَادُوهُ خَمْسَمِائَةٍ، قَالَ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ أَلْفَيْنِ، فَزَادُوهُ خَمْسَمِائَةٍ، أَوْ كَانَتْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةٍ فَزَادُوهُ خَمْسَمِائَةٍ**"[2].

بعد انتهاء حروب الإخضاع في الجزيرة العربية، بدأ أصحاب رؤوس الأموال يشكلون ضغطاً على مركز الحكومة في المدينة، ولاسيّما مع ازدياد رأس المال عندهم، أضحى أبي بكر ووزيره ابن الخطاب إزاء ضغط تلك الفئة التي بدت بوادرها بالنمو مع الحاجة الملحة إلى موارد اقتصادية لتأمين حاجيات سكان الجزيرة العربية في تلك البيئة الصحراوية القاحلة هذه الضغوط التي كانت تدفع الدولة الحاكمة دفعاً إلى البحث عن موارد جديدة خارج حدودها في قبالة اغراء الحصول على المغانم التي طبعت حياة البدوي إذ اقترنت الحرب عنده بالمغنم، وفي محاولة من الحكومة التخلص من ضغط الفئة المتنامية على مركز القرار، وللتخلص من المشاكل التي تندر عن تواجدهم قريباً منها، اتخذت قراراً يقضي بغزو العراق والشام مقترناً بأغرائهم بفوائد مالية (المغانم) عُدة كآلية فاعلة في التحشيد والتعبئة فكتبت السلطة إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفروهم ويرغبونهم بالغنائم فسار إليه الناس بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب[3]، ولما كان للغنيمة من اغراء ونداءً في النفوس عميقاً، فهي تجتذب

([1]) الواقدي، كتاب الردة، 71.

([2]) ابن سع، الطبقات الكبرى، 184/3.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، 111؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 488/3؛ ابن أعثم، الفتوح، 97/1.

الجميع في النهاية فيركبون إليها الصعاب والأهوال، وكان ابن الخطاب يزيد من اغرائهم بالقول: "**إنَّ الحجاز ليس لكم بدار إلّا على النعجة**"[1]،

أُرسلت العساكر إلى خارج الجزيرة العربية، وجُنتْ من غزواتها الأموال (الغنائم)، المختلفة بأنواعها، وقد ذكرنا في الفصل الاول من الدراسة أنَّ الرقيق يمثل أحد موارد رأس المال في الجزيرة العربية، سواء بالشراء أو الغزوات، ولمّا كان العربي ولعاً باقتناء الجواري والعبيد، فأنه أضحى يحصل عليها من غير مقابل مال، فهو مجرد أنْ يشارك في حروب الإخضاع والسيطرة يكون بمقدوره الحصول على الرقيق بعد أنْ يتم توزيعها على المقاتلة كل حسب نصيبه فيها، على الرغم من أنَّ الإسلام وضع قاعدة شرعية في التعامل مع الأسرى في الحروب وهي: أمّا مناً وأمّا فداء[2]، لا ثالث لهما، هذا إذا لم يرغب الأسير الدخول في دين الإسلام، وإلّا إذا اعتنق الإسلام، فله من الحقوق والواجبات ما على المُسلم[3]، لكن الذي حصل من الانقلاب الديني، أنَّ تلك القاعدة الشرعية أضحت لا يُعمل بها، وسَنَّ اصحاب السلطة سنة لا أساس لها في الشريعة، إذ أنهم ميزوا بين العربي عن غيره[4]، واضافوا إلى القاعدة الشرعية حكمين للأسير: القتل والرق[5]، اجتهاداً منهم في مورد النص، وراح مسلمة الفتح يجوبون البلدان للحصول على الغنائم، أمّا الدين فقد محق، وليس من الجهاد في سبيل الله إلّا غطاء شرعي، إذ يصرح عمرو بن العاص قائلاً: "**لقد قعت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر عليَّ عهدٌ ولا عقدٌ، أن شئتُ قتلت وأن شئتُ بعْتُ وأن شئت خمست**"[6]، أنَّ سرعة حروب السيطرة وشمولها على نطاق واسع، إذ أنَّ قادة الفتح لم يكن همهم انتشار الإسلام بالمعنى والمفهوم الذي وضع أُسهُ نبيٌ الأُمة، وإنَّما كان همهم الأول جباية أكبر قدر ممكن من الغنائم، وعلى هذا يرى الباحث أنَّ تلك الحروب التي تهدف إلى جني الأموال أثَّرت في المسار المرجو من الدولة الاسلامية؛ ولهذا أنَّ الداخلين في الإسلام حينما يرون بأُم أعينهم تصرفات مسلمة الفتح من سبيٍ وقتلٍ ومصادرةٍ لأموالهم تحت غطاء الدين الاسلامي يكون اسلامهم ليس عن قناعة بمبادئ الإسلام، وإنَّما

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 445/3؛ ابن الجوزي، المنتظم، 154/4؛ ابن خلدون، العبر، 181/1.

([2]) قال تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ سورة محمد/من الآية4.

([3]) تعاهد عُمير بن وهب الجُمحي(ت: 22هـ/643م) وصفوان بن أُميَّة(ت:41هـ/661م) بعد واقعة بدرٍ(2هـ/623م)، على قتل رسول الله (O)، وكان عمير مدين بمال وله عيال، فاغراه صفوان بالمال، وعزم على أمره، فقبض عليه وأُدخل على النبيَّ فعرض عليه الإسلام فقبل، فقال لهم النبيُّ: "**فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَعَلِّمُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ**"، إذ كان له اسيراً. ابن الجوزي، المنتظم، 126/3؛ ابن الأثر، الكامل في التاريخ، 28/2.

([4]) الصنعاني، المصنف، 204/5؛ ابن زنجويه، الاموال، 291؛ .

([5]) أبو عبيد، الأموال، 178؛ الماوردي، النكت والعيون، 293/5-294؛ الراغب الاصفهاني، تفسيره، 408؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 120/5.

([6]) أبو عبيد، الأموال، 178.

لأجل حفظ مالهم وانفسهم وذراريهم، بعبارة أُخرى أنَّ إعلانهم الإسلام هو ظاهرياً وليس حقيقياً، وبالتالي فإنَّ ذلك يفسر السبب الذي لم يشترك الإمام علي (T) ومن تبعة بتلك الحروب لإيمانهم بعدم شرعيتها لأنَّ الإسلام بُني على قواعد رصينة لا ينبغي مخالفتها، وإنَّ مسلمة الفتح لم تعرِ أية أهمية لتلك المبادئ[1]، وفي الوقت ذاته فإنَّ ممّن شارك في تلك الحروب كان يرجو حصوله على المغانم كما وعد بها، وخاصة الأرضين وحينما اعترض الإمام عليٌّ(T) على توزيها[2] بوصفها أصل النماء ولم تكن أرض موات والاستشارة التي منحها إلى عمر بن الخطاب كانت قد أفصحت عن نوايا قادة الفتح في امتلكها، وكانت الباعث الدافع إليها.

إبَّان ازدياد واردات الدولة في زمن أبي بكر فان السُنّة جارية في توزيع العطاء بالتساوي، ذكر أبو يوسف[3]، إنَّ أبي بكر قسَّم مالاً بين الناس فأصاب كل أنسان عشرين درهماً، فجاء من المسلمين فقالوا: "**إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس...فلو فضلّت أهل السوابق والقِدم والفضل بفضلهم، قال: أمّا ما ذكرتم من السوابق والقِدم والفضل فما أعرفني بذلك، وإنَّما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة**"، يفهم من النص أنَّ توزيع العطاء زمن أبو بكر كان جارٍ على التساوي في العطاء، ولكن بوادر الانقلاب الديني تظهر من حديث الناس الذين اخذوا بالضغط على الحكومة المركزية بسياسة التمييز بالعطاء، وبعد أن زادت تلك الواردات في سابقة لم تشهداها دولة المدينة من قبل، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، حينما قدم عليه أبو هريرة من مال البحرين، فخطب الناس قائلاً: "**أيها الناس أنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أنْ نكيل لكم كِلنا، وإنْ شئتم أنْ نعدَّ لكم عددنا وإنْ شئتم أنْ نزن لكم وزنّا لكم**"[4]، ومن هنا بدأ الانقلاب الديني في توزيع العطاء على أساس الهيكلية التي أعدت، وهذه بطبيعة الحال نتيجة وأثر من آثار رأس المال المتزايد الذي شكل منعطفاً في مسار الدولة العربية الاسلامية، وهذه السياسة في توزيع العطاء شكلت إحدى متغيرات الانقلاب الديني.

([1]) جاء الحجاج بن يوسف الثقفي (ت:95هـ/714م)، بأسير فقال لعبد بن عمر (ت:73هـ/692م): اضرب عقه، فرفض ابن عمر قائلاً: ما بهذا أُمرنا، وتلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ سورة محمد/ من الآية4. ابن أبي شيبة، المصنف، 498/6؛ البيهقي، معرفة السنن، 242/9. للمزيد عن تصرفات مسلمة الفتح، ينظر: درمنغم، الشخصية المحمدية، 158.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، 261.

([3]) الخراج، 148.

([4]) أبو يوسف، الخراج، 148.

انشغال بعض الصحابة في التجارة زمن النبيُّ (O)؛ كان سبباً آخر من أسباب جهلهم بسُنته، وغابتْ عنّهم كثيراً من الأحكام، حتى وصف ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[1]، ويؤيد ذلك أنَّ عمر كُلَّما عُرضتْ عليه مسألة لا يجد لها حلاً قال:" **شغلنا الصفق بالأسواق**"[2]، فحينما نقول بأنَّ علي بن أبي طالب(T) هو نفس رسول الله(O)، ليس غلواً وإنَّما كان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه[3]، فلم تغبْ عنه واردةٌ ولا شاردةٌ الّا أحصاها وحفضها وعمل بها.

بعد عرض لأهم الحوادث التاريخية التي أعقبت وفاة النبي (O) وتَسْنُم أبي بكر إمرة المسلمين وحصول الانقلاب السياسي والديني في الدولة العربية الإسلامية، ومن ثم اسناد ولاية الأمر لعمر بن الخطاب بعهد ووصية من غير مشورة، نوجز بعض الآثار الناجمة عن رأس المال في المسار السياسي والديني.

اولاً: تغير مسار الدولة العربية الإسلامية بالانقلاب السياسي على من هو أحقُ بها والأجدر على حملها والسير بها على المحجة البيضاء[4]، فهم ينظرون إلى ولاية الامر بالمنظار الرئاسي والسياسي، بعيداً عن المغزى والهدف الديني الذي كان يسعى إليه النبيَّ(O)، وكان لرأس المال الأثر الفاعل في هذا التغيير، إذ إنَّ قبيلة أسلم الاعرابية التي نزلتْ في سكك المدينة حتى تضايقت بيهم السكك، وحينما شاهدهم ابن الخطاب ايقن بالنصر، وظل يشعر بفضلهم طيلة مدة حكمه، ففي عام الرمادة[5] وهو العام الذي أُصيبت فيه الحجاز بالمجاعة عام (18هـ/639م)، كتب إلى واليه في مصر أنْ يمده بالمؤن، فأجابه قائلاً: " **قد بعثت إليك بِعير أوّلها عندك وآخرها عندي**"[6]، أمر العير أنْ تميل صوب الأعراب، ومن ثم تدخل المدينة، المدينة، ومن مداراته، أنْ أوصى بهم خيراً عندما اصابه أبو لؤلؤة، أوصي من يأتي بعده، قائلاً: **وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ**

([1]) سورة الجمعة/من الآية 11.

([2]) ابن كثير، البداية والنهاية، 105/8.

([3]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 157/2؛ المجلسي، بحار الأنوار، 457/14.

([4]) حينما أختار عمر بن الخطاب الستة للشورى، كلمهم ونظر إلى الإمام عليُّ (T) وقال له: " **أما والله لئن وليتهم لتحملنّهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء**". ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، 145/1.

([5]) سُميَّ عام الرَّمادة لأنَّ الأرض اسودَّت من قلَّة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، وقيل، لأنَّ الريح كانت تَسفي تُراباً كالرماد، أو لكلا السببين. ابن كثير، البداية والنهاية، 90/7.

([6]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، 190؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 156/1. للمزيد عن عام الرمادة ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 96/4-100.

يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ[1]"، بَيْد أنَّ القرآن الكريم نعت الأعراب بالكفر والنفاق، قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ثانياً: كان من نتيجة أثر رأس المال في الحوادث التاريخية هو انحراف الدولة عن المسار الذي رسمه نبيُ الأُمة للجماعة الإسلامية، التي أرد لها أنْ تكون خير أمة أُخرجت للناس، بعد أنْ صاغها أُساسها ووضع مبادئها الرصينة، إلّا إنَّهم لم يصونوا تلك الأسس والمبادئ وراحوا يلهثون خلف المناصب وجمع الأموال، فشكلت حروب الاخضاع والسيطرة فكرة التأسيس للاقتتال بين المسلمون أنفسهم في الوقت الذي حرّم فيه الإسلام القتال إلّا عند الضرورة، لدفع خطر يهدد الوجود الإسلامي، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[3]، فالقرآن لم يُشرّع القتال بادئ الأمر، وإنَّما بالموعظة الحسنة، حتى أخذت قريش تضيّق الخناق على دولة المدينة ومهاجمتها، وأخذت تغير على سرح المدينة وتنهب أموالهم، ثم شرّع القتال، أمّا أنْ يكون بين المسلمين أنفسهم فهو مما أحدث شرخاً في الجماعة الإسلامية، إذ أسهمتْ حروب الإخضاع في بذر فكرة الجرأة –الغطاء الشرعي– على قتال المسلم للمسلم، ثم تطور هذا المفهوم للجرأة على رأس الهرم في الدولة العربية الإسلامية، فقتل عمر بن الخطاب (23هـ/645م) ثم عثمان بن عفان (35هـ/658م)، التي فتحت الباب على مصراعيه في الخروج على خليفة رسول الله الإمام علي بن أبي طالب (T)، الشخص الوحيد الذي نال أجماع الامة الإسلامية على بيعته ما خلى الشام، ومن ثم مقتله في المحراب واستفهام أهل الشام أكان عليٌ يصلي؟!!، ويعد الباحث ذلك الخروج، كان من آثار رأس المال ونتيجة من نتائجه بالانقلاب الديني.

ثالثاً: كان من آثار رأس المال حصول بعض الانتهاكات للشريعة المقدسة، منها قتل بعض الشخصيات صبراً أو حرقاً أو صلباً، إذ ورد في النهي عن القتل، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]، فلما قُتلَ مالك بن النويرة صبراً، احتج بعض الصحابة على مقتله، وطالبوا وطالبوا بإقامة الحد عليه، فقدّم أبي بكر، تبريراً لخالد بن الوليد ، إذ قال: "**تأول فأخطأ**"[5]، والادهى من

([1]) ابن زنجزيه، الأموال، 521/2؛ البخاري، صحيح البخاري، 15/5.

([2]) سورة التوبة، الآية/97.

([3]) سورة البقرة، من الآية/216.

([4]) سورة الأنعام، من الآية/151.

([5]) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 378/3؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 158/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 37/3.

ذلك رفض عزله عن قيادة الجيش قائلاً: "**ما كنت أغمد سيفاً سله الله**"[1]، واستمرت السلطة بتصفية المعارضين فيقبض على الفجأة[2] ويُبعث به إلى أبي بكر الذي أمر بأحراقه، وذلك إبّان حروب السيطرة، إذ ذكر الواقدي[3]، قائلاً: "**فَأُخْرِجَ الْفُجَاءَةُ، ثُمَّ جُمِعَ لَهُ الْحَطَبُ، وَشُدَّتْ يَدَاهُ وَرِجْلاهُ، وَوُضِعَ فِي وَسْطِ الْحَطَبِ، وَأُضْرِمَ الْحَطَبُ بِالنَّارِ، وَأُحْرِقَ الْفُجَاءَةُ حَتَّى صَارَ فَحْمًا**"، وهذه الأحكام والاساليب ممًا لا تمت بصلة للإسلام، وأنْ كان المعني خارج عن ربقة الدين، ثم أن أبا بكر ندم على إحراقه وتمنى أنه اطلقه أو قتله ولم يحّرقه[4]، السؤال الذي يتبادر، لماذا ندم؟ فأمّا أنْ يكون تصرفه هذا مخالف لأحكام الشريعة وهو يعلم ذلك ابتداءً، إلّا أنَّ حب السلطة والحصول على المال (الصدقات) منعه من أنْ يتصرف بحكمة، أو أنَّه كان مسيّراً لا يملك سلطة ال قرار، وفي كل الأحوال فأن ندمه يعطي دليلاً على أنَّ تصرفه غير موافق لأحكام الشريعة السَّمْحاء، وعلى هذا فأن الاجراءات التي اتخذتها السلطة الحاكمة من قتلٍ أو حرقٍ، أسَّسَتْ لبادرةٍ خطيرةٍ في الدولةِ العربيةِ الإسلاميةِ، إذ أنَّها أعطت الشرعية للحاكم ومن يأتمر به بالجواز الشرعي في قتل المعارضين وأنْ كانوا مسلمين، وهذا ما ابتليت به الأمة على مر التاريخ، بَيْد أن السياسة التي بُنيَّ عليها الإسلام منذ تأسيسه وحتى وفاة النبيُّ (O)، لم يشهد مثل تلك الاجراءات[5]، وما ذكره المؤرخون من النبيُّ الاكرم (O)، قتل بعض الشخصيات صبراً، ممّا يراه الباحث أنَّها جاءت لتغطية تصرفات مسلمة الفتح، التي أشرنا اليها آنفاً، بعبارة أُخرى: تعد من الموضوعات لإضفاء الشرعية أو الغطاء الشرعي لتلك التصرفات، منها على سبيل المثال: ورد في الخبر أنَّ النبيُّ(O) أمر بقتل ثلاثة صبراً[6]، والحال إنَّ أبا عبيد[7] ينفي ذلك، ويتفق الباحث بأنَّ هكذا أخبار لا تنسجم مع سيرة النبيَّ (O) من جهة، ومن أخرى أنَّها

([1]) للمزيد ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 150؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 160/5؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، 136/1.

([2]) إياس (الفجاءة) بن عبد الله بن عبد ياليل السلمي، من بني سليم، التميمي (ت: 11هـ/633م). الدار قطني، المؤتلف والمختلف، 2170/4؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 776/2؛ الزركلي، الأعلام، 33/2.

([3]) الواقدي، كتاب الردة، 78. للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، 103؛ ابن أعثم، الفتوح، 9/1-11.

([4]) أثر عن أبي بكر قبل وفاته(13هـ/635م) أنه ندم على ثلاثة، قال: "**وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ كَانُوا قَدْ غَلَّقُوهُ عَلَى الْحَرْبِ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ حَرَقْتُ الْفُجَاءَةَ السُّلَمِيَّ، وَأَنِّي كُنْتُ قَتَلْتُهُ سَرِيحًا أَوْ خَلَّيْتُهُ نَجِيحًا...وَدِدْتُ أَنِّي يَوْمَ أُتِيتُ بِالأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ أسيرا كنت ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ تَخَيلَّ إِلَيَّ أَنَّهُ لا يَرَى شَرًّا إلا أَعَانَ عَلَيْهِ**. البلاذري، فتوح البلدان، 108؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 430/3- 431.

([5]) درمنغم، الشخصية المحمدية، 157-158.

([6]) ابن حبيب، المحبر، 161؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 459/2؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 192/4.

([7]) ورد في الخبر عند أبو عبيد، أنه: "**قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَةً صَبْرًا: عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ عَدِيٍّ " قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَكَذَا حَدِيثُ هُشَيْمٍ، فَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْمَغَازِي فَيُنْكِرُونَ مَقْتَلَ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ يَوْمَئِذٍ، يَقُولُونَ: مَاتَ بِمَكَّةَ مَوْتًا قَبْلَ بَدْرٍ، وَإِنَّمَا قُتِلَ أَخُوهُ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ، وَلَمْ يُقْتَلْ صَبْرًا، قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَمِمَّا يُصَدِّقُ قَوْلَهُمْ**

أنَّها جاءت لتبرير تصرفات مسلمة الفتح، بَيْد أنَّ هذا الأثر عاد بالسلب على مركز القرار نفسه، إذ أنَّ الجرأة على قتل المسلمين أنفسهم أعطت الفسحة لأصحاب رؤوس الأموال قتل ولي أمر المسلمين نفسه، فقتل عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T).

رابعاً: أثَّر رأس المال الذي تحصل إبَّان حروب الاخضاع والسيطرة في انحلال رابطة العقيدة والدين التي أرد منها النبيَّ (O) بديلاً عن رابطة الدم في مجتمع الأخوَّة، ونكوصهم إلى سابق عهدهم، إذ حصل التمايز بين المهاجرين والأنصار، حتى عمدت السلطة الحاكمة إلى منع الأنصار اشغال أي منصب أداري أو مالي أو عسكري، واقتصارها على من وقف إلى جانبهم في حادثة السقيفة ومن مال إليهم بعد ذلك، ممّا أدى إلى استئثار فئة بعينها غير أخرى، وبطبيعة الحال فأنَّ ذلك أسهم في انحلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي وظهور بوادر الطبقية التي بلغت أوج عظمتها زمن عثمان بن عفان، التي قادت إلى قيام فورة ثم هيجان فثورة شعبيه أدت إلى مقتل عثمان وهو ما سنقف عنده في الفصل القادم.

الفصل الرابع

الْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ حِينَ كَلَّمَهُ فِي الْأُسَارَى شَيْخٌ لَوْ كَانَ أَتَانَا لَشَفَّعْنَاهُ، يَعْنِي أَبَاهُ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ فَكَيْفَ يَكُونُ مَقْتُولًا يَوْمَئِذٍ". الأموال، 171.

أثر رأس المال في مواجهة الاصلاح السياسي والديني

المبحث الأوَّل

أثر رأس المال في مواجهة الإصلاح السياسي والديني.

بدأت مواجهة الإصلاح الديني إبَّان أحدثُ السقيفةُ، فحينما تمكن الطامحين للسلطة الإمساك بزمام الأمر، نَمَتْ فئة يمكن الاصطلاح عليها بـ: (الثوقراطية)[1]، منذ تبوء أبو بكر إمرة المسلمين التي سرعان

(1) تقوم على أساس تعليل السلطة السياسية لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني، والنظام الثيوقراطي هو النظام الذي يستند إلى فكرة دينية. الكيالي، الموسوعة السياسية، 186.

ما أضحت طبقة (ارستقراطية– ثيوقراطية) زمن عمر بن الخطاب والتي اتخذت من الفتوحات سبباً للثراء ولو على حساب الشريعة[1].

بدأ أثر رأس المال واضحاً إبَّان إرسال الحملات إلى القبائل العربية تحت مسمى : (حروب الردة)، التي كانت بدوافع دنيوية أكثر مما هي دينية[2]، ويتضح ذلك في تصرفات قادة العسكر أمثال خالد بن الوليد[3]، وقد بيّنا كيف أستحوذ القوم على الأموال تحت غطاء الدين بحجة امتناعهم عن إداء الصدقات (الزكاة)، وبعد أنْ تم إخضاع القبائل في الجزيرة العربية، وجهَتْ الجيوش شرقاً صوب المناطق الخاضعة للإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، إذ بُعث المثنى بن حارثة الشيباني[4]، غازٍ في أرض السواد (العراق) حتى أثخن فيهم قتلاً وسلباً للأموال، قال الواقدي[5]: " **فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ سَارِحَةً وَلا رَائِحَةً**[6] **إلا اسْتَاقَهَا، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ حَوْلاً كَامِلاً** "، وفي زمن أبي بكر كان الموّجه لتلك الحملات هو عمر بن الخطاب وليس للأول منها غير الإجابة على عرضه وإمضائه، فذكر المسعودي[7]، ما مضمونه أنَّ ابن الخطاب دخل المسجد ودعا الناس للخروج إلى غزو الفرس في العراق فخرجوا.

الأموال التي تحصلت من الحملات التي شنتها الثيوقراطية، سواء ما جاء منها في حروب الإخضاع أو السيطرة، أسهمت في تكديس رؤوس الأموال بأيدي فئة بعينها، وأجد أنَّ تيار الإصلاح الديني (حزب الله) الذي التف حول الإمام علي (Q) لم يكن من بين الجيوش المرسلة، أو لم تسند اليهم المناصب، ولا سيّما عبد الله بن مسعود (ت:32هـ/652م) وأبو ذر الغفاري(ت: 32هـ/652م) والمقداد بن الأسود (ت:33هـ/653م)، وعمار بن ياسر(ت:37هـ/657م) وغيرهم، على الرغم من أنَّهم أبلوا بلاءً حسناً في

([1]) دعا عمر بن الخطاب، النعمان بن مقرن بن عائذ المزني (ت:21هـ/642م) للخروج فأجابه النعمان قائلاً:" **أمّا جابياً فلا، ولكن غازياً، قال: أنك غاز**". المسعودي، مروج الذهب، 354/2؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 566/4–567. نستدل من تلك الرواية على القوم يرغبون بالذهاب للغزو والحصول على رأس المال، أمّا جمع الصدقات– الزكاة– فليست ذي بالٍ عندهم.

([2]) عمل خالد بن الوليد على قتل مالك بن النويرة، على الرغم من إسلامه الذي جعله رسول الله(O) على صدقات وقومه، والأدهى من ذلك دخل بزوجته حال قتله!! (وكانت غاية في الجمال). ابن الوردي، تتمة المختصر، 135/1–136.

([3]) لويس، العرب في التاريخ، 69–70.

([4]) هو المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني (ت: 14هـ/645م)، أسلم سنة (9هـ/640م) وغزا بلاد الفرس في أيام أبي بكر، فتناقل الناس أخباره، فسأل عنه أبو بكر فقيل له: "**أما إنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى ابن حارثة الشيبانيّ**". ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 283/4–284.

([5]) كتاب الردة، 217.

([6]) السارحة: الإبل المتوجهة إلى الرعي، والرائحة: التي تروح بالعشي إلى مراحها. ابن السُكيت، إصلاح المنطق، 270؛ ابن منظور، لسان العرب، 645/2.

([7]) مروج الذهب، 327/2.

حروب الرسول (O) مع الملأ ، فضلاً عن دور الإمام علي (Q) فيها، فما هي الأسباب التي أدت إلى عدم اشتراكهم في حروب الإخضاع والسيطرة؟.

أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T)، الذي كُلّفَ بالدفاع عن رسالة السماء؛ بما يمتلكه من القدرة والامكانية والكفاءة والجدارة النفسية التي ترتبط بالحكمة والتعقل والصبر والشجاعة بوصفه في مفهومنا الإنسان الكامل، فهو نفس رسول الله (O)[1]، ومن ثمَّ فأن تصرفات القوم نحوه وما لاقاه من سلب حقه وانتهاك حرمه[2]، فهذه المحن والتجارب والمعناة في سبيل الله جلّ وعلاّ، لم تثني عزمه عن مواصلة ما بناه نبيُّ الأمة(O)، وبالتالي إعراضه عن تصرفات القوم وصبره عليها، وكذا الفئة التي آمنت به، فهي لم تشترك بالإجراءات التي اتخذت ازاء حروب الإخضاع والسيطرة، ايماناً منهم بعدم شرعيتها، ولعل سكوتهم هذا ينبئ عن عدم القدرة على المواجهة الفعلية، أي المجابهة بالقوة، ولعل الكم الهائل –العقل الجمعي– الذي كان من الكثرة إزاء قلة عدد المناصرين، مع امتلاك الفئة المقابلة لقوة السلاح والمال، حال دون المواجهة، وأجلت إلى وقت الإمكان.

ثم مجيء عثمان بن عفان (23–35هـ/644–656م)، لإمرة المسلمين منح البرجو–أرستقراطية القديمة الفرصة الكاملة للاستحواذ على المنافع الدنيوية، ولاسيّما الامتيازات[3]، في قبال التنكيل بكبار الصحابة الذين مثلوا تيار الإصلاح الديني، وما أحدثه ذلك في نفوس المسلمين من الشعور بالتجاوز والظلم والاستخفاف وخاصة من أصابهم الأذى في الشعور الجمعي للمسلمين بوصفهم ممَّنْ كانوا يمثلون جُلَّ الصحابة؛ لِما يحملونه من التقوى والعفة والورع والزهد في الحياة، ومن كبار الصحابة: عبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وغيرهم، ولبيان مدى الظلم والحيف الذي طال هؤلاء الصحابة، وكان أحد المرتكزات

([1]) قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. سورة آل عمران/ الآية61، خرج رسول الله (O) بفاطمة والحسن والحسين، لمباهلة وفد نجران. ابن سعد، متمم الطبقات الكبرى، 392/1؛ البلاذري، فتوح البلدان، 71، سير أعلام النبلاء، 286/3. أحجم بعض المؤرخين عن ذكر الإمام علي بن أبي طالب (T)، الذي هو نفس رسول الله (O) .

([2]) للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 205/3–208؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 21/3–27.

([3]) للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، 269؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 323/4؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 357.

الرئيسة للثورة على عثمان، إلى جانب الاقطاعات[1] والمناصب الادارية[2]، وسوف نسلط الضوء على بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر.

اولاً: محنة عبد الله بن مسعود (ت: 32هـ/652م).

يعد عبد الله بن مسعود من كبار الصحابة الذين لازموا نبي الله (O) وأقام على خدمته، وكناه رسول الله بـ: (ابن أم عبدٍ)[3]، وهي والدته التي لا تكاد تفارق بيت النبوة، فأصبح عبد الله بن مسعود قد حفظ القرآن الكريم كما نزل في بيت الوحي وحفظ الحديث وروى عن رسول الله (O)، وله في صحيح البخاري خمسة وثمانين حديثاً[4]، فضلاً عمّا ورد عنه في غيرها من كتب الحديث، وأشار إليه نبي الأمة غير مرة، إذ قال (O):" **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**"[5]، استعمله عمر بن الخطاب في الكوفة وكتب إليهم: "**إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا وَعَبْدَ الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وَهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ...مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَاقْتَدُوا بِهِمَا وَاسْمَعُوا مِنْ قَوْلِهِمَا، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي**"[6]، وأراد بلفظة المعلم، من يعلم الناس ويرشدهم ويفقههم في أمور الدين[7]، وكان يشار إليه بالبنان[8]، والمحنة التي اصابت ابن مسعود، أنَّ عثمان بن عفان أمر بجمع المصاحف وأحرقها، وجمعهم على مصحفِ زيد بن ثابت[9]، فأمتنع ابن مسعود أنْ يدفع بمصحفه إليهم، ويبدو أنْ ابن الخطاب حينما

([1]) البلاذري، فتوح البلدان،268– 269، 342. ثمَّ إنَّه عمل على بيع أرض السواد إلى أصحاب رؤوس الأموال من خاصته. للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 280/4.

([2]) دعا عمرو بن العاص طريد الرسول، وجعله على العسكر، ثم نفله خُمسِ افريقيا. ابن أعثم، الفتوح، 359/2. للمزيد ينظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، 254–255؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 464–465.

([3]) بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم سعد بن هذيل، صحابيه جليلة، لازمت بيت النبوة. ابن سعد الطبقات الكبرى، 150/3؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 462/1؛ ابن حجر، الإصابة، 199/4.

([4]) ابن حجر، فتح الباري، 475/1.

([5]) أبو داود، مسند أبي داود، 261/1؛ أبو شيبة، مسند ابن أبي شيبة، 265/1؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، 838/2؛ النسائي، السنن الكبرى، 353/7.

([6]) الفسوي، المعرفة والتاريخ، 533/2–534؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 379/3.

([7]) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 302/15.

([8]) ورد عن بعض الصحابة أنه قال: "**لا تسألوني عن شيء، ما دام هذا الحبر بين أظهركم**". اليافعي، مرآة الجنان، 74.

([9]) أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ولد في المدينة ونشأ بمكة، ممن تعلم اللغة العبرية، كان من المقربين لعمر وعثمان توفي سنة (45هـ/665م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 426/2–441؛ ابن حجر، الاصابة، 490/2.

بعثه إلى الكوفة، جعله على نسخ المصاحف وتعليم الناس القراءة الصحيحة، ويفهم من ذلك قوله:" **يا معشر المُسْلِمين أُعْزَلُ عَنْ نَسْخ المصاحف ويتولاها رجلٌ غيري، واللهِ لقد أسلمت وإنّه لفي صُلْبِ أبيه، يا أهل الكوفة: اكتُمُوا المصاحف التي عندكم وغُلُّوها**"[1]، وورد أنَّه قال: "**غُلُّوا مَصَاحفَكم، كيف يأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بْن ثابت**[2]، كما ورد عنه أنَّه قال:" **أَقْرَأَنِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ، فَاهُ إِلَى فِيَّ، فَمَا زَالَ هَؤُلاَءِ حَتَّى كَادُوا يَرُدُّونِي**"[3]، فكتب عثمان بإشخاصه إليه، ودخل عليه وهو في المسجد قائمٌ يخطب، فقال عثمان:" **إنه قد قدمت عليكم دابّة سوء...فأمر به عثمان فجُرّ**[4] **برجله حتى كُسر له ضلعان**"[5]، ومرض ابن مسعود على أثرها ومنع من عطاءه حتى توفي رضوان الله عليه[6]، ممّا تقدم يظهر أنْ ابن مسعود ممّن حفظة القرآن والحديث، وحينما كان يحدّث الناس فيما لا يروق لعثمان ومن حوله من الطبقة الارستقراطية المرتجعة، أضحى لزاماً عليهم تصفيته، فكادوا له، وبطبيعة الحال فإنَّ تيار الاصلاح الديني، لم تأخذهم في الله لومة لائم وإنْ كلفهم ذلك حياتهم، وجاء مقتل ابن مسعود وما لاقاه من التعذيب، الأثر البالغ في نفوس عامة المسلمين فضلاً عن التيار الإصلاحي، الذي وقف بالضد من تحركات التيار المادي، أو النفعيين من أصحاب رؤوس الأموال الذين يرومون الاستحواذ على الأموال تحت غطاء الدين.

ثانياً: نفي جماعة من القراء إلى الشام.

تعد سياسة النفي أحدى الوسائل التي اتخذها أرباب المصالح للتخلص من العناصر التي تقف بوجه طموحاتهم لجمع أكثر عدد من رؤوس الأموال، سواء بالاستحواذ على رأس المال المنقول أو الثابت؛ ولهذا عملوا على مواجهة تيار الاصلاح بسلوك طرق مختلفة، وقد بيَّنا فيما سبق كيف عملوا على تصفية عبد الله بن مسعود، ثم الطريق الآخر الذي تمثل بالنفي ووضع المعارضين تحت الإقامة الجبرية، والملفت للنظر أنَّ معظم الذين تم معاقبتهم بالنفي أُرسلوا إلى الشام، فما السبب الذي تم فيه اختيار الشام دون غيرها

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 386/3.

([2]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 386/3.

([3]) البخاري، صحيح البخاري، 28/5.

([4]) الجّزُّ: جَزُّ الشَّعر والصُّوفِ وغيره. الفراهيدي، كتاب العين، 6/6؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، 88/1. لم يطلع الباحث على معنى مخالف لما ذكر، وبالتالي فأن (جُزَّ) لعله اصابها التصحيف واصلها: (جُرَّ) أي: سُحِبَ، وجَذَبَ، وجر الشَّيْء يجره جرا إذا سحبه. ابن دريد، جمهرة اللغة، 87/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 393/10.

([5]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 118/2.

([6]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 118/2.

من البلدان؟ وعلى هذا الأساس سنبين أسباب النفي ومن ثم تعين بلاد الشام منفى للأشخاص المعارضين من تيار الاصلاح الديني.

الحوادث التاريخية التي تبين أثر رأس المال في مواجهة تيار الإصلاحي الديني، منها حادثة نفي ابن عبد القيس[1] أثر وشاية حمران بن أبان[2]، عند عثمان بن عفان ، على أنَّ ابن عبد القيس: "**لا يأكل اللحم ولا يغشى النساء ولا يقبل الأعمال**"[3]، وأضاف ابن خلدون[4] إنَّه: "**لا يشهد الجمعة**"، وفي غيرها من المصادر[5] ألفاظ مقاربه لمِا ذُكر، فكتب عثمان إلى عامله بالبصرة اشخاصه إليه، وأمر به أن يُنفى إلى الشام على قتبٍ[6] ثم تبّينت براءته من ذلك، إذ إنَّ عُثمان عَمِلَ على نفي ابن عبد القيس إلى الشام؛ على الرغم من إنَّهُ بعث إليه وسمع منه ما وجِّهتْ إليه من التهم، وحتى مع عدم ثبوتها فيما بعد، لم تُتّخذ أية اجراءات من شأنها أنْ تُعوض له عمّا ألحقه من ضرر، وإلاّ فإنَّ ما ذُكر من أسباب هل تعد كافيه لنفيهِ؟ لابد من وجود اسباب مخفيه كانت وراء إبعادهِ ونفيه إلى الشام ؟.

عند الرجوع إلى الحوادث القريبة من حادثة الوشاية والنفي، نجد أنَّ الناس في البصرة والكوفة سنة (33هـ/653م)، أجمعوا على إرسال شخص إلى عثمان يكلمه فيما أحْدَثهُ في البلدان، وكان الدافع الأساسي هو الجانب الاقتصادي وسياسة الحضوة التي انتهجها وسوء التوزيع وجشع الخاصة واستحواذهم على المال فثارت العامة ووقع اختيارهم على عامر بن عبد القيس، فتوجه إلى المدينة المنورة مركز الحكم، ولمَّا دخل على عثمان ، قال له: "**إنَّ ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في اعمالك فوَجَدْوك قد ارتكبت أموراً عِظاماً فأتقِ الله وتب اليه وأنزع عنها**"، ويبدو أنَّ كلامه أغاض عثمان فنظر لشخص جالس معهم لم يسمهِ، فقال له : "**أنظر الى هذا، فإنَّ الناس يزعمون أنَّهُ قارئٌ، ثم هو يجيء فيكلمني في المُحَقِرات، فو الله ما يدري أين الله، قال عامرٌ: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم، والله ما تدري اين الله، قال عامر: بلى**

([1]) عامر بن عبد الله بن عبد القيس العَنبرَي، يكنى أبا عمرو، يعد من العُبّاد، كان يقوم الليل كله،ومن الزُّهاد إذ كان يلبس الخشن، وكريماً فكان يأخذ عطاءه ويفرقه على المساكين، يعد من أصحاب الأمام علي(عليه السلام)، توفي في بيت المقدس أيام معاوية (41-60هـ/661-680م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 108/7؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 31/16؛ ابن الأثير، أُسد الغابة،28/3.

([2]) حمران بن أبان بن خالد بن عبد عمرو، كُنيتهِ أبا يزيد، مولى عثمان بن عفان، يهودياً من سبي عين التمر، اشتراه عثمان ثم أعتقه، وعمل كاتباً له، ثم أخرجه إلى البصرة أثر افشائهِ بعض سرِّهِ، وقيل: بسبب زواجه من امرأة في عدتها توفي بعد سنة (75هـ/694م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، /148؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 130/3؛ المُزّي، تهذيب الكمال، 302/7 .

([3]) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 439.

([4]) العبر، 591/2.

([5]) مسكويه، تجارب الأمم، 429/1؛ الغزّالي، إحياء علوم الدين، 36/15؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 521/2 .

([6]) القتب: إكاف البعير، رحلٌ على قدرِ سِنامه. الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 198/1؛ ابن منظور، لسان العرب، 660/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 515/3-517 .

والله إنِّي لأدري أنَّ الله لك لبالمرصاد"[1] ، ثم افترقا، ولعلَّ الأزمة قد اشتدت بعد تلك الحادثة، فأرسل عثمان إلى كلٍّ من: معاوية بن أبي سفيان (20-60هـ/640-679م) وكان على الشام، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح (26-35هـ/646-655م) وكان على مصر، وسعيد بن العاص (30-33هـ/650-653م) وكان على الكوفة، وعمرو بن العاص (ت:42هـ/662م)، -كان قد عزله عثمان عن ولاية مصر وأسندها إلى أخيه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح-، وأضرابهم فأجابوه، وطلب منهم المشورةَ، فأشاروا عليه كلٌ برأي مختلف [2]، وكانت الحادثة في السَنة ذاتها (33هـ/653م)، التي مثَّل فيها ابن عبد القيس أهل العراق لِلقاء عثمان، وذكر ابن سعد[3]، أنَّ عامر بن عبد القيس كان من بين الرَّهْطُ [4]، الذين تم نفيهم الى الشام، ثم أذِنَ لهم بالرجوع، أمَّا ابن قتيبة الدينوري [5]، عند ذكره لحادثة ابن عبد القيس، قال : "**ورهطهُ قليلٌ**"، وذكر مسكويه[6]، الرَّهْطُ الذي نفاه عُثمان إلى الشام ولم يذكر أسمائهم إذ قال: "**فسيّر عُثمان منهم نفراً**[7] **الى الشام ليُذِلَهم بمعاوية**".

عند التأمل في النصوص مارة الذكر، يمكن القول بوجود تداخل في الروايات التاريخية لحادثة النفي لأبن عبد القيس، ونفي الرَّهطُ إلى الشام، وإنَّ الحادثتين وقعتا في السَنة نفسها (33هـ/653م)، فإمَّا أنْ تكون حادثة الوشاية بابن عبد القيس منفصلة عن حادثة النفي للرَّهْطُ، فيكون قد نُفِيَ مرَّتين، مرة على رواية ابن سعد، الذي ذكره ضمن الرَّهط، وأُخرى على رواية ابن قتيبة ومِسكويه والغزّالي، الذين ذكروه في حادثة الوشاية، ونحن نستبعد نفيه مرتين، ولكن المراد معرفته هل كان مع الرَّهط الذي نفاه عثمان إلى الشام على

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 333/4؛ النويري، نهاية الأرب، 467/19.

([2]) للمزيد ينظر: مسكويه، تجارب الأمم،429/1؛ الغزّالي، إحياء علوم الدين، 36/15؛ ابن الجوزي، المنتظم، 44/5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 521/2 .

([3]) الطبقات الكبرى، 74/7.

([4]) الرَّهْطُ: العدد الذي يجمع بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل من الثلاثة إلى السبعة، أو من السبعة إلى العشرة، ليس فيهم امرأة، وعليه في كل الأحول لا يتجاوز عددهم العشرة، ينتسبون إلى قبيلة واحدة، ومنها قوله تعالى:﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ النمل/48. الفراهيدي، كتاب العين، 19/4؛ أبو منصور الهروي، تهذيب اللغة، 101/6؛ الزبيدي، تاج العروس، 316-311/19 . قال ابن سعد: "**لما سُيِّرَ أولئك الرَّهْط إلى الشام كان فيهم مذعورٌ وعامرُ بن عبد قيس وصَعْصَعةُ بن صُوحَان. فلما عرفوا براءتهم أُمروا بالانصراف فانصرف بعضهم وبقي بعضهم فكان فيمن اقام مذعور وعامر، وكان فيمن انحاز صعصعة بن صوحان**". الطبقات، 87/7. أمَّا ابن الأثير، فأنه يعدّهم وهم كل من: "**الاشتر[مالك] وثابت بن قيس وكميل بن زياد وزيد بن صوحان واخاه صعصعة وجندب بن زهير الغامدي وجندب بن كعب الازدي وعروه بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وابن الكواء**". الكامل في التاريخ، 121/3.

([5]) المعارف، 195.

([6]) تجارب الامم، 429/1.

([7]) النَفرُ: هو العدد من الثلاثة إلى العشرة، فيقال: عشرة نفر، أي عشرة رجال، ولا يقال: عشرون نفراً، ولا ما فوق العشرة، وجمعها: أنفار. الفراهيدي، كتاب العين، 267/8؛ الجوهري، الصحاح تاج اللغة، 833/2 .

رواية ابن سعد، أم بحادثة منفصلة؟ وهل كان بمفرده، أم كان ضمن رهط قليل بحسب ما قاله ابن قتيبة؟ لأنَّ ذلك يقودنا إلى استنتاج لعله يكشف أسباب النفي المخفية .

إنَّ ما ذكره ابن سعد من وجود ابن عبد القيس ضمن الرَّهط الذي نفاه عثمان إلى الشام، وما ذكره ابن قتيبة الدينوري من أنَّ "**رهطه قليل**"، وبحسب المعنى اللُّغوي للرَّهط، الذي لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة أشخاص، وكذا النَفَرُ، يعني أنَّهُ لم يكن بمفرده، وإنَّما رهطه الذي ضم كلاً من: صعصعة وأخيه زيد ابني صوحان [1]، وهم ينتسبون إلى جدٍ واحد؛ لقبيلة عبد القيس العدنانية [2]، والرَّهط الآخر ينتسبون إلى جدٍ واحد أيضاً، من قبيلة الأُزد القحطانية [3]، ولِما تقدم فإنَّنا نُرجِّح، أنَّ ابن عبد القيس كان من بين الرَّهْط الرَّهْط الأول الذي أشرنا إليه، إلّا أنَّهُ لم يتسنَ له الرجوع مع رفقته بمَحضِ أرادتهِ؛ لأنَّ معاوية أبقاه تحت الإقامة الجبرية، ثم أنَّ مسكويه، عند حديثه عن الرَّهْطُ قال: "**لِيُذلَّهم بمعاوية**"، تكشف تلك النصوص أنَّ هنالك حادثتين، وإنَّ سبب النفي ما ذكره صعصعة عند حصار عثمان، حينما طلب منهم رجلٌ يكلمهُ، إذ قال له : "**ما نقمتم عليَّ، قال:[صعصعة] أُخرجنا من ديارنا بغير حق إلّا إنْ قلنا ربنا الله**"[4]، يعطي هذا النص دليلاً على سبب نفي الرَّهْطُ الذي لم يورده المؤرخون ضمن أسباب الوشاية بابن عبد القيس وليس ما أورده المؤرخون من أنَّه لا يأكل اللحم ولا يغشى النساء، وغيرها من الأسباب التي تعد غير مقنعة وغير كافيه لنفيه على قتب، ذكر الشالجي[5] قائلاً : "**إنَّ الحمل على قتب واحدة من وسائل التعذيب؛ لأن الحمل الحمل على القتب يكون بلا غطاء ولا وطاء**"، ولا سيّما أنَّ المسافة بين البصرة والشام بعيدة، ولعل

([1]) صَعْصَعة بن صوحان بن حجر يُنسب إلى قبيلة عبد القيس العدنانية، أسلم على عهد النبي (O)، كان خطيباً بليغاً شهد مع الإمام علي (T)، الجمل (36هـ/656م)، التي استشهد فيها اخويه زيد وسيحان، وشهد أيضاً صفين (37هـ/657م)، نزيل الكوفة، وهو من كلم عثمان عند حصاره سنة (35هـ/655م)، حينما طلب من يكلمه، فقال له عثمان :"**ما نقمتم عليَّ، قال [صعصعة]: أُخرجنا من ديارنا بغير حقٍ إلّا إن قلنا ربنا الله**"، توفي بالكوفة سنة (60هـ/680م). ابن الكلبي، نسب معد واليمن، 82؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 171/7؛ البخاري، التاريخ الكبير، 43/2؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 717/21؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 79/24–99 .

([2]) قبيلة عبد القيس: إحدى القبائل العربية التي يرجع نسبها إلى: افصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، كانت ديارهم بتهامة، وبعد دخول هذه القبيلة في الإسلام نزحت بعض بطونها إلى عدد من الامصار ومنها البصرة. ابن الكلبي، نسب معد واليمن، 101/1–111؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 295–296؛ القلقشندي، نهاية الارب، 338.

([3]) قبيلة الأزد: أحدى القبائل العربية التي يرجع نسبها إلى: الغوث بن النبت بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، موطنهم الأصلي سبأ ويغلب على الظن إنَّها افترقت بعد تصدع سد مأرب. ابن الكلبي، نسب معد واليمن، 478/2؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 101؛ القلقشندي، نهاية الأرب، 396.

([4]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 171؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 347/39.

([5]) موسوعة العذاب، 39/4.

الأسباب الأخرى التي تَكْمنُ وراء نفي رهط عامر بن عبد القيس إنَّهُ مثل تيار الإصلاح الديني، إذ عُد من الزُهّاد والعُبّاد[1]، واجتماعية بنسبتهِ إلى قبيلة لها ثقلها الاجتماعي وتأثيرها على الساحة السياسية، ومن ثم معارضته لسياسة عثمان ومن تبعه من النفعيين، إذ أُنتُدِبَ –ابن عبد القيس–من أهل العراق ليمثلهم ويكون سفيرهم إلى المدينة المنورة، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ اعطاءه هذا الدور له ما يبرره؛ لذا وجد عثمان ومن أشاروا عليه أن خير وسيلة للتخلص من ابن عبد القيس ورهطه، –تيار الإصلاح الديني– هو نفيهم وجعلهم في دائرة ضيقه بعيداً عن قواعدهِم الشعبية إلى الشام التي كان يحكمها معاوية (41–60هـ/661–680م) ووضعهم تحت الإقامة الجبرية، للحد من تأثيرهم في تيار الإصلاح الديني، وعلى هذا كانت حادثة النفي للرهط من آثار رأس المال ونتيجة له .

ثالثاً: عُبادة بن الصامت (ت: 34هـ/654م).

يعد عُبادة الخزرجي الأنصاري، مّمن شهد بيعتي العقبة، والمشاهد كلها مع رسول الله (O)[2]، ومن رواة الحديث، وصحابي جليل، أرسله عمر بن الخطاب (13–35هـ/634–655م)، قاضياً ومعلماً إلى الشام وكان يفقه الناس بدينهم[3]، فكان يحضر الأسواق ويمنع من أخذ الربا وبيع الخمر، ويقوم خطيباً إذا ما رصد مخالفة لأحكام الشريعة[4]، حتى أغاض معاوية الذي لم يحتمل وجوده في الشام يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقضي بين الناس، فكاد له، وحَدثَ أن اتلفَ عُبادة تجارةٌ للخمرِ تعودُ لأمير الشام معاوية فعزم على نفيه منها إلى المدينة، وحينما سأله ابن الخطاب عن السبب، أخبره بفعل معاوية، فأعاده إلى الشام، وقال له:" **لا إمرة له عليك**"[5]، وحينما عاد ابن الصامت –ذلك الصحابي الذي مثل تيار الاصلاح الديني إلى الشام واصل نهجه معلماً وقاضياً وموجّهاً على وفق كتاب الله وسنة نبيه (O)، وذلك ممّا لا يُريح النفعيين الذين يرومون كسب أكبر قدر من رأس المال، فاتخذ معاوية الفرصة السانحة لإبعاد ثانية، وذلك أثر منعه خطيباً امتدح معاوية وأثنى عليه كثيراً مما ليس فيه، وكان ذلك زمن عثمان بن عفان(23–35هـ/644–656م)، فكتب إلى الاخير : " **أنه قد أفسد عليَّ الشام وأهله، فأما أنْ تكفه اليك، واما أن أخلي بينه وبين الشام**"[6]، وتم إبعاده إلى المدينة المنورة ثانية، ويبدو أنه لم يُعرِضْ عن الحديث

([1]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 121/7؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 130/3؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 280/1.

([2]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 546/3؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 56/3.

([3]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6/2؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 16/ 353.

([4]) ابن الأثر، أُسد الغابة، 57/3؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 1/ 299.

([5]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 7/2؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 56/3.

([6]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 9/2.

وأفسد على النفعيين مطامحهم حتى واجهه عثمان بحديثٍ عن رسول الله (O)، قال: سمعت رسول الله (O) قال : " **إِنَّهُ سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ فَلَا تَعْتَلُّوا بِرَبِّكُمْ**"[1]، فنفاه عثمان إلى الشام حتى وفاته فيها[2].

أتخذ معاوية بن أبي سفيان سياسة التجهيل للناس بأمور دينهم ومنعه للوعاظ والقضاة من الصحابة الاوائل الذين خَبَروا سُنة النبي (O) والقرآن الكريم، وخير دليل منعه عبادة بن الصامت العُقْبيُّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذات الإجراء أتخذه مع غيره ممن مثلوا تيار الإصلاح الديني وهو ما سنبينه لاحقاً.

رابعاً: حادثة نفي أبي ذر الغفاري.

ازاء الإنحراف الذي طرأ على الجماعة الإسلامية وما نتج عنه من تعدٍ لحدود الشرع، أنبرى تيار الإصلاح لمواجهة آثار رأس المال الذي استحوذت عليه البرجو ارستقراطية القديمة بدعم واسناد ورعاية عثمان بن عفان، ومن الشواهد التاريخية على ذلك حادثة نفي أبو ذر الغفّاري[3]، فما هي الأسباب والنتائج التي تمخضت عنها؟.

يعد الصحابيّ الجليل أبو ذر الغفاري واحدٌ من الصحابة الذين مثلوا تيار الإصلاح الديني، إذ أنَّ الحادثة التي تم على أثرها نفيه إلى الشام أولاً ثم إرجاعه إلى المدينة ثم نفيه مرة أُخرى إلى الرَّبذة[4]، ممّا ترتبط بتأثير رأس المال، إذ ذكر الطبري[5]، في مستهل حديثه عن حادثة النفي لأبي ذر، فقال: "**وَقَدْ ذُكر فِي سبب إشخاصه إِيَّاهُ منها وإِلَيْهَا أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها**"، ويبدو أنَّ القوم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما خلى تيار الصلاح الديني، وذكر المقدسي[6] محاورة النبي (O) لأبي ذر، إذ قال له : "**كيف بك إذا أخرجت عن المدينة لقول الحق... قال أفلا أضرب بسيفي قال لا**"، فكان أبو ذر قد

([1]) ابن حنبل، مسند احمد بن حنبل، 429/37-430.

([2]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10/2؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 353/16 .

([3]) أبو ذر الغفاري: هو جندب بن جناده من بني غفار، صحابي جليل القدر، يعد من المسلمين الاوائل، قال عنه النبي(O): "**ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من أبي ذر**". ابن سعد، الطبقات الكبرى، 228/4.

([4]) ا لرَّبذة: احدى قرى المدينة المنورة، جعلها الخليفة عمر بن الخطاب حمى لإبل الصدقة، ونفى إليها أبي ذر وبقى مقيماً فيها حتى وفاته. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 24/3- 25.

([5]) تاريخ الرسل والملوك، 283/4.

([6]) البدء والتاريخ،94/5.

دأب الحديث والفتيا، حتى قال قائلهم: "**أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ، وَقَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ...يَسْتَفْتُونَهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَلَمْ يَنْهَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْفُتْيَا؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَرَقِيبٌ أَنْتَ عَلَيَّ**"[1]، فيما ذكر الإمام عليٌ (Q)، موقف أبا ذر فقال :" **لَمْ يَبْقَ الْيَوْمَ أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي، ثم ضرب بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ**"[2]، وحينما صيّره عثمان إلى الشام كان باستشارة معاوية لجعله تحت الإقامة الجبرية، إلّا أنَّ ذلك لم يمنع من عزم أبي ذر، حتى راح يصوّب الناس في دينهم، فورد في الخبر أن الناس مالوا إليه، فكتب معاوية إلى عثمان:" **أن الشام ليست لي بأرض ما دام أبو ذر فيها**"[3]، فأمر به أنْ يعاد إلى المدينة على ظهر قتب، بغير وطاء، ودخل المدينة وقد ذهب لحم فخذيه[4]، وكان أبي ذر شديد المواجهة لأصحاب رؤوس الأموال فكان كثيراً ما يردد قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [5]، ولعل الآية مارة الذكر كانت السبب المباشر في نفي أبا ذر؛ وذلك حينما دار حديث بينه وبين عثمان وكعب الأحبار[6] حول الذي ادى زكاة ماله، هل يجب عليه بعد ذلك شيء؟ أعطى كعب الأحبار رأيه، فوكزه أبو ذر، وقال له: "**يا ابن اليهودية الكافرة ما انت والنظر في احكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك، حيث قال:** ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[7]، فأغاض ذلك عثمان وقال له: يا أبا ذر إنّك شيخ خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله (O)، لقتلتك[8]، ولعل السبب الحقيقي وراء نفي أبي ذر ما قاله الإمام علي (Q)،عند توديعه لابي ذر، إذ قال له : "**ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فأترك في ايديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما احوجهم الى ما منعتهم، وما اغناك عمّا منعوك**" [9]، يتبين من الحوادث مارة الذكر أنَّ

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 410/3.

([2]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 231/4؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 407/3.

([3]) المقدسي، البدء والتاريخ،94/5.

([4]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 119/2.

([5]) سورة التوبة/من الآية 34.

([6]) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها (32هـ/652م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 445/7-446؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة، 2386/5؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 187/4-189 .

([7]) سورة التوبة/من الآية 34.

([8]) للمزيد ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 542/5؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1652/4-1656؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 46/2-78 .

([9]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 372/8-380.

أبا ذر بوصفه أحد رجالات تيار الاصلاح الديني وقف في مواجهة التيار المادي رغم الضغوط التي مورست معه، فلم تثني عزمه، فراح يحدث الناس ويؤلبهم، ما كلفه حياته، فجاء نفيه أثر من آثار رأس المال في إبعاد المعارضين.

خامساً: عمار بن ياسر.

يعد عمار[1]، من المتقّدمين في مسيرة الإصلاح الواعية والرشيدة، ومن الصحابة الأجلاء، وينتمي إلى عائلة قدّمتْ التضحيات في سبيل إعلاء كلمة :(لا اله إلا الله محمد رسول الله)، ولاقوا حتفهم في سبيل العقيدة والدين في أعلى عليين عند مليك مقتدر، فكان عمار لا يتوانى عن قول الحق، استعمله ابن الخطاب على الكوفة حتى وفاته، وعزله ابن عفان[2]، لمِا كان يضمره له من الحقد والكراهية إبَّان أحداث الستة الذين عينهم ابن الخطاب لولاية الأمر، إذ كان موقف عمار إلى جانب الإمام علي (Q)، وأشار إلى تولية الإمام؛ بوصفه الاحق بها، فكان الرد منافياً للآداب والأخلاق، إذ قيل له :"**يا فاسق بن فاسق أأنت ممن تستنصح المسلمين أو يستشيرونك في أمورهم**"[3]، سبحان الله ! آل ياسر الفاسقين؟[4]، وممّن طردهم رسول الله (O) يتحكمون بمصير المسلمين، هكذا تعاملوا مع تيار الإصلاح الديني(حزب الله)، بالتنْكيلِ والزّجرِ، حتى أنتهى أمره إلى أنْ يُضرب ويُهان فتفتق بطنه ويكسر ضلعه ويغشى عليه[5]، ليس لشيء سوى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وهذا بطبيعة الحال لا يُريح أرباب رؤوس الأموال من النفعيين، الذين يرمون جمع أكبر قدر من الأموال وإشباع نهْمِهِم، فنقموا من أشخاص تيار الإصلاح.

([1]) هو عمار بن ياسِر بن مالك بن كناية بن قَيْس بن حُصين العنسي المذحجي، هاجر الهجرتين وحضر المشاهد كلها مع رسول الله (O)، وقف إلى جانب الإمام علي (T) في تيار الاصلاح (حزب الله)، قال عنه النبي : " **ملي عمار إيمانا إلى أخمص قدميه**"، وقال (O): " **تقتل عمار الفئة الباغية**"، فقتله (حزب الشيطان) معاوية واتباعه سنة (37هـ/657م). للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 121–122؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1135/3–1140؛ البلاذري،156/1–175 .

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، 274؛ ابو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، 129؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 144/4.

([3]) المقدسي، البدء والتاريخ، 191/5.

([4]) حينما كان آل ياسر يعذبون في الله، مرَّ رسول الله (O) فيهم منادياً : " **صبراً آل ياسر موعدكم الجنة**". ابن إسحاق، السيرة والمغازي، 192؛ السهيلي، الروض الأنف، 116/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 664/1؛ الحلبي، السيرة الحلبية، 426/1 .

([5]) ابن عبد البر، الاستيعاب، 1136/3.

إنَّ وقوف أصحاب رؤوس الأموال بوجه خيار الصحابة الذين عاشوا حول الرسول وعاصروا الدعوة الإسلامية منذ بواكيرها الأولى وخاضوا حروبه كلّها، أحق أنْ يتبعوا، أم النفعيين الذين لا يفقهون شيئاً من الدين سوى أتخاذه غطاءً لتحقيق مصالحهم ولو على حساب الشريعة، ولعل ما صرحت به عائشة زوج الرسول (O) من القول: " **اقتلوا نعثلاً فقد كفر**"[1]، جاءت بعد حرمانها من العطاء الذي منحه إياها ابن الخطاب في سياسته التي انتهجها في توزيع العطاء القائمة على أساس القرابة والسابقة واستمر عليها عثمان شطر من ولايته، وحينما رام العدول عنها الّبت عليه القوم، وحينما قُتل انقلبت على عقبها وحَمَلها طلحة والزبير والامويين من أرباب التيار المادي والنفعيين بالخروج على أمير المؤمنين (Q) صاحب الحق الشرعي بخلافة رسول الله (O) في إمرة المسلمين؛ لأنَّها كانت تحسب أنْ الأمر يؤول إلى طلحة بن عبيد الله[2]، وحينما علمت بإنَّ البيعة كانت لعلي (Q)، نادت من فورها :" **وا عثماناه ما قتله الّا عليّ**"[3].

ثانياً: أثر رأس المال في الانقلاب الطبقي.

كان الملأ من قريش قبل البعثة النبوية هو المتسيد في الجزيرة العربية ولاسيّما مكة، وكما اوضحنا ذلك في الفصل الاول من هذه الدراسة، وكانت الطبقية في المجتمع المكي سمة بارزة، وحينما جهر النبيُ (O) بالنبوة فأنه سعى لتقليل الفوارق الطبقية والقضاء عليها قضاءً مبرماً، إلا أن ذلك ليس بالسهل اليسر، فقد واجه قوة الملأ بالضد من ذلك، وحينما انتقل إلى المدينة المنورة وضع المرتكزات الرئيسة إبَّان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ومقاسمتهم أموالهم، ثم أنَّه أعطى المهاجرين الغنائم من غير الأنصار، ليس مرده التمييز وإنما وجد أن التوازن الاقتصادي في المجتمع المديني مختلاً وفيه تفاوت كبير بين المستوى المالي للمهاجرين المنخفض، الذين تركوا دورهم وجلّ أموالهم للعدو، قياساً بالمستوى المستقر نسبياً للأنصار فعمد على أعادة التوازن، وجاءت التشريعات السماوية تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية، منها ما يتعلق بالتجارة وما يتحصل من أموال بطرقٍ أُخرى، ففيما يرتبط بمفهوم الزكاة (الصدقات) –على سبيل المثال– فأنها وردة في كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

([1]) ابن عمر، الفتنة ووقعة الجمل، 115؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 257؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 459/4؛ ابن أعثم، الفتوح، 437/2؛ مسكويه، تجارب الأمم،469/1.

([2]) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي، أسلم مبكراً، وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه، في عداد الناكثين بيعة أمير المؤمنين الإمام علي (T)، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة، ودفن بالبصرة. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 214/3–226؛ البغوي، معجم الصحابة، 407/3–413؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة، 94/1–104؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 764/2– 771.

([3]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، 105.

الرَّاكِعِينَ﴾[1]، فأن هدفها ليس لسدّ حاجة الفقير فحسب، بل لإعطاء الفقير من المال بالقدر الذي يلحقه بالناس في مستواه المعاشي، أي لابد من توفير مستوى من المعيشة للفقير ما يلحقه بالمستوى العام للمعيشة الذي يتمتع به غير الفقير في المجتمع، وهذا يعني أن توفير مستوى موحد أو متقارب لكل افراد المجتمع هدف إسلامي لابد لولي الأمر من السعي في سبيل تحقيقه[2]، ومن ثم نقل المجتمع من الطبقية إلى الفئوية أي أنَّ التفاوت على أساس الفئة وليس الطبقة وبذلك يكون قد صحح البنية المجتمعية في الإسلام أي كل الفئات سواء أكانوا من المسلمين أم المعاهدين بوصف الكل مجتمع دولة لا أبناء أمة فحسب، أضف إلى ذلك فإنَّ توازن التوزيع له آثاره التنموية في خلق المنفعة الاقتصادية واستغلال كامل لطاقة العمل – قوة عمل المجتمع– الذي يسهم في نمو وسائل الانتاج وتنامي الأموال إلى غير ذلك من عمليات تنشيط كركة الاقتصاد في الدولة المزمع قيامها في المدينة المنورة، وهذا ما لم يدركه الطامحين للسلطة الذين تقمصوا الأمر بعد رسول الله (O) فهم لم يدركوا روح النص التشريعي ما جعلهم يشتطوا كثيراً في الأحكام الشرعية يحسبون أنهم يحسون صنعا، والحقيقة أنهم لم يكونوا أهلاً لها، وقد بينا في مواطن كثيرة أن النبي (O) حينما أختار الإمام علي (Q) لهذا الإمر؛ لأنه وجد فيه القدرة والقابلية على فهم روح النص ومن ثم حمله والسير به على المحجة البيضاء[3]، إذ ورد عن ابن الخطاب أنَّه قال: " **إِنْ وَلُّوهَا الأَجْلَحَ سَلَكَ بِهِمُ الطَّرِيقَ**"[4]، وحينما أنقلب القوم على ما أراد لهم نبيهم فأنهم تفرقوا وذهبوا مذاهب شتى، ولنا في ذلك مثالاً أخر، أنَّ النبي (O) حينما اعطي بعض من رجالات قريش من غنائم حُنين (8هـ/630م) قيل أنه (O) يتألَّفهم فيها على الإسلام[5]، ولعل مراد النبي (O) هو تحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي، ومن ثم العدالة في التوزيع، فهم وأن كانوا مّمن اضمر العداء للإسلام، إلّا إنَّهم اصبحوا معلنين إسلامهم ويعيشون تحت ظل الدولة الإسلامية وبالتالي معاملتهم على قدم المساوات، وربما هذا ما لم يدركه بعض من الأنصار الذين اعترضوا على ذلك حتى وجدوا على النبي (O) إلّا إنَّه كلمهم بذلك فعادوا إلى رُشْدِهم[6]، أذن فإنَّ تحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي يقع على عاتق ولي الأمر –إذا

([1]) سورة البقرة/ الآية 43.

([2]) الصدر، الإسلام يقود الحياة، 24.

([3]) المَحَجَّةُ: الدَّلِيلَةُ البَيضاء، وهي المَحَجَّةُ الواضِحَةُ، أو الدليل. ابن منظور، لسان العرب، 249/11؛ الزبيدي، تاج العروس، 501/28.

([4]) يريد بذلك الإمام علي (T). البلاذري، أنساب الأشراف، 501/5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 749/2 .

([5]) للمزيد ينظر: الواقدي، المغازي، 944/3–945؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 90/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 190/2.

([6]) السهيلي، الروض الأنف، 366/7؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 242/2–244؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 116/2.

كان مبسوط اليد–، بمعنى إنَّ التوازن الاقتصادي في المجتمع يقع على طرفين، الطرف الاول: خاص بولي الأمر الذي يضع الحدود في نصابها (الشريعة)، والطرف الثاني: خاص بالأفراد الذين يُمكنون وليُ الأمرُ من تنفيذِ الاحكامِ[1]، وإلّا ما فائدة وجود وليُّ الأمر دون تمكينه من لدن الأفراد؛ ولهذا أجد أنَّ النبيُّ الأكرم حينما أوصى الإمام علي (Q) للقيام بالأمر إذا ما قام معه اربعون رجلاً من المسلمين وإلّا فعليه أن يصبر[2]؛ لعل الاربعين يستطيع أن ينهض بهم، للقيام بالأمر وحينما لم يوافوه غير اربعة قعد عنه، إلّا أن قعوده–القيادة السياسية– لم يمنعه من اعطاء المشورة أو التدخل حيثما يرى ذلك ممكناً؛ ولهذا أجد أن ابن الخطاب يردد غير مرة ، قائلاً: " **لَا أَبْقَانِي اللَّهُ بِأَرْضٍ لَسْتَ بِهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ**"[3]. أو منها بصيغة أخرى قوله: " **لَا أبقاني الله بعْدك يَا عَليّ**"[4]، و هو ما مكن الإمام علي (Q) الذي مثل تيار الإصلاح في مجتمع الاخوة، من التدخل نوعاً ما لإحداث الإصلاح، منها على سبيل المثال لا الحصر تدخله في مسألة توزيع الأرض المفتوحة في أرض السواد، بعد أن طلب العسكر توزيعها عليهم، استشاره عمر فيمَ يصنع فقال له: "**انظر ما أجلب عَلَيْهِ أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس واترك الأرض والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بَيْنَ من حضر لم يكن لمن يبقى بعدهم شيء**"[5] وبهذا كَتبَ عُمر إلى عاملهِ في الكوفة[6]، وكانت رؤية الإمام (Q) في ذلك تحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي وعدم تكديس رأس المال بأيدي مجموعة على حساب الأخرى .

والفئة البرجو–أرستقراطية القديمة التي أُجبِرتْ على الدخول في الاسلام بعد فتح مكة عام(8هـ/630م)، كانت تتطلع إلى الصدارة، ويبدو ذلك واضحاً في خطاب أبو سفيان بعد أن وليّ أبي بكر أمرة المسلمين قال: " **مَا بَالُ هَذَا الأَمْرِ فِي أَقَلِّ حَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ**"[7]، إلا أن الاخير سعى في ترضية هذه الطبقة وذلك بأن أسند بعض الوظائف إليهم، فعلى سبيل المثال: بأن جعل يزيد بن أبي سفيان أميراً على الشام[8]، وحينما سلك عمر بن الخطاب طريقاً آخر في توزيعه للعطاء مخالفاً في ذلك سنة النبي الاكرم

([1]) الصدر، الإسلام يقود الحياة، 35.

([2]) حينما اصبح الإمام لم يأتيه إلّا اربعة، وهم:(سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير). للمزيد ينظر: سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 29– 52 .

([3]) ابن شاهين، الترغيب في فضائل الأعمال، 102.

([4]) ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 69/3.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، 261.

([6]) ابو عبيد، كتاب الاموال، 65.

([7]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،209/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 187/2؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء،55.

([8]) للمزيد ينظر: الواقدي، فتوح الشام، 7/1؛ البلاذري، فتوح البلدان، 112–140؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 151/6؛ الديّار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 222–224.

(O) ، فقال: " **لا أجعل من قاتل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[وآله] وَسَلَّمَ كمن قاتل معه، فبدأ بمن شهد بدراً منَ المهاجرين والأنصار... وفرض لأبناء البدريين ألفين ألفين**"[1]، لعله في ذلك أراد حرمان بعض الفئات الاجتماعية الداخلة في الإسلام ولاسيّما المعارضين[2]، وفي الوقت ذاته عمل على زيادة العطاء لبعض القادة العسكريين الموالين والمناصرين لدولته[3]، فضلاً عن الغنائم الحربية التي كان يحصل عليها المقاتلين في حروب السيطرة التي زادة من واردات الدولة، حتى عملت الطبقة الثيوقراطية على شراء ما يتحصل من واردات بعد الحروب، ونشاط حركة التجارة، بعد أن أبرم القادة والولاة معاهدات الامان لأنفسهم وأموالهم فمارسوا التجارة بحرية وحققوا أرباح وفيرة[4]، كل ذلك أسهم في زيادة الهوة بين الفئات الاجتماعية، ناهيك عن السياسة التي انتهجها ابن الخطاب التي زادت من الطين بلة، بأن أحدثت انقلاباً طبقياً، فهي ادت إلى تكديس رؤوس الأموال في أيدي مجموعة على حساب أخرى، ومما يمكن قوله أن المدينة المنورة شهدت تدفق للأموال بشكل غير مسبوق في التاريخ الإسلامي ولاسيّما الغنائم، وكل ما يمكن انتزاعه عنوة أو عن طريق الاعطيات فانحسر رأس المال بأيدي القلة مع حرمان الاخرى منه، الذي أحدث تفاوتاً طبقياً، ولعل ابن الخطاب لم يدرك خطأ تلك السياسة إلّا متأخراً، حينها قال: " **وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتُ إِلَى هَذَا الْعَامِ الْمُقْبِلِ لَأُلْحِقَنَّ آخِرَ النَّاسِ بِأَوَّلِهِمْ، وَلَأَجْعَلَنَّهُمْ رَجُلًا وَاحِدًا**"[5]، يلمح النص إلى شعوره بالتفاوت الطبقي، أي أي خلق طبقة من المترفين الذين اكتنزوا الأموال وسيطروا على سوق العرض والطلب، وفي الوقت نفسه لعل النص يعطي اشارة إلى السبب الذي قُتل من أجله، لعله ارد الرجوع عن سياسته في توزيع العطاء وذلك مما لا يرتضيه اصحاب رؤوس الأموال لأنه يؤدي إلى انتزاع الأموال التي جمعوها بشتى الطرق فعالجوه بالقتل، ولعل ابو لؤلؤة[6] كان الاداة المنفذة لهم[7]، فيما ذهب المؤرخون[8] في سبب قتل ابن

([1]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 296/3؛ البلاذري، فتوح البلدان، 433.

([2]) الطبري، دلائل الإمامة، 124..

([3]) فعلى سبيل المثال زاد من عطاء يزيد بن أبي سفيان (ت:18هـ/639م)، و خالد بن الوليد (ت: 21هـ/641م). ابن حنبل، فضائل الصحابة، 292/1.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، 154.

([5]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 301/3.

([6]) فيروز الفارسي النصراني غلام المغيرة بن شعبة، طعن ابن الخطاب في صلاة الصبح ثم قتل نفسه! وكان عمر –على ما ذكر– يمنع دخول المدينة من بلغ الحُلم من السبايا، حتى بعث له المغيرة هذا الغلام، بأن له صنعة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 329/3، 345؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1152/3–1155.

([7]) يفهم ذلك من تكرار ابن الخطاب في سؤاله، حينما طعنه أبو لؤلؤة، حتى أمر ابن عباس أن يخرج في الناس منادياً:" **أعن ملأ منكم ورضى كان هذا**". ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 30–32.

([8]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 190/4–191؛ ابن أعثم الكوفي، 323/2–324؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 188/5.

الخطاب إلى شكواه من ثقل ديونه، أو أن أبو لؤلؤة في رواية توحي إلى أنَّه توعده فيها[1]، وهناك مؤشر آخر على نسبة القتل إلى الرأسمالية (الثيوقراطية)؛ وذلك إبَّان طعنه من لدن أبو لؤلؤة فيروز، ألحَ على ابن عباس أن يخرج منادياً: "**أعن ملأ منكم ورضى كان هذا**"[2]، ومنها أيضاً أنّه قام بمقاسمة عدد من الثيوقراطية أرباب رؤوس الأموال فيما تحصل لديهم من أموال[3]، وعلى هذا الأساس يرجح الباحث أنَّ مقتل ابن الخطاب كان أثر من آثار رأس المال المستفيدين منهم، وسياسة التمييز بلغت أوجها في عهد عثمان بن عفان الذي عمل على توزيع المناصب والاقطاعات على الطبقة الارستقراطية المرتجعة حتى اشتط كثيراً في منحهم الحرية في التصرف بالأموال المنقولة منها والثابتة، مما لم يحتمله الناس حتى ثاروا عليه.

ويبدو أن ما زخرت به قلوب المستضعفين والمضطهدين من المشاعر الشخصية المتقدة بسبب الظلم والاجحاف بحقوق الجماعة ومصالحها (مجتمع الأخوة) تكوّن تدريجياً كلما زادت حالتهم سوءاً وزاد المستغلون لهم عتواً[4] حتى تحول هذا الشعور إلى ثورة؛ فالاستغلال يكرس في افراد المجتمع الشعور الشخصي بالمصلحة وينمي فيهم الاهتمام الذاتي بالتملك والسيطرة شيئاً فشيئاً، وينعكس هذا الشعور في المستغلين على صورة الاستيلاء المحموم على كل ما تمتد اليه ايديهم بتسخير كل الامكانيات من أجل اشباع هذه المطامح في حين ينعكس سلباً في المستضعفين على صورة المقاومة الصامتة، وهذا ما وجدناه على مر تاريخ الذين سبقوا عثمان في أمرة المسلمين، ثم الاحتجاج والثورة، وجاءت النتيجة مقتله بطريقة فتحت الباب أمام الطامحين بالجرأة على رمزية (إمرة المسلمين)، إذ أنَّ الاجراءات التي أتخذها عثمان، اعطت الفرصة لمن تسول له نفسه التصرف كيفما يحلوا له، وصار من السهل الخروج على رمزية هذا العنوان، ففي الوقت الذي كانت فيه أمرة المسلمين من القداسة التي تحول دون الخروج عن قراراتها، أضحى

([1]) لمّا قدم بسبي نهاوند إلى المدينة، جعل أبو لؤلؤة كلما لقي منهم صغيرا مسح رأسه وبكى وقال :"**أكل عمر كبدي**". الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 136/4؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 399/2؛ ابن خلدون، العبر، 588/2. ونهاوند ينسب اليها فيروز أبو لؤلؤة، من اقليم الجبل في بلاد فارس قرب اصفهان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 313/5.

([2]) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 30–32.

([3]) قاسَمَ ابن الخطاب أموال بعض الولاة بعد عزلهم، منهم: سعد بن أبي وقاص (ت: 55هـ/675م)، وابو هريرة (ت: 59هـ/679م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 280/3.

([4]) دخل ابو سفيان بعد أن كف بصره، على عثمان وقال له: "**أنظر هذا المال، فاجعله دولة بينكم، وتلقفوا هذه الإمارة تلقف الكرة**". القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، 147/2. وأوردها غيره الفاظ متقاربه، للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 158/8؛ المسعودي، مروج الذهب، 343/2.

الباب مفتوحاً أمام طلحة[1] والزبير[2] وعائشة لأنْ يشقوا عصا المسلمين والخروج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T) الذي اجمعت الأمة الإسلامية على بيعته طوعاً، بخلاف من سبقه الذين أخذوها بحد السيف تارة وبالعهد أخرى.

المبحث الثَّانيّ

أثر رأس المال في الانقلاب على رائد الاصلاح السياسي والديني

([1]) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مُرةَّ، في عِداد الصحابة، لقب بطلحة الجود لكثرة أمواله، فلم يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه، أحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب لاختيار من يخلفه في أمرة المسلمين، قتل في وقعة الجمل مع جيش عائشة عام(36هـ/656م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 214/3–225؛ البغوي، معجم الصحابة، 407/3؛ ابو نعيم، معرفة الصحابة، 94/1–104 .

([2]) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة النبيَّ (O)، في عِداد الصحابة، له من الأموال الكثيرة، فقيل: أن له الف مملوك يؤدون اليه الخراج، كان بجانب عائشة يوم الجمل (63هـ/656م)، ولمّا ذكّره أمير المؤمنين (Q) بقول رسول الله (O) : "**أما إنك ستقاتل علياً، وأنت له ظالم**"، فذَكرَ الزبير ذلك، وانصرف عن القتال، فقتل بواد السباع قرب البصرة، خلّف من الاملاك التي بيعت بنحو أربعين مليون درهم. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 100/3–104؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 510/2–516؛ الزركلي، الأعلام، 43/3.

حينما غيّر الإسلام التركيب الاجتماعي الذي كان سائداً قبل البعثة ورام أنْ يخلق منهم هيكل تنظيمي اجتماعي متساوٍ في الحقوقِ والواجباتِ، فسُحِقَتْ الأنفةُ عند قريش وجعلت منهم الأرذلون أسفل السافلين، فالإمام علي (Q) الذي انعقدت عليه آمال الفقراء وشخصت إليه أبصار المعدومين وعشاق العدل والمساواة، إذ كان انشودة الفقراء والضعفاء والصالحين، وهدفاً انسانياً لأنصار الرسالة، وصوت الحق الذي يخيف الملأ من قريش فكادوا له وكانوا له بالمرصاد لصرف إمرة المسلمين عنه، حتى صرحوا بذلك جهرة فقالوا: كرهت قريش أنْ تجتمع فيكم النبوّة والخلافة، فنظرت قريش لنفسها فاختارت أنَّهم ينظرون اليكم نظر الثور إلى جازره[1]، فهم ينظرون إليه نهجاً ثورياً ودينياً واجتماعياً متقدماً.

تلقى الإمام علي(Q) البيعة بالخلافة وولاية الأمر في ظلِ ظروفٍ عصيبةٍ وتركةٍ ثقيلةٍ خلّفها من سبقه بإمرة المسلمين من الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان)، وكان عليه أنْ يعيد إصلاح المجتمع دينياً وسياسياً، الذي هَدّتْ بناءهُ السياسات الخاطئة التي انتهجها سابقيه في إدارة دولة المدينة، وكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ففي الوقت الذي سار الأول منهم على سياسة المساوات في توزيع العطاء، جاء الثاني وعدل عن تلك السياسية إلى انتهاج سياسية ربما كان يعتقد صلاحها، إلّا أنَّها عادت على المجتمع بالسلّبِ، فجاءت سياسته في العطاء مبنية على أساس القرابة والسابقة في الإسلام، فهي أنْ كانت في ظاهرها الصلاح إلّا أنَّ في واقعها الانحراف عن السُنّة النبوَّية والمحجة البيضاء[2]، فهي أسهمت في تركز رأس المال في أيدي مجموعة زادت من ثرائهم وأضحى في مفهومهم أنَّ ذلك من استحقاقهم الشرعي، مما كرّستْ للطبقية الاقتصادية والاجتماعية وولّدَتْ شعورٌ بالإحباطِ عند المستضعفين منهم، ولم يلتفت إلى سوء صنعته وسياسته إلّا في وقتٍ متأخرٍ فصرّح قائلاً: " **وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتُ إِلَى هَذَا الْعَامِ الْمُقْبِلِ لَأُلْحِقَنَّ آخِرَ النَّاسِ بِأَوَّلِهِمْ، وَلَأَجْعَلَنَّهُمْ رَجُلًا وَاحِدً**"[3]، إلَّا أنَّ النفعيين عالجوه بالقتل واتخذوا من أبو لؤلؤة الواجهة في قتله.

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 222/4-223؛ ابن عبد الملك، سمط النجوم العوالي، 356/2.

([2]) صرّح أمير المؤمنين (Q) بذلك قائلاً: " **لقد عَمِلتُ الأئمة قبلي بأمور عظيمة خالَفتْ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين، لو حملتُ الناس على تركها وتحويلها عن موضعها إلى ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لَتفرَّق عنيّ جندي، حتى لا يبقى في عسكري غيري وقليلٌ من شيعتي الذين إنَّما عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسُنة نبيه لا من غيرهما**". للمزيد عن الخطبة ينظر: سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 172.

([3]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 301/3.

ثم جاء عثمان بن عفان الذي زاد من الطين بلّة، إذ وصف أمير المؤمنين عليٌّ (Q) ، عهد عثمان وصفاً دقيقاً في خطبته الشقشقية[1]، قائلاً: "**إلى أنْ قام ثالثُ القومِ نافِجاً حِضْنَيهِ[2] بين نَثيلهِ ومعْتَلَفِهِ[3]، وقام معه بنو أبيه يَخضِمُون مالَ اللهِ خَضْمةَ الإبلِ نِبتَةَ الرّبيع إلى أنْ أنتكث فتلهُ[4] وأجهز عليه عملهُ، وكبَتْ به بِطنتهُ**"[5]، ولمّا آلت إمرة المسلمين إلى الإمام عليٌّ(Q) رائد الإصلاح والمنافح عن سُنة النبيّ (O)، فكان شعاره: (العَدْلُ والمُساواةُ) مثل أولى خطواته في إصلاح المجتمع، وكان شعاره هذا مفتاحاً صعب المنال لعودة الحقوق المهدورة والتركة الثقيلة التي واجهت حكومته، إذ شكّل شبحٌ مخيفٌ لأصحابِ الثراءِ، الذين يرونَ في أنفسهم كل الحقِ في امتلاكِ الأموالِ، وصمّوا آذانِهم عن أنين المحرومين واغشيتْ أبصارهم، فوجدوا في شعار الإمام (T) ما يقطع المزيد من الوان النعيم ويتنزع من بين أيديهم ثروة كانوا قد جمعوها بحقٍ أو بغير حق .

وعندما جاء الإمام إلى إمرة المسلمين عادت آمال المستضعفين وكأنها الثأر الحقيقي والأمل الوحيد الذي سيعيد لهم اعتبارهم الأول الذي فقدوه، ففي ميزان عليٌ (Q) لا يستوي عمار بن ياسر (ت: 37هـ/657م) وعمرو بن العاص (ت:43هـ/663م)، بكل تأكيد فانه سيعيد مبدأ: "**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**"[6].

فابصر بنو أمية أموالاً جمعوها تُنتَزعُ لتعودَ ملكاً عاماً للمسلمين، فالجمل (36هـ/656م) وصفين (37هـ/657م) لم تلد فجأة، إنَّما مهد لها تاريخ يمتد لأكثر من ربعِ قرنٍ، منذ أن ابتدأ بنو أُمية يستعيدون

([1]) اشتهرت خطبته (Q) بالشقشقية ؛ لقوله فيها: "**شقشقة هدرت ثم قرّت**"، حينما سأله بن عباس أن يكمل ما بداه. والشقشقة: الصوت الهادر، جِلْدَةٌ فِي حَلْقِ الجَمَلِ العَرَبِيِّ يَنْفُخُ فِيهَا الرِّيح، فتَنْتَفِخُ، فيَهْدرُ، والعَرَبُ تَقول للخطيبِ الجَهِيرِ الصَّوتِ، الماهِرِ بالكلامِ: هُوَ أَهْرَتُ الشِّقْشِقَةِ، وهَرِيتُ الشِّدْقِ. ابن سيده، المخصص، 169/2؛ ابن منظور، لسان العرب، 185/10.

([2]) كِنايةٌ عن التَّعاظُم والخُيَلاءِ. الزبيدي، تاج العروس، 248/6.

([3]) النَّثيل: الرّوث، والمُعْتَلِفٌ: يقال مجازاً للأكول. الزمخشري، أساس البلاغة، 673/1؛ الزبيدي، تاج العروس، 453/30.

([4]) انتكث: انتقص، وانتكث الشيء: انتقض. الرازي، معجم مقاييس اللغة، 475/5؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 177. الفَتْل: لَيُّ الشيءِ كلَيِّكَ الحَبل، وفَتَلَ الفَتيلةَ فَتْلاً. الفراهيدي، كتاب العين، 123/8؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، 405/1. اراد بذلك بيان ضعفه بعد قوة .

([5]) البِطانَةُ: الوَلِيجةُ، وَهُوَ الَّذِي يخْتَص بالولوجِ والاطّلاعِ على باطِنِ الأَمْرِ، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ﴾ سورة آل عمران/ من الآية 118، أَي مُخْتصًّا بكم يَسْتَبْطنُ أَمْرَكم. الزبيدي، تاج العروس، 266/34. وارد بحاشيته التي كَبَّتْ به. للمزيد عن الخطبة الشقشقية ينظر: عبده، شرح نهج البلاغة، 33/1– 39.

([6]) ابن حنبل، مسند احمد بن حنبل، 474/38.

موقعهم الذي كسبوه من قبل[1]، وازاحهم عنه الإسلام، عادوا رويداً رويداً وهم الطلقاء الذين اسلموا متأخرين.

بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T)(35-40هـ/655-660م) [2]، لولاية الأمر فقال(T): "**فما راعني إلّا والناس كعُرفِ الضَّبعِ اليَّ ينثالون عليَّ من كل جانبٍ، حتى لقد وُطئَ الحسنان، وَشُقَّ عِطفاي، مجتمعين حولي كَرَبيضةِ الغنمِ**"[3]، في ظل ظروف حرجة شهدتها الدولة الإسلامية، فكان عليه أنْ يعيد التوازن الذي أختل في زمن مَنْ سبقه بأمرة المسلمين، وهو: التوازن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

اولاً: التوازن الاقتصادي.

كان عليه أنْ يعيد التوازن الاقتصادي الذي وضع أُسه نبيُ الأُمة(O)، وذلك بأنْ يسترجع الأموال المنهوبة إلى بيت المال، فسلك بذلك سياسة اقتصادية ذات بعدين، الأول نظري والثاني عملي[4]، يكْمنُ الأول منها في وصاياه ورسائله وكتبه وعهوده إلى عماله، بيّنَ فيها نظريته الاقتصادية مركزٌ فيها على مفهوم الملكية العقارية –رأس المال الثابت– ولاسّيما الاقطاعات التي منحها سابقيه إلى خاصتهم، فقال : " **ألا إنَّ كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله**"[5]، شكل هذا هذا النص صدمة هزت عروش الظالمين، الذين استحوذوا على رؤوس الأموال دون وجه حق، فكادوا للإمام (Q)، إذ كانت الاقطاعات التي منحها عثمان لخاصته من الأرضين العامرة التي تنتج من المحصولات الزراعية التي ترفد السوق الإسلامية بأنواع الخضار والفواكه، وتقع ارض فدك[6] في عداد تلك

([1]) كانوا اسياد مكة قبل البعثة، وعند تسنم عثمان بن عفان (23-35هـ/643-655م) إمرة المسلمين، عادت آمالهم للصدارة، ومقولة ابو سفيان خير دليل على ذلك، إذ قال لعثمان: "**أنظر هذا المال، فاجعله دولة بينكم، وتلقفوا هذه الإمارة تلقف الكرة**". القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، 147/2.

([2]) للمزيد ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 368/2-433؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 124/3-332؛ الذهبي، دول الإسلام، 27/1-34.

([3]) عبده، شرح نهج البلاغة، 37/1

([4]) وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 385.

([5]) للمزيد ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،269/1.

([6]) قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسوله (O)صلحاً عام (7هـ/629م)، أرض أرض خصبة فيها عين فوّارة ونخل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 238/4-239؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 1020/2.

تلك الأرضين، التي كانت خالصة للنبيَّ (O)، ولم يقف عليها المسلمون بخيلٍ ولا ركاب، إذ ورد في خبرها:" **لما سمع أهل فدك بِمَا صنع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْل خَيْبَر بعثوا إِلَى رَسُول اللَّهِ يسألونه أَن يسيرهم ويحقن لَهُم دِمَاءَهُمْ ويُخلّون لَه الْأَمْوَال فَفعل...وفَدَك خَالِصَة لرَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنهم لم يجلبوا عَلَيْهَا بخيلٍ وَلَا ركاب**"[1]، فهي إذن كانت لرسول الله (O) خالصة ينفق منها ما يشاء حتى طلبت منه أبنته الزهراء فاطمة (ë) (ت:11هـ/632م) أنْ يهبها لها ففعل (O) ، ولما جاء أبو بكر (11-13هـ/632-634م) انتزعها منها[2]، فلما وليَّ عثمان بن عفان(23-35هـ/643-655م) وهبها إلى مروان بن الحكم[3]، والمدهش حقاً أنَّ أمير المؤمنين (Q) حينما ارجع فدك [4] لم يأخذها لخاصته، إنَّما جعلها للمسلمين عامة، وأن كان من حقه الشرعي أن يعيدها إلى بنيه ملكاً خالصاً[5]، فيكون فيكون بذلك ضرب أروع الامثلة للحاكم العادل الذي يكون مصدقاً لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[6].

أمّا **البعد الثاني** من نظرية الإمام (Q) الاقتصادية فهو يتمثل في البعد العملي الذي يكْمنُ في الإصلاح الذي مارسه بنفسه (Q)، وخاصة ما يرتبط بمفهوم العطاء، إذ أعلن مبكراً الغاء أسباب التمايز الطبقي وذلك بالتسوية بين الناس في العطاء فقال: " **الا لا يقولنَّ رجالٌ منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة**[7]**، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتُهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فسينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حَرمَنا ابن أبي طالب حقوقنا**"[8]، تكشف هذه الخطبة عن معرفة أمير المؤمنين (T) التامة بالمصاعب والمعوقات التي تواجههُ إبَّان تعديل الانحراف الذي أصاب مسار الدولة العربية الإسلامية التي انتهج فيها الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) سياسة اقتصادية أُحادية الجانب ترتكز على ما يرد على الأمة

([1]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 83؛ البلاذري، فتوح البلدان، 39؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 103/2.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، 40؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 344/16-363.

([3]) الفسوي، المعرفة والتاريخ، 587/1؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 200/5.

([4]) أُعطيت فدك إلى مروان ولم تزل في يده وبنيه، إلى أنْ تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها منهم، وردها صدقة. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 169/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 169/7.

([5]) بيَّن الإمام (Q) أمور كثيرة أبقاها على ما فعلها سابقيه منها -على سبيل المثال لا الحصر-عدم محوه ديوان الأعطية وارجاع فدك ومقام إبراهيم وغيرها. للمزيد ينظر: سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 172-173.

([6]) سورة الحشر/ من الآية 9.

([7]) الرُوْقَةُ: وهو ما حسن من الوصائف والوصفاء، ويقال: وصيف رُوقةٌ ووصفاء رُوقَةٌ. الفراهيدي، كتاب العين، 209/5؛ الزبيدي، تاج العروس، 377/25.

([8]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 37/7.

من غنائم وفيء البلدان التي خضعت للسيطرة وأهملت العناية بالعمل إلى حدٍ كبير [1]، ممّا خلق طبقة مترفة استأثرت برأس المال وتقتات على عمل الآخرين من أهل الذمة والعبيد، وتم نقض عدالة التوزيع للثروات، إذ لم تعرِ للزيادة السكانية أي حساب، وأضحت العصبية القبلية في مجتمع المدينة بديلاً عن مجتمع الاخوة في الدين الذي وضع أُسهُ نبيُّ الأُمة[2]، وسياسة الأُحادية في الاقتصاد (أي الاعتماد على الغنائم فقط)، يفسر السبب الذي تعرضت له المدينة المنورة ما عرف بعام الرمادة[3]؛ لأن الاقتصاد ينبغي أنْ لا يرتكز على مورد واحد، فمجرد شحة هذا المورد يعني أنَّ اقتصاد البلد يكون عرضة للازمة الاقتصادية وهو ما حصل فعلاً، فأعلن الإمام (Q) جهرة سياسته الرامية إلى الإصلاح، وشرع بتطبيقها، فأوعز إلى كاتبه أن يبدأ بالمهاجرين منادياً؛ ليعطي من حضر منهم عطاءه البالغ ثلاثة دنانير!، ثم الأنصار ثم سائر الناس الأحمر منهم والأسود بلا تمايز، فحضر الناس وتخلف رجالٌ أنفوا أنْ يحضروا عند الإمام (T) منهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر[4]، وسعيد بن العاص[5]، ومروان بن الحكم[6]، وهؤلاء يمثلون أصحاب رؤوس الأموال، الذين ألفوا التفاوت في العطاء، فلم تروق لهم

([1]) للمزيد عن مفهوم العمل في الحياة الاقتصادية وفق النظرية الإسلامية، ينظر: خليل، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 154- 230.

([2]) وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 377 .

([3]) للمزيد ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 138؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، 198؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 96/4-100؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 186/5-187.

([4]) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم قبل أبيه ولم يشهد بدر وأُحد لصغر سنه، كان حافظاً للحديث وممّن منع منه، دسَّ اليه معاوية يغريه بالمال فأبى، أعتزل الحرب ولم يشهد قتال الفئة الباغية ولما احتضر ندم عليها، كفَّ بصره في آخر حياته وتوفي بمكة عام(73هـ/692م). للمزيد ينظر: ابن الأثير، أُسد الغابة، 236/3-241؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 203/3- 240.

([5]) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية القرشي، قتل اباه العاص يوم بدر(2هـ/623م) قتله أمير المؤمنين علي (T)، ولاه عثمان الكوفة وهو شاب، خلفا للوليد بن عقبة، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إلى أنْ كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة وأقام فيها، واعتزل الجمل (36هـ/656م)وصفين (37هـ/657م) إلى أنْ وليَّ معاوية فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أنْ مات عام (59هـ/679م). للمزيد ينظر: ابن سد، الطبقات الكبرى، 32/5-35؛ ابن قانع، معجم الصحابة، 261/1-262؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، 1294/3-1295؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 239/2-241.

([6]) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الوزغ بن الوزغ، ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة وطرده رسول الله (O) منها، فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذه كاتبا له، خرج على أمير المؤمنين مع من خرج وكان من أشد المعارضين، توفي في دمشق بالطاعون عام (65هـ/685م). للمزيد ينظر: ابن

لهم سياسة التسوية في العطاء، بل عدّوا سُنَّة الشَّيخين[1] سواء لسُنَّة النبيُّ (O) لا ينبغي تجاهلها، والابعد من ذلك يرونها بديلاً عن السُنة النبوية[2]، ولمّا بلغ أمير المؤمنين (Q) تقاعس الذين ذُكروا آنفاً ، ارتقى المنبر وخطب قائلاً: "**أتأمروني أنْ أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجمٌ في السماء...لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنَّما المال مال الله**"[3]، كان (Q) ينظر إلى المال بعين المُستَخلفْ عليه، فالمالك هو الله جلَّ وعلاَّ، والعباد مستخلفون عليه، والمسؤولية تقع على عاتق وليُّ الأمر[4]، وكان من بين أكثر الكارهين لسياسة التسوية في العطاء، طلحة والزبير، فدعاهما إلى عتابٍ صادقٍ، بسط فيه الحجّة، وكاشفاه بما لديهما، ارتأى الباحث ايراد الحوار الذين دار بينهم، لِما فيه من الحقائق البته ، فقالا: " **أعطيناك بيعتنا**[5] **على أنْ لا تقضي الامور ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبدّ بذلك علينا...وانك جعلت حقنا كحقِّ غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا في ما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا**" فأجابهما الإمام (Q) قائلاً : " **أمّا ما ذكرتما من الاستشارة فو الله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها...فلما أفضت إليَّ نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلّاني عليه وأتبعته، ولم احتج إلى آرائكما فيه ولا رأي غيركما...ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما...وأما قولكما: جعلت فيئنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضّلهم رسول الله (O) في القَسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موفِّ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم**"[6].

يبدو أنَّ القوم ألفوا التفاضل في العطاء حتى رأوه سُنّة، وبالتالي فهم يعاتبونه على قرار التسوية الذي أنصف الضعفاء والمعوزين وقوّض نظاماً هرمياً بُنيَّ على أُسسٍ لا تمت للإسلام بصلة، فكان قرار التسوية

سعد، الطبقات الكبرى، 67/5، 35-38؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 621/2-682؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 224/57- 280.

([1]) **ورد في الخبر ما نصه:" كَانَ عُمَرُ صَائِمًا فَعَرَضَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ فَوَاقَعَهَا وَهُوَ صَائِمٌ، فَأَعْظَمَ مَنْ حَضَرَهُ مَا صَنَعَ**". البلاذري، انساب الاشراف، 178/2.

([2]) ما يؤيد ذلك أنهم فرضوا على الإمام علي (T)، في شورى الستة المزعومة، أنْ يعمل بكتاب الله وسنة الشيخين، فرفض الإمام(T) البيعة وآلت إلى عثمان .

([3]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 40/7؛ عبده، شرح نهج البلاغة، 211/2.

([4]) للمزيد عن مفهوم الاستخلاف ينظر: وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 38-64.

([5]) نعم اعطوا البيعة طائعين غير مكرهين. للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 427/4-430.

([6]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 40/7-42.

ثورة اقتصادية واجتماعية وسياسية صدمت كثيراً من رجالات الثيوقراطية ويمكن عده السبب الحقيقي الخفيّ وراء نكوث من نكث البيعة، وخروج من خرج وأنْ تواری خلف الادعاء بدم عثمان.

التقت مصالح الحقد الاموي الدفين مع أصحاب رؤوس الأموال من الناكثين والموقف النفسي لدى عائشة[1]، فتمخض عنها معركة الجمل (36هـ/656م) المشؤمة، تحت شعار زائف (دم عثمان) وحجة داحضة باطلة فكانت مأساة حقيقية شقّت الأمة وسُفِكتْ الدماءُ ونُهِبتْ الأموالُ تحت عنوان الإصلاح[2]، وأي إصلاح هذا؟، إذ خرجت عائشة تنبحها كلاب الحَوأب[3] حتى صرخت: ردوني ردوني ثلاثاً، ثم يأتون بأربعين شاهد زور، وتمضي في مسيرها[4]، وينتهبون بيت مال البصرة ويُؤخذ واليها عثمان بن حُنيف[5] ينتفون شعره ولحيته وجفون عينيه، ثم عمرو بن العاص يصوب سهمه لقتل طلحة على الرغم من أنَّه كان في العسكر إلى جانبه[6]، هذه الحوادث لا تستقيم مع منطق الإصلاح المزعوم؛ أنَّما رأس المال –سياسة التسوية– كان المحرك الرئيس لتلك الحوادث، فإذا كان دم عثمان هو المحرك للفتنة، لماذا تركته عائشة محاصراً في داره وخرجت للعمرة، أليس هي من كانت تنادي: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[7]، إذن يمكن القول: أنَّ

([1]) للمزيد ينظر: حديث الافك. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 610/2–618؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 214/4–215؛ ابن الجوزي، المنتظم، 221/3–223. كان عمر بن الخطاب قد فضلها على نساء النبي (O) ففرض لها أثنا عشر الف درهم، بعد أن فرض لغيرها من ازواج النبي (O) عشرة الاف. سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 173.

([2]) زعم الناكثين للبيعة ومن التقت مصالحهم في الخروج على ولي أمر المسلمين وخليفة رسول رب العالمين الامام علي (T)، أنهم خارجين للإصلاح، إلّا أنهم كانوا رأس الفتنة. للمزيد ينظر: ابن عمر، الفتنة ووقعة الجمل، 107–174؛ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 180–187؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، 111؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 234/13– 243.

([3]) الحَوْأبُ: من مياه العرب على طريق البصرة، وسُميَّ الحوأب بـ :الحوأب بنت كلب بن وبرة، وهي أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 314/2؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 433/1. ورد عن رسول الله (O) أنَّه قال: " **كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**". ابن أبي شيبة، المصنف، 536/7؛ ابن حنبل، مسند احمد بن حنبل، 299/40؛ أبو يعلي، مسند أبي يعلي، 282/8 .

([4]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 457/4؛ ابن أعثم، الفتوح، 458/2؛ أبو الفداء، المختصر، في أخبار البشر، 173/1؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، 148/1.

([5]) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو عمرو، شهد أحدا وما بعدها، ولاه عمر مسح السواد، ثم ولاه الإمام علي (T) البصرة، ولما نشبت فتنة الجمل دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم فامتنع، توفي عام (41هـ/661م). للمزيد ينظر: البغوي، معجم الصحابة، 346/4؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، 1958/4–1960؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 3/ 473.

([6]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 181؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 208؛ ابن أعثم، الفتوح، 458/2.

([7]) ابن عمر، الفتنة ووقعة الجمل، 115؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 459/4؛ ابن أعثم، الفتوح، 421/2؛ مسكويه، تجارب الامم، 469/1؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، 105.

سياسة الإصلاح الاقتصادي التي أعلنها الإمام هي مَنْ حركت أرباب رؤوس الأموال الذين خافوا على مصالحهم بأن عملوا على تحريك القوم تحت غطاء المطالبة بدم عثمان، متخذين من السيدة عائشة رمزاً لهم لإغواء الناس وإيهامهم[1]، بحجة عدم تسليم الإمام قتلة عثمان، في الوقت الذي كان فيه زعماء الفتنة على رأس المطالبين بقتل عثمان[2].

ثانياً: التوازن السياسي.

كان من اولويات عمله (Q) أيضاً إصلاح الوضع السياسي للإمة فصلاح الرعية يكون بصلاح الولاة في الامصار؛ ولهذا عزم الإمام (Q) على استبدال الولاة مبكراً بالذين أُبعدوا في عهد سابقيه دون سبب[3]، فالذين تم عزلهم ممن ضجّت الأمة من سيئاتهم فالوليد بن عقبة[4] كان ممّن صلى بالناس مخموراً وقد تردد تردد عثمان بإقامة الحد عليه حتى ضجت عليه الأمة[5]، واسماه القرآن فاسقاً[6]، وعبد الله بن سعد بن أبي أبي سرح[7] اهدر النبيُّ (O) دمه [1]، ولم يجد الإمام صعوبة في استبدال مَنْ ذكرنا ما خلى معاوية الذي

([1]) ذكر أبو حنيفة الدينوري، ما قاله طلحة والزبير لعائشة؛ لغرض خروجها، " **فاخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من اهل الحجاز، وان اهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعاً يداً واحدةً معك. فاجابتهم الى الخروج، فسارت والناس حولها يمينا وشمالا**". الاخبار الطوال، 144.

([2]) ذكر المقدسي المطالبين بقتل عثمان فقال:" **كان أشد الناس طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة... وتكلمت عائشة في أمره واطلعت شعرة من شعر رسول الله صله ونعله وثيابه وقالت ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كاد يدري ما يقول**". البدء والتاريخ، 205/5. للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 208. وفي جواب لأمير المؤمنين (Q) على كتاب لمعاوية، قال فيه : " **كبَّ الله قتلة عثمان في النار أنحن قتلناه؟ وأنما قتلته هي وصاحباها [طلحة والزبير] وأنا قاعد في بيتي**". سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 201.

([3]) يتضح ذلك في مقولة صعصعة بن صوحان(60هـ/680م) عند حصار عثمان، حينما طلب منهم رجلٌ يكلمهُ، إذ قال له: له: "**ما نقمتم عليَّ، قال:[صعصعة] أُخرجنا من ديارنا بغير حق الّا إن قلنا ربنا الله.** ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، 171؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 347/39.

([4]) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الأموي القرشي، أخو عثمان لأمه، أسلم يوم الفتح (8هـ/630م)، ولاه عثمان ولاية الكوفة وكان ولهاً بالخمر، فصلى الصبح اربعاً والتفت قائلاً: هل ازيدنكم؟، فشهد عليه أهل الكوفة بتأديته الصلاة مخموراً، وكان يحرض معاوية على حرب الإمام علي (T)، مات بالرِّقة عام (61هـ/680م). للمزيد ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، 476/7؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1553/4-1557 .

([5]) ابن أعثم، الفتوح،495/2.

([6]) الطبري، جامع البيان، 118/20، 286/22؛ الثعلبي، ابن أعثم، الفتوح، 495/2؛ الكشف والبيان، 77/9.

([7]) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، اخو عثمان من الرضاعة، من المرتدين زمن النبيَّ (O)، استعمله عثمان على مصر و افريقيا، انتقل إلى عسقلان الشام ومات فيها عام (37هـ/657م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 496/7؛ ابن الاثير، أُسد الغابة، 3/ 155.

الذي دعا عليه النبيُّ (O) [2]، والذي دأب منذ توليه الشام على أنْ لا يُبقي في بلاده صحابياً يردُّ عليه ويُبّين للناس انحرافه، وقد بيّنا فيما سبق كيف تعامل مع أبي ذر وإخراجه من الشام على قتب، وكذا عُبادة بن الصامت الذي أنكر عليه إباحته الخمر فعمل على إخراجه أيضاً، فهو كان يعد العدة لسلطان أوسع يترقبه.

جاء الإمام (Q) بولاة على الأمصار يمكن عن طريقهم تحقيق التوازن السياسي الذي يأتي بالنتيجة توازناً اقتصادياً واجتماعياً، فحينما تكون الأداة المنفذة للأوامر صحيحة غير سقيمة يستطيع تحقيق الأهداف المرجوة، فكان (Q) شديد المراقبة لعماله، فلا يولي أحداً منهم حتى يلقي عليه عهداً ومنهاجاً يسير فيه بالرعية، فعلى سبيل المثال، حينما وليَّ محمد بن أبي بكر[3] على مصر كتب له كتاباً وأمره أنْ يقرأه على أهل مصر الذين وصفهم بـ: " **أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر**"[4]، والملفت للنظر أنَّ كتاب أمير المؤمنين (Q) جاء منصباً على تذكيرهم بالطاعة لله والالتزام بالصلاة والتذكير بالموت والجنة والنار، والابعد من ذلك أنَّه (Q) يبين في كتابه أحكام الوضوء للصلاة بالتفصيل[5]، يلمح النص إلى إنَّ القوم جهلوا أحكام الوضوء والصلاة، مما يعني انقلاباً دينياً وسياسياً أحدثه الولاة في مصر فعزم (Q) على تصحيح ما جهل الناس من أحكام دينهم وتعديل الانحراف الذي أصاب الأُمة الإسلامية ، وهذا الكتاب يختلف في نصه ومضمونه مع الكتاب الذي اسنده إلى مالك الاشتر[6] نذكر منها على سبيل المثال، بعض

([1]) الواقدي، المغازي، 74/1؛ اين سيد الناس، عيون الأثر، 383/2.

([2]) رأى رسول الله (O) أبا سفيان على حمار ومعاوية يقود به ويزيد أبنه يسوقه فقال: " **لعن الله القائد والراكب والسائق**". سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 189. ودعا رسول الله (O) معاوية فلم يجبه، قالوا أنه يأكل فقال (O): " **لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ**". أبو داود، مسند أبي داود، 4/ 464؛ مسلم، صحيح مسلم، 2010/4 .

([3]) هو محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التيمي القرشي، تربى في حجر الإمام علي (T) الذي تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر، ولاه الإمام على مصر خلفاً لقيس بن سعد بن عبادة، وشهد محمد مع الامام علي (T) حربي الجمل(36هـ/656م) وصفين(37هـ/657م)، قتله معاوية بن حديج السكوني(ت:52هـ/672م)، وجعله في جوف حمار وحرّقه عام (38هـ/658م). ابن الأثير، أُسد الغابة، 326/4؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/ 482.

([4]) الطوسي، الامالي، 22؛ عبده، شرح نهج البلاغة، 412– 414.

([5]) جاء في الكتاب ما نصه: "**وأنظر إلى الوضوء، فإنه من تمام الصلاة، تمضمض ثلاث مرات، واستنشق ثلاثاً، واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى ثم امسح رأسك ورجليك، فأني رأيت رسول الله (O) يصنع ذلك، وأعلم أن الوضوء نصف الايمان**". الطوسي، الامالي، 22.

([6]) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المشهور بالأشتر؛ لانشقاق جفن عينه يوم اليرموك (13هـ/635م)، من الفرسان الشجعان كان رئيس قومه، قال عنه أمير المؤمنين(Q) كان لي كما كنت لرسول الله (O)، "**لوكان جبلاً لكان من جبل فنداً ولو كان من حجر لكان صلداً**، دُسَّ إليه السمَّ فمات، فقال ابن العاص: "**أنَّ لله جنوداً من عسل**". ابن دريد، الاشتقاق، 297، 404؛ الكندي، ولاة مصر، 47–48؛ الذهبي، سير، أعلام النبلاء، 34/4–35.

ما جاء في العهد: "**أني قد وجهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دول قبلك، من عدلٍ وجورٍ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنَّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فيكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح**"[1]، تأكيد أمير المؤمنين (Q) على بسط العدل وإشاعته بين الناس لإسعاد البشرية، وإنَّ على الولاة الرفق بالرعية وعدم الجور بهم، ثم يوصيه بأحب الأعمال هو العمال الصالح المنتج للقيم الانسانية والروحية وهو النشاط الخلّاق، فلا يراد به العمل المنتج فقط، بل العمل الذي يُسهِمُ في رُقيُّ النفسُ البشريةُ وعمران محيطها روحياً ومادياً[2]، فكلما تطورت وسائل انتاجه تطورت معه أفكاره وعقليته[3]، فهو أداة يعيد الانسان من جرائه تجديد ذاته ويطورها مادياً لتسمو فيه[4]، والعمل الصالح ورد في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[5]، فالعمل الصالح يرتبط بمفهوم العبادات والمعاملات لسمو النفس الانسانية ورقي نوعها[6]؛ ولهذا يُلزم أمير المؤمنين(Q) عُماله بشُحِّ الأنفسُ قائلاً: "**فأملك هواك، وشُحَّ نفسك عما لا يحل لك، فإن الشُّحَّ بالنفسِ الإنصاف منها فيما أحبَتْ أو كرهَتْ... وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان، إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق**"[7]، ومن سياسته (Q) إرضاء العامة من الناس الذين يعدهم عماد الدين وجماع المسلمين، وليس على حساب الدين، وإنما على أساس الحق والعدل ، ومنها قوله: " **وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرَّعية، فأن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة... فليكن صغوك لهم وميلك معهم**"[8]، ثم أولى اهتمامه بعمران الأرض – أصل النماء– قبل اهتمامه بالخراج، لأن عمارة الارض وتوفير جميع

([1]) القرشي، شرح العهد الدولي لأمير المؤمنين، 16.

([2]) حرّم الله جلَّ وعلاَّ بعض أنواع من الاعمال التي فيها أكل المال ظلماً وعدواناً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة/ الآية 188، ومنها قوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ سورة البقرة/ الآية 190، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

([3]) للمزيد عن العمل الصالح وأثره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ينظر: خليل، في الفكر الاقتصادي العربي، الإسلامي، 113–149.

([4]) للمزيد ينظر: وناس، دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، 97–128.

([5]) سورة فاطر/ من الآية 10.

([6]) الطبري، جامع البيان، 445/20؛ الثعلبي، الكشف والبيان، 102/8.

([7]) القرشي، شرح العهد الدولي لأمير المؤمنين،16 .

([8]) القرشي، شرح العهد الدولي لأمير المؤمنين،21 .

الوسائل لإصلاحها بوصفها مصدر الحياة الاقتصادية التي تعود عليه بالخراج، فقال: " **وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلَّا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارةٍ أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقيم أمرهُ إلَّا قليلاً**"[1]، وهذه الوصايا لا أجد لها نظير في كتاب محمد بن أبي بكر، مما يعني إنَّ سياسة الإمام (Q) في الرعية جاءت على نحو التدرّج في الأهمية .

كما مارس الإمام (Q) الدور الرقابي على عُمّاله في الاقاليم فكتب إلى عاملهِ في كسكر [2]: "**أمّا بعد بعد فاحمل ما قبلك من مال الله فإنَّه فيء للمسلمين لست بأوفر حظاً فيه من رجل فيهم ولا تحسبنَّ... أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأمك، فعجّل حمله وأعجل في الاقبال الينا أن شاء الله**"[3]، ويبدو من نص الكتاب، الدور الرقابي لأمير المؤمنين (Q) ، بكبح جُماح الولاة الذين استأثروا بفيء المسلمين كما لو كان ملكاً خالصاً لهم[4]، ولحراسة مال المسلمين من تصرف الولاة والأمراء في الدولة العربية الإسلامية، فإنَّه أتخذ من الصالحين أنصار تيار الإصلاح عيوناً له تراقب المال العام من تلاعب الولاة، ففي البصرة كتب أبو الأسود الدؤلي[5] إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T) : "**أنَّ ابن عمك قد أكل ما تحت يديه دون علمك فلم يسعني كتمانك ذلك**"[6]، فكتب الإمام علي (Q) إلى ابن عباس يستفهم منه الحادثة فأنكرها، وجرت بينهما مكاتبات، إلى أن كتب إلى الإمام علي (Q) "**فأبعث إلى عملك من أحببت فإنَّي ظاعنٌ عنه والسلام**"، وأخذ ما بيدهِ من مال البصرة والتحق بمكة[7]، ويغلب الظن إنَّ حادثة ابن عباس في أخذ مال البصرة كانت قد فُتت في عضد الدولة العربية الإسلامية، واعطت الفرصة

([1]) القرشي، شرح العهد الدولي لأمير المؤمنين،39.

([2]) كورة كسكر: قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة، أحدى مدن البطائح، معناها: عامل الزرع، وقيل: الشعير، وقيل سميت بـ: (كسكر) نسبة إلى كسكر بن طهمورث الملك الذي هو من أصل فارسي، أرض خصبة فيها أنواع الزروع والحيوانات والطيور، كان خراجها اثني عشر ألف ألف مثقال آنذاك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 461/4؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، 446؛ الحميري، الروض المعطار، 500 .

([3]) البلاذري، أنساب الأشراف، 160/2.

([4]) وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي الإسلامي، 375.

([5]) أبو الاسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي أو الدَّيْليُّ الكناني، تابعي، نزل البصرة، صَحُبَ الإمام علي(T) وأخذ عنه النحو، ولي قضاء البصرة وبيت المال، حسن السيرة والسلوك، توفي سنة (69هـ/688م)، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات، 99/7؛ القفطي، إنباء الرواة، 39/1؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 536 -535/2.

([6]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 141/5؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، 241/4؛ ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، 103/5. ابن الجوزي، المنتظم، 5/ 164.

([7]) ابن أعثم، كتاب الفتوح، 242/4؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 336/3؛ ابن خلدون، العبر، 645/2.

لذوي النفوس الضعيف بالتجاسر على المال العام في حكومة الإمام (Q) واحدثت شرخاً في الدولة، حتى قام بعض الولاة بسرقة المال العام وهربوا من قبضة الإمام صوب معاوية[1]، الذي لم يأبه لمال الله، يتصرف به كيفما يشاء[2]، حتى وهب مال مصر لعمرو بن العاص بأن جعلها طعمة له [3].

تمكن الإمام من اعادة التوازن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، في كافة الميادين ومنها السوق الإسلامية[4]؛ فإذا مشى إلى السوق أخذ يأمرهم بتقوى الله وحسن البيع فقال: "**أوفوا الكيل والميزان...لا تنفخوا اللحم**[5]"، وكان ينظر إلى السوق كنظرته إلى المسجد فقال: "**سوق المسلمين كمسجدهم فمن سبق سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل**"[6].

ولله در أمير المؤمنين إذ واجه تحديات صعبة، فمن جهة كان يقوّم الانحراف الديني والسياسي، إذ دعا معاوية قرّاء الشام وقضاتهم فأعطاهم الأموال والقطائع وبثهم في نواحي الشام ومدائنها يرون الروايات الكاذبة ويضعون لها الأصول الباطلة ويخبرونهم بأن علياً (Q) قتل عثمان ويتبرأ من أبي بكر وعمر ، وأن معاوية يطلب بدم عثمان، حتى استمال أهل الشام واجتمعت كلمتهم[7]، ومن جهة أخرى، كان يخوض حرب داخلية لم تمهله طويلاً، خاض حرب الجمل مع الناكثين (36هـ/656م) وحرب صفين مع القاسطين (37هـ/657م) وحرب النهروان (38هـ/658م) مع المارقين[8]، ناهيك عن الغارات التي كان يشنها معاوية على الأمصار يسومونهم قتلاً وسلباً ونهباً للأموال[9]، فكان معاوية يوصي قادة جيشه قائلاً: " **وأنهب مال كلّ من أصبت له مالاً ممّن لم يكن دخل في طاعتنا** [10]، وسيّر بُسْر بن أرطاة[1]، صوب المدينة ومكة

([1]) أخذ النعمان بن العجلان الزُّرقي الأنصاري مال البحرين ولحق بمعاوية. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 140/2؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 160/2. للمزيد ينظر: وناس، سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، 376 .

([2]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 125/2؛ الكندي، ولاة مصر، 54.

([3]) كتب معاوية إلى دهقان بالعريش يهب له خرجه عشرين سنة، مقابل أنْ يدس السُمَّ للأشتر النخعي. المسعودي، مروج الذهب، 430/2 .

([4]) للمزيد عن توازن السوق زمن أمير المؤمنين (T) ينظر: التميمي، سياسة توازن السوق، 251-252.

([5]) البلاذري، أنساب الأشراف، 129/2؛ ابن الجوزي، المنتظم، 69/5.

([6]) الكليني، الكافي، 622/2؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، 199/3.

([7]) سُليم بن قيس، كتاب سُليم بن قيس الهلالي، 190.

([8]) الخوارج قال عنهم رسول الله (O) : " **يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**". أبو داود، مسند أبي داود، 140/1؛ ابن أبي شيبة، مسند أبن أبي شيبة، 59/1؛ ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، 470/2.

([9]) المسعودي، مروج الذهب، 431/2.

([10]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 123/2-149.

واليمن يستبيح فيها الأموال والاعراض، فأحدث قلقاً وارباكاً في الدولة العربية الإسلامية، وانحاز النفعيين إلى جبهة معاوية، تاركين الإمام (Q)، يصلح ما فسد من أمر الامة، حتى خُلطتْ الاوراق وزحفتْ الفتن كموج اليل المظلم تعصف في جبهة الإمام، ففي حرب صفين (37هـ/657م) زحف أصحاب الإمام وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى كادت أنْ تُحسم المعركة لصالح كفّة جيش الإمام، ودعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فاعترضه عمرو بن العاص وجاء بحيلة رفع المصاحف، وكان الأشعث بن قيس الكندي[2] من أشد الداعين إلى إجابة المكيدة، إذ سبق لمعاوية أنْ كاتبه واستماله، حتى صرح الأشعث، قائلاً: "**والله لتجبنَّهم إلى ما دعوا إليه أو لندفعنك اليهم برّمتك**"[3]، تبدو آثار رأس المال في استمالة أصحاب الإمام حتى شقت صفوف الجيش إلى فريقين ، فريق يطالب بعدم إجابة طلبهم، والآخر يؤيد الطلب بشدة حتى حصل لمعاوية ما أراد وجاءت المأساة بتسمية الحكمين، وآلت الأمور إلى ما لا يرجى حصوله[4].

إنَّ مسألة خروج الحرورية مما يرتبط بتأثير رأس المال، ومما يعضد رأينا، أنَّهم حينما بعث اليهم أمير المؤمنين (T)، ابن عباس، يرشدهم إلى الصواب احتجوا بثلاثة حجج تتلخص بـ: (حكَّمَ في دين الله وقتل ولم يسبِ ولم يغنم ومحى أسمه من الخلافة)[5]، ما يهمنا في موضوعنا، إنَّ الخوارج أرادوا الحصول على السبايا والغنائم، وهذا ما يرتبط بمفهوم برأس المال، إذ على الرغم من أنَّ ابن عباس القى إليهم الحُجّة

([1]) عمرو بن عُمويرِ بن عمران بن الحليس بن سيار، أشتهر بـ: بُسْر بن أرطاة (أو ابن أبي أرطاة) العامري القرشي، كان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب الإمام علي (T)، فقتل منهم جمعاً وعاد بالسَّبي إلى الشام، فيكون أول من سبي النساء المُسلِماتْ، وقتل الصبيان عبد الرحمن وقتم أبني عبيد الله بن العباس في اليمن سنة (39هـ/659م)، وكان رجل سوء، اصيب في عقله حتى توفي بالشام عن عمر ناهز التسعين عاماً (86هـ/705م). ابن الأثير، أُسد الغابة، 231/1-214؛ المزّي، تهذيب الكمال، 60/4-69؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 309/1.

([2]) الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة، وفد على النبي (O) وأسلم، ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، وأرسل الأشعث موثوقا إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه أبو بكر وزوّجه أخته أم فروة، ابنته جعدة اغراها معاوية بالمال فسمَّتْ الإمام الحسن(Q) توفي الاشعث بالكوفة عام (41هـ/661م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 37/2-43؛ ابن حجر، الاصابة، 239/1- 242.

([3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 131/2؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 177/1.

([4]) للمزيد ينظر: ابن أعثم، الفتوح، 197-213؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، 256؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 225/5-229؛ ابن الجوزي، المنتظم، 126/5-128؛ ابن خلدون، العبر، 335/2-337.

([5]) الطوسي، المبسوط، 265/7؛ الطبري، ذخائر العقبى، 232؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 240/6.

الداحضة[1] إلّا أنهم صموا آذانهم وعموا أبصارهم من الركون إلى الحق فضلوا الطريق ممّا أضطر الإمام (T) إلى مقاتلتهم .

أنتهز معاوية الفرصة بانشغال الإمام علي (T) بحرب الخوارج، فراح يرسل السرايا صوب المدن والأمصار التابعة للإمام (T)، قتلاً، وسلباً، ونهباً للأموال، حتى أُثخن فيهم، أمّا الخوارج الذين راغ على قلوبهم فلم يفيقوا إلى الحق حتى نازلهم الإمام في النهروان (38هـ/658م)، وفرَّ منهم ثلاثة اجتمعوا في مكة وتعاهدوا على قتل الإمام علي (T) في الكوفة ومعاوية في الشام وعمرو بن العاص في مصر، ودخل عبد الرحمن بن ملجم المرادي[2] الكوفة فكان له ما أراد من قتل الإمام علي بن أبي طالب(T)[3]، وتمت البيعة للإمام الحسن (T) خلفاً لأبيه[4]، ولم يترك الإمام (T) صفراء ولا بيضاء إلّا سبع مائة درهم فَضُلتْ من عطاءه أراد أنْ يبتاع خادماً[5]، وأمر أبنه الحسن (T) بردها إلى بيت المال[6]، ولا غرابة في ذلك[1]، إذ

([1]) فيما يرتبط بالحجة الاولى: " حكّم في دين الله"، أنَّ ابن عباس ذكَّرهم بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ سورة المائدة/ الآية 95، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ سورة النساء/ الآية 35، وأمّا حجتهم الثانية: "قاتل ولم يَسبِ ولم يَغنمْ" فإن ابن عباس بين لهم بأنه قاتل أمهم عائشة، فانْ زعموا أنَّها ليست بأمهم فقد كفروا وإنْ زعموا أنَّها أُمهم فما يحلُّ لهم سبيها، وفيما يتعلق بالحجة الثالثة: "محى أسمه من أمير المؤمنين"، فقد ذكرهم محوا النبي محمد (O)، (رسول الله) في صلح الحديبية، لكن على الرَّغم من إقرارهم بصحة الحجج عليهم إلّا إنَّ بعضٍ منهم اصرَّ على غيّه وضلالته، مما أُجبر الإمام (T) على مقاتلتهم . الطوسي، المبسوط، 265/7؛ الطبري، ذخائر العقبى، 232؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، 240/6.

([2]) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري، فاتك ثائر، من أشداء الفرسان ملعون، أدرك الجاهلية، وهاجر إلى مصر، جاء لبيعة الإمام فرده مرتين، فقال له: **لَتُخَضَّبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ**"، وأشار الإمام إلى هامته ولحيته، شهد صفين مع الإمام علي (T)، ثم انقلب على عقبيه مع الخوارج قتله الإمام الحسن (T) عام (40هـ/660م)، ذاك المُعثر ليس بأهل أنْ يذكر بشيء. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 33/3–39؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1122/3–1127؛ ابن الاثير، أُسد الغابة، 614/3–618؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، 592/2 .

([3]) للمزيد ينظر: ابن أعثم، الفتوح، 275/4–278؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 230/5–233؛ أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 18–28؛ محب الدين الطبري، الرياض النضرة، 234/3.

([4]) للمزيد ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 139–153.

([5]) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، 153؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 157/5؛ ابن أعثم، الفتوح، 282/4؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، 34.

([6]) ورد عن الحسن (T) أنَّه خطب بالناس بعد استشهاد أمير المؤمنين (T) فقال : " **إنَّه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم، قد كان أراد أن يبتاع بها لأختي أم كلثوم خادماً، وقد أمرني أنْ أردها إلى بيت المال**". ابن أعثم، الفتوح، 282/4.

إذ كان أمير المؤمنين (T)، حريصٌ كُلَّ الحرصِ على بيت مال المسلمين، وهو القائل: يا صفراء، يا بيضاء غري غيري ، فلم يكن ولعاً بحب المال ولم يجمع القناطير المقنطرة[2]، مع حرصه الشديد على تنمية رأس المال واستثمار الأرضين لتحقيق التكامل الاقتصادي لدولته.

وحينما علم معاوية باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T) ومبايعة أبنه الإمام الحسن (T)، وجه بجند الشام ومن لحق بهم من الجيوش التي أرسل إليها صوب الكوفة، وقام الحسن (T) خطيباً وحثهم لملاقاة جيش الشام، فلم يجبه إلّا عدي بن حاتم الطائي[3]، الذي وبَّخهم لعدم اجابة ابن بنت رسول الله (O) ومضى إلى النُّخَيْلَةُ[4]، فكان أول من عسكر هناك[5]، ثم التحق عبيد الله بن العباس[6] وقيس بن سعد[7] بأثنا عشر الفاً وعسكرا في مسكن[8]، ممّا يعني أنَّ جيش الإمام الحسن (T) ، كان على قسمين،

([1]) ذكر ابن كثير، ذات الخبر وعلّق عليه، قائلاً: "**وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا وَفِيهِ نَكَارَةٌ**". البداية والنهاية، 332/7. لا غرابة أنْ يستغرب ابن كثير الخبر ويُنكره!، أكتفي بقول الخليل بن احمد الفراهيدي (ت: 170هـ/786م) حينما سُؤل عن فضائل أمير المؤمنين (T) فقال: " **ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً، و أخفاها محبوه خوفاً، و ظهر من بين ذين و ذين ما ملأ الخافقين**". البُرسي، مشارق أنوار اليقين،171؛ القمي، الكنى والألقاب، 350/2.

([2]) ابن عبد البر، الأستيعاب، 1108/3–1114؛ محب الدين الطبري، الرياض النضرة، 135/3، 187، 211؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 180/21؛ ابن خلدون، العبر، 256/1.

([3]) هو عدي بن حاتم الطائي أحد بني ثُعْلٍ، يكنى أبا طريف، نزل الكوفة وابتنى بها داراً، من أصحاب أمير المؤمنين الخلّص، ذهبت عينة يوم الجمل (36هـ/656م)، مات بالكوفة عام (67هـ/684م). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 22/6؛ أبو نعيم الاصفهاني، معرفة الصحابة، 4/ 2190.

([4]) تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي (T)، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وله فيها خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 178/5–179؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 1366/3؛ الحميري، الروض المعطار، 576.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، 286/4؛ أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 40؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 221/16 .

([6]) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، يقل عن عبد الله بعام واحد، جعله الإمام علي (T) على اليمن، سار اليه بُسر بن ارطأة ففر منها وقتل بُسر أبني عبيد الله (عبد الرحمن وقثم) بين يدي أمهم فجنتْ على أثرها. للمزيد ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 55/4–59؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة، 1873/4؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 214/1، 420/3– 423.

([7]) قيس بن سعد ين عبادة بن دُليم الخزرجي الانصاري، ولاه أمير المؤمنين (T) مصر ثم عزله لاحتياجه إليه، جعله على شرطة الخميس، صحابيٌ جليل، شريف قومه ومن دهاة العرب وكرمائهم، لازم الامام علي والحسن (h) حتى وفاته عام (60هـ/680م). ابن سعد الطبقات الكبرى، 52/6 ؛ ابن قانع، معجم الصحابة، 346/2–347؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 1289/3–1292؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، 124/4–125 .

([8]) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 41؛ ابن الجوزي، المنتظم، 166/5؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 221/16.

قسمٌ بقيادة عبيد الله بن العباس يعاونه قيس بن سعد، والآخر بقيادة الإمام الحسن (T) ، الذي أستقر في ساباط[1]، مع عدم أغفال أنَّ معاوية كان على دراية تامة ومعرفة كاملة بجيش الإمام الحسن (T) ؛ فسبق له أنْ أستعلم عن قدراتهم القتالية في واقعة الجمل (36هـ/656م)، ثم خاض معهم في صفين (37هـ/657م)،حرب ضروس كادت أن تُنهي الوجود الأموي وآمالهم المعقودة، لولا فكرة التحكيم، وأستعلم بطولاتهم في النهروان (38هـ/658م) وبث عيونه في العراقين (البصرة والكوفة) يأتونه بالإخبار[2]، فكان عليه لزاماً أن يسلك طرق شتى، هدفه الأساس، أنْ يحضَ بإمرة المسلمين غير مبالٍ بالطريق الموصل اليها، فالغاية عنده تبرر الوسيلة، وعلى هذا الأساس وضّفَ الجانب الإعلامي إلى جانب التغرير بالأموال لتحقيق مرامه، فعمل على بث الاشاعات لإثارة الفتنة في صفوف جيش الإمام، فكان يدسُّ إلى عسكر الحسن (T) من يحدَّث أنَّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار إليه، ويوجه إلى عسكر قيس من أنَّ الحسن (T) صالح معاوية واجابه، وبعث بجماعة ومعهم صحيفة بيضاء مختوم في أسفلها بختمه يعرض الهدنة أو الصلح ويملي فيها ما يشاء من الشروط[3]، فخرجوا من عند الحسن (T) وهم يقولون ويسمِّعون الناس: " **إنَّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح؛ فأضطرب العسكر ولم يشك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها...وقد كمن الجراح بن سنان الاسدي**[4] **فجرحه بمعول في فخذه**"[5]، وفي الوقت ذاته فأنَّ معاوية وضَّف رأس المال في منازعة الإمام الحسن حقه، فهو عمل على استمالة قادة جند الإمام، فوجه إلى قيس بن سعد يبذل له الف الف درهم على أنْ يصير إليه أو ينصرف عنه، فرفض قيس وأصرَّ على مقاتلته، أمّا عبيد الله بن العباس، فأنه قبل العرض[6]، وصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه ليلاً[1]، وهذا بطبيعة الحال أضعف الكفَّة القتالية وفُتَّ

([1]) ساباط كسرى، مكان بالمدئن على الجانب الغربي لنهر دجلة، والعرب تسمي الساباط: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وهو المكان الذي القي فيه كسرى أبرويز، النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة فقتلته. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 166/3؛ ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، 680/2؛ الحميري، الروض المعطار، 297– 299 .

([2]) "**ودس معاوية رجلاً من بني حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار...فأخذا وقتلا**". أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 34.

([3]) البلاذري، أنساب الأشراف، 41/3؛ ابن الجوزي، المنتظم، 183/5؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، 139؛ ابن خلدون، العبر، 648/2.

([4]) الجراح بن سنان الأسدي من بني نصر بن قعين في عداد الخوارج، قُتل أخوه جمزة في النهروان . البلاذري، أنساب الأشراف، 372/2–375؛ ابن المستوفي، تاريخ أربل، 442/2؛ ابن حجر، الإصابة، 430/6.

([5]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 149/2؛ أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 42؛ ذكر ابن أبي الحديد عن المدائنيّ ذات الخبر باختلاف يسير ومعنى واحد، شرح نهج البلاغة، 222/16.

([6]) أرسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس ليلاً، فقال له: " **أنَّ الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلم الأمر إليَّ، فأن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك أن أجبتني الآن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك في**

وفُتَّ في عضدها، ثم كتبتْ جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة في السِّرِ، واستحثوه على المسير إليهم وضمنوا له تسليم الحسن عند دنوهم من معسكره، أو الفتك به، وقد بلغ الحسن ذلك[2].

يُعْدُ عام (41هـ/661م) أحد الأعوام الفاصلة في التاريخ الإسلامي، إذ وضع الإمام الحسن (Q) في موضعٍ إزاء الموقف الذي تعرَّضت له الدولة الإسلامية، وإنْ شأتَ قل: في خيارين لا ثالث لهما، أمّا أنْ يقاتل معاوية، وأمّا أنْ يهادنه وما هي النتائج التي تتمخض عنهما؟.

يرى الباحث إنَّ تكليف الإمام الحسن (Q) في الحفاظ على بيضة الإسلام ومسار الدولة الإسلامية، هو ذاته تكليف الإمام عليٍّ (T)، ممّا يعني وحدة الهدف والمشروع، وبالتالي فإنَّه ينحو ذات المنحى، فالإمام علي (T) في حادثة السقيفة أضحى أمام خيارين: إمَّا أنْ يقاتل وإمّا أنْ يساير الأحداث، وقد بينا موقف الإمام إبَّان أحداث السقيفة وكيف تعامل معها بحنكة سياسية استطاع أنْ يحافظ على الأُس الذي بناه نبيُ الأُمة، وعلى الرغم من حصول الشرخ في جسد الأُمة الإسلامية، لكن الذي هو أهم منها أفصح عنه في إحدى خطبه قائلاً: " **فأمسكتُ يدي، حتى رأيتُ راجعة الناس قد رجعتْ عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (O) فخشيت أنْ لم أنصر الإسلام وأهله، أنْ أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم**"[3]، وعلى هذا الأساس فإنَّ الإمام الحسن (T)، بعد الأحداث الجسام التي رافقت تسنمه الإمامة، أضحى لزاماً عليه أنْ ينهج ذات النهج، قبالة الحفاظ على الإسلام في أنْ يرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة أعظم من فوت ولاية الإمر، إذ إنَّ ولاية الأمر في مفهوم الإمام الحسن (T)، وكذا عند الإمام علي (T)، تختلف عنه في منظار معاوية الذي يرى فيها الرئاسة والملك، ولهذا فإنَّ الامام الحسن (T) حينما سُأل عنها قال: "**كرهت أن اقتلهم في طلب الملك**"[4]، وفي الوقت ذاته له أنْ يشترط على معاوية الشروط التي إنْ التزم بها، يكون قد حقن دماء أنصاره وضمن لهم العطاء الذي عزم معاوية على محوه ابتداءً، وإنْ خالفها يكون قد أفتضح أمره أمام الأُمة، وهي أيضاَ علّة مصالحة رسول الله (O)

هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فأنسل عبيد الله إليه ليلاً، فدخل عسكر معاوية". ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 232/16.

([1]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 149/2؛ أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 43-44؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 232/16.

([2]) أورد ابن أبي الحديد في بعض كتب معاوية إلى عماله يدعوهم لنصرته ويبين لهم خيانة أهل الكوفة، ومما جاء في كتابه بنسخة واحدة أنه قال: "**وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم**". شرح نهج البلاغة، 229/16. وعن انحياز اشراف عسكر قيس بن سعد والتحاقهم بعسكر معاوية، ينظر: ابن أعثم، الفتوح، 289/4.

([3]) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 54/6؛ المجلسي، بحار الانوار، 596/33؛ عبده، شرح نهج البلاغة، 484-486.

([4]) النيسابوري، المستدرك، 175/3؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 387؛ محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، 139.

لبني ضمرة[1] ولأهل مكة حين أنصرف من الحديبية[2]، اولئك كفارٌ بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل؛ لأن أحداث صفين والتحكيم خَلطتْ الأوراق على العامة من الناس فراح معاوية يُبيّن إنَّه صاحب الحق في ولاية الأمر، وإنَّ الحرورية[3]، ممّن التبس عليهم الحق وقتئذ، وحاول أمير المؤمنين (Q) أنْ يردهم إلى رشدهم إلّا أنَّهم أصروا على غيّهم حتى قاتلهم، فالإمام الحسن (Q) الذي بلغت الاشاعات والاباطيل مبلغها في عسكره حتى عمدوا إلى أنْ ينتهبوا متاعه ومصلاته، والأبعد من ذلك عمد أحدهم إلى قتله فحُمل إلى المدائن، تلك الأحداث تُفسِّر مدى الحيف الذي وقع على الإمام فلم يكن له من العديد ليقاتل به معاوية، وحينما عُرضتْ عليه الصحيفة البيضاء وضع فيها من الشروط[4] ريثما تسنح الفرصة ليبين للناس وجه الحق الذي ضل على الناس ولو بعد حين، وسرعان ما افتضح أمر معاوية بعد الهدنة ، إذ قال:" **ألَّا أنَّ كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به**"[5].

([1]) وادع النبيُ (O) في السنة الأولى من الهجرة، بني ضمرة من بني كنانة في الأبواء على أنْ لا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحد. الواقدي، المغازي، 12/1؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 599/1 .

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 634/2؛ ابن الاثير، 85/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 168/4.

([3]) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي(Q) حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحرِوراء من نواحي الكوفة، أميرهم عبد الله بن الكواء (ت: 38هـ/658م). الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 115.

([4]) بنود الهدنة أو الصلح، لم ترد في المصادر التاريخية كوثيقة معدة لهذا الغرض بل وردت مبعثرة بين مكثر ومقل في بنودها. للمزيد ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 41/3-43؛ ابو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، 218؛ ابن أعثم، الفتوح، 291/4.

([5]) ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، 46؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 146/16.

الخاتمة

توصل الباحث إلى عدد من الاستنتاجات التي مثلت باكورة بحثه وهي الآتي:

1- شكل رأس المال حجر الزاوية في مواجهة الدعوة الإسلامية ممّا أدى إلى عرقلة مسيرتها، منذُ بواكيرها الأولى، بَيْد أنَّه جوبه بقوة رأس المال الرمزي عند أبو طالب(J) التي أفشلت كل مخططات رأس المال الحاكم، إذ كانت قوة رأس المال الرمزي تساوي في التأثير قوة رأس المال الاقتصادي، وهذا ما مكن النبيُّ الأكرم (O) من مواصلة مسيرته للتبشير بالدين الإسلامي؛ ولهذا فأن رحيل أبو طالب (J) جاء بعد أنْ وضع النبيُّ (O) اللّبُنات الأولى ومرتكزاته الرئيسية للدعوة ممّا فوت الفرصة على رأس المال الحاكم، عندها تمكن النبيُّ (O) من الهجرة بعد ازدياد ضغط الملأ، في وقت أضحت الدعوة في مأمن إلى حدٍ ما، بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، ومن ثمَّ الهجرة إلى يثرب (المدينة).

2- جاء الإسلام للقضاء على بعض الأعراف والتقاليد التي كانت السائدة في مجتمع الجزيرة العربية، فوضع نبيُّ الأُمة (O) الأُسس الرصينة لمحوها تدريجياً، فكان له ما أراد، إلَّا إنَّ رأس المال أدى فعله في التأثير على مَنْ خلف النبيُّ (O) في إمرة المسلمين فعادت الأعراف والتقاليد أدراجها.

3- أنَّ مصطلح الخليفة الذي ورد عند المؤرخون المسلمون على مَنْ خَلفَ رسول الله(O) في إمرة المسلمين، لم يجده الباحث متداولاً عند ما اسموهم بالخلفاء أنفسهم، وإنَّما الذي أطلع عليه هو لقب أمير المؤمنين وهو من مختصات الإمام علي (T)[1] وكل الحوار الذي دار في سقيفة بني ساعدة يدور حول الإمارة والوزارة، ثم أنَّ

([1]) الكليني، أصول الكافي، 324/1؛ الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، 506/7. ذكر بعض المؤرخين أن عمر بن الخطاب لمّا وليَّ أمرة المسلمين قيل له: "**يا خليفة خليفة رسول اللّه، فجمع الناس بعد، وقال: إني أراكم لمن بعدكم خير من رأيهم لأنفسهم، وإني أخاف أن يلحدوا في هذا الاسم، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقبلت**". وقيل أن المغيرة بن شعبة هو من سمي عمر بأمير المؤمنين فقبلها منه. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 411/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 472/1؛ ابن الجوزي، المنتظم، 461/1.

الكتب والرسائل التي تُبعث منهم تبدأ بقوله: "**من أمير المؤمنين...**"[1]، ولم يطلع الباحث على رسالة أو كتاب ورد فيه نص : (من خليفة رسول الله إلى...)، لذا يرى الباحث أنَّ مصطلح الخليفة هو من صنع الرواة، مع اعتقاد الباحث أنَّ لقب (الخليفة وأمير المؤمنين) يعد من مختصات الإمام علي بن أبي طالب (T)، اطلقه عليه النبيُ الأعظم(O)[2]، والذين اتخذوا اللقب حاولوا انتزاعه من الإمام علي (T).

4- الذين تسنموا إمرة المسلمين من بعده لم يفقهوا ما أراد النبيُّ(O)، ونكصوا على أعقابهم فاشتطوا في الأحكام فجاءت النتيجة ارتجاع الطبقية إلى سابق عهدها، إذ تكدَّستْ الأموال عند بعض القوم ممّن يعدون أنفسهم الأوائل (الصحابة) أو السابقة في الإسلام التي أُتخذ منها سبباً أو حجة في الرئاسة والحكم، تاركين كتاب الله وسُنّة نبيه (O)، بل عمدوا على عدم تدّوينها.

5- الاقتصاد الإسلامي منظومة متكاملة ينبغي عدم أهدار أو تعطيل ركن من اركانه؛ لأنَّ التفريط بأي جزء من أجزائه يجعل منه نظام غير متسق يعاني من ضعف في الإداء المؤصّل إلى التكامل الاقتصادي في النظرية الاقتصادية، وبالتالي يعيق نجاح العملية الاقتصادية ومنهاجها النظري؛ ولهذا فأن أمير المؤمنين (T) رفض البيعة له حينما شُرط عليه العمل بسُنّة الشيخين، فقال:" **تبايعني على أنْ أعمل بكتاب اللَّه وسُنّة رسوله وأجتهد رأيي**"[3].

6- الشرخ الذي أصاب مجتمع الإخوّة زمن عمر بن الخطاب، في توزيع العطاء وفق الأسس التي اعتمدها كانت السبب الرئيسي في تكديس الأموال بأيدي فئة معينة على حساب عامة المجتمع، ممّا شكل رأس المال الأثر الواضح في نشوء الطبقية، التي تمكنت من التحكم في مسار الدولة العربية الإسلامية واختطت طريقاً مغايراً لما أراده نبيُ الأُمة (O)، بلغ أوجه زمن عثمان بن عفان.

7- تَمكْنَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (T) من تصحيح مسار الدولة العربية الإسلامية الذي انتابه الانحراف زمن مَنْ سبقه في إمرة المسلمين فتمكن من تحقيق التوازن الاقتصادي الذي أختل بفعل أثر رأس المال، يفصح عن ذلك على سبيل المثال خبر النصراني الذي رآه يستعطي، وقف مندهشاً وسأل عنه فقالوا:" **نصراني كبر وعجز، قال عليه السّلام: ما انصفتموه استعملتموه حتى إذا عجز تركتموه، آجروا له من بيت**

([1]) ابن اعثم، الفتوح، 500/2؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 249/2؛ الخصيبي، الهداية الكبرى، 143؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/2. تلقب مُسيلمة الكذاب بهذا اللقب ثم أعقبه عمر بن الخطاب واستهل رسائله به. ابن حجر، فتح الباري، 285/7.

([2]) الكليني، أصول الكافي، 324/1.

([3]) البحراني، شرح نهج البلاغة، 261/1.

المال راتباً"[1]، كما تمكن من أعادة التوازن الاجتماعي، إلّا إنَّ أصحاب رؤوس الأموال وقفوا بالضد من سياسة الإصلاح التي اطلقها.

8- مثلَّ الإمام الحسن (T) ذات الدور الذي وقف عنده نبيُّ الأُمة (O) في الحفاظ على مسار الدولة الإسلامية واستمرار الدين الإسلامي من أنْ يُمحق الدين أو يرى فيه ثلماً أو هدماً، وهو ذاته نهج الإمام علي (T) فعمل على التنازل لمعاوية عن الحكم مع أخذ بعض الضمانات التي يأمن فيها على بقاء الدين، ولا سيمّا عدم التعرض إلى الأتباع من تيار الإصلاح وضمان حقهم في العطاء، من غير التنازل عن حقه في إمرة المؤمنين، وهو الجانب الروحي في الإسلام، وهذا ما لم يدرك كُنهه عامة الناس فنسبت إليه أقوال لا تمت للصحة بشيء، وعلى هذا الأساس نقول: أنَّ الائمة (عليهم السلام) تبادوا الأدوار خلف عن سلف كل بحسب تكليفه الشرعي لكن الناس يجهلون.

([1]) الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، 282/2.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

❖ **القرآن الكريم.**

- **ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت:630هـ/1232م).**

📖 أُسُد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/1989م.

📖 الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

📖 اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، (د، ت).

- **ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هـ/1209م).**

📖 النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.

- **الازرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد (ت: 250هـ/864م).**

📖 أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الاندلس، بيروت، (د،ت).

- **ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت: 151هـ/768م).**

📖 السير والمغازي، تح: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/1978م.

- **الأصطخري، أبو إسحاق ابراهيم بن محمد (ت: 346هـ/957م).**

📖 المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **الراغب الاصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ/1108م).**

📖 تفسير الراغب الاصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، دار الوطن، الرياض، 1420هـ/1999م.

📖 محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1420هـ/1999م.

📖 المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، 1412هـ/1991م.

- **ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت: 668هـ/1269م).**

📖 عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د،ت).

- **ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي الكوفي (ت: 314هـ/926م).**

📖 كتاب الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي(ت: 292هـ/904م).**

📖 مسند البزاز، المعروف بـ: (البحر الزخار)، تح: محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد وصبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م.

- **البحراني، ابن ميثم (ت: 679هـ/1280م)**

📖 شرح نهج البلاغة، مركز النشر الإسلامي، قم المقدسة، (د،ت).

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:256هـ/869م).**

📖 صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، 1422هـ/2001م.

📖 التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد (د،ت).

- **ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ/1147م)**

📖 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1402هـ/1981م.

- **البُستي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 388هـ/998م).**

📖 معالم السنن، شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، 1351هـ/1932م.

- **البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت:1093هـ/1682م).**

📖 خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1418هـ/1997م.

- **البغوي، عبد الله بن محمد بن عبد لعزيز بن المزربان (ت:317هـ/929م).**

📖 معجم الصحابة، تح: محمد الامين بن محمد الجكني، دار البيان، الكويت،1421 هـ/2000م.

- **أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي(ت: 606هـ/1209م)**

📖 شرح ديوان المتنبي، السقا، مصطفى، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، (د،ت).

- **الْبرِّي، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى (ت: 645هـ/1247م).**

📖 الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، تح: محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، 1403هـ/1983م.

- **بنيامين التطيلي، بن الرابي يونة (ت: 569هـ/1173م)**

📖 رحلة بنيامين، المجمع الثقافي، ابو ظبي، 2002م.

- **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ/1094م).**

📖 المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (د، م)، 1413هـ/1992م.

📖 معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1403هـ/1983م.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/901م).**

📖 أنساب الأشراف، تح: محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1398هـ/1977م.
📖 فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

- **البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت: 685هـ/1286م).**

📖 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ/

- **البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخرساني (ت: 458هـ/1065م).**

📖 دلائل النبوة ومعرفة أحوال صحاب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/1980م.
📖 معرفة السنن والآثار، تح: عبد المعطي وأمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، 1412هـ/1991م.
📖 السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت: 279هـ/892م).**

📖 الجامع الكبير، المعروف بـ: (سنن الترمذي)، تح: بشار عواد، الفكر، ط2، بيروت، 1403هـ/1982م.

- **ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت:874هـ/1469م).**

📖 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د، ت).

- **الثعالبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:427هـ/1035م).**

📖 الكشف والبيان عن تفسير القران، تح: ابي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ/2002م.

- **الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت:429هـ/1037م).**

📖 ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة.
📖 فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ/2002م.
📖 لُباب الآدابُ، تح: أحمد حسن لبج ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

- **الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ/868م).**

📖 الرسائل الادبية، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1423هـ/2002م.
📖 كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ/2004م.
📖 المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، 1423هـ/2002م.

- **ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد (ت: 614هـ/1217م).**

📖 رسَالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، المعروف بـ: رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1406هـ/1985م.

- **ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/1200م).**

📖 غريب الحديث، تح: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/1985م.
📖 المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تح : محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1412هـ/1991م.
📖 مثير الغرام الساكن إلى أشراف الأماكن، نح: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/1995م.

- **ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: 327هـ/938م).**

📖 تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، السعودية، 1419هـ/1998م.
📖 الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1372هـ/1952م.

- **ابن حبّان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ (ت: 354هـ/965م).**

📖 الثقات، دائرة المعارف الثمانية، حيدر آباد، 1393هـ/1973م.
📖 صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ/1987م.
📖 السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، الكتب الثقافية، ط3، بيروت، 1417هـ/1995م.

- **ابن حبيب، محمد بن حبيب بن امية بن عمرو(ت: 245هـ/859م).**

📖 المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م.
📖 الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تح: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1999م.
📖 مختلف القبائل ومؤتلفها، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د،ت).
📖 المحبّر، تح: ايلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د، ت).

- **ابن حجر، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: 852هـ/1448م).**

📖 تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ/1908م.
📖 فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ/1959م.
📖 لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ/1971م.
📖 الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

- **ابن أبي الحديد، أبي حامد بن عبد الحميد المعتزلي (ت: 656هـ/1258م).**

📖 شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1425هـ/2004م.

- **الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد(ت: 1044هـ/1634م)**

📖 إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المشهور بـ: (السيرة الحلبية)، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، 1427هـ/2002م.

- **الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت: 387هـ/997م).**

📖 مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، (د،ت).

- **ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت: 456هـ/1063م).**

📖 جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.

📖 الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ/1986.

📖 جوامع السيرة، تح: احسان عباس، دار المعارف، مصر، 1318هـ/1900م.

📖 المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (د،ت).

📖 الأحكام، مطبعة العاصمة، القاهرة، (د،ت).

- **ابن حمّاد، ابو عبد الله نعيم بن حماد المرزوي (ت: 228هـ/900م).**

📖 كتاب الفتن، تح: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، 1412هـ/1991م.

- **ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت: 562هـ/1196م).**

📖 التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، 1417هـ/1996م.

- **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 900هـ/1494م).**

📖 الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1401هـ/1980م.

- **ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ/855م).**

📖 فضائل الصحابة، تح: وصي الله محمد عباس، دار الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م.

📖 مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

- **أبو حنيفة الدينوري، احمد بن داود (ت: 282هـ/895م).**

📖 الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1380هـ/1960م.

- **ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، (ت: 367هـ/977م).**

📖 صورة الأرض، دار صادر ، بيروت، 1332هـ/1938م.

- **ابن حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: 400هـ/1009م).**

📖 الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **ابو حيان الاندلسي، محمد بن يوسف بن علي (ت: 745هـ/1344م).**

📖 البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ/2000م.

- **ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو:280هـ/893م).**

📖 المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1307هـ/1889م.

- **الخصيبي، الحسين بن حمدان (ت: 334هـ/945م).**

📖 الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ الإسلامي، ط4، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت: 463هـ).**

📖 تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2002م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/1405م).**

📖 العبر، ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.

- **ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت:681هـ/1282م).**

📖 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، (د،ت).

- **ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (ت:240هـ/854م).**

📖 تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1397هـ/1976م.

- **أبو داود، سليمان بن داود الطيالسي (ت:204هـ/819م).**

📖 مسند أبي داود الطيالسي، تح: محمد عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1419هـ/1999م.

- **الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت: 385هـ/995م).**

📖 المؤتَلِف والمختَلف، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

- **ابن دريد، محمد بن الحسن الازدي (ت:321هـ/933م).**

📖 الإشتقاق، تح: عبد السلام محمد هاون، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **الديّار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت: 966هـ/1558م).**

📖 تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، (د،ت).

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت:748هـ/1347م).**

📖 دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، 1420هـ/1999م.

📖 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1413هـ/1993م.

📖 سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1405هـ/1985م.

📖 ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1382هـ/1963م.

- **ابن راشد، معمر، أبو عروة البصري (ت: 153هـ/770م).**

📖 الجامع، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، المجلس العلمي،ط2، باكستان، 1403هـ/1982م.

- **الفخر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 666هـ/1267م).**

📖 مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ/1999م.

📖 مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، 1420هـ/1999م.

- **الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي (ت: 256هـ/878م).**

📖 جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1381هـ/1960م.

- **الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت:236هـ/850م).**

📖 نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د، ت).

- **الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ/1790م).**

📖 تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د،م)، (د،ت).

- **الزجاج، إبراهيم بن السري (ت:311هـ/923م).**

📖 معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م.

- **الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت:794هـ/1391م)**

📖 البحر المحيط في اصول الفقه، دار الكتب، 1414هـ/1994م.

- **الزمخشري، محمود بن عمرو بن احمد (ت:538هـ/1143م).**

📖 أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

📖 ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412هـ/1991م.

📖 الفائق في غريب الحديث والأثر، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت، (د، ت).

📖 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1407هـ/1986.

- **ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت: 251هـ/865م).**

📖 الأموال، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1404هـ/1986م.

- **الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت:486هـ/1093م).**

📖 شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ/ 2002م.

- **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: 902هـ/1524م).**

📖 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.

- **السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت:483هـ/1090م).**

📖 المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت:230هـ/844م).**

📖 الطبقات الكبرى، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

📖 الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تح: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ط2، المدينة المنورة، 1408هـ/1987م.

- **ابن السّكْيت، يعقوب بن اسحاق (ت:244هـ/858م).**

📖 إصلاح المنطق، تح: محمد مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ/2002م.

📖 ديوان النابغة الذبياني، تح: شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، 1388هـ/1968م.

- **ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الله (ت:232هـ/847م).**

📖 طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جده، (د،ت).

- **ابن سعيد الأندلسي.**

📖 نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرة عبد الرحمن، مكتبة الاقصى، عمّان، (د،ت).

- **ابن أبي عاصم الشيباني، أحمد بن عمرو الضحاك (287هـ/900م)**

📖 السُنّة، تح: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ/1979م.

- **العامري، يحيى بن أبى بكر بن محمد (ت: 893هـ/1487م)**

📖 بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، دار صادر، بيروت.

- **أبو عمرو السلمي (ت:412هـ/1021م).**

📖 تفسير السلمي، تح: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م.

- **سليمان بن خلف بن سعد ابن ايوب المالكي (ت:474هـ/1081م).**

📖 التعديل والتجريح، تح: أحمد البزاز، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مراكش، (د،ت).

- **سُليم بن قيس (ت: 76هـ/698م).**

📖 كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح: محمد باقر الأنصاري، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، 1430هـ/2009م.

- **السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت:562هـ/1166م).**

📖 الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ/1962م.

- **السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد (ت: 911هـ/1505م).**

📖 وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م).

📖 خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى، تح: محمد الامين، محمد محمود، احمد الجكبني، (د،ت).

- **ابن سيد الناس، محمد بن أحمد (ت: 734هـ/1333م).**

📖 عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح: ابراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:458هـ/1065م).**

📖 المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م.

📖 المخصص، تح: خليل ابراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1996م.

- **السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المزربان (ت 368هـ/978م).**

📖 أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، 1373هـ/1966م.

- **سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (ت: 200هـ/815م).**

📖 الفتنة ووقعة الجمل، تح: احمد راتب عرموش، دار النفائس، ط7، 1413هـ/1993م.

- **السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ/ 1187م).**

📖 الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ/2000م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت:911هـ/1533م).**

📖 حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1387هـ/1967م.

📖 طبقات المفسرين العشرين، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ/1976.

📖 تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمر داش، مكتبة نزار مصطفى الباز، بيروت، 1425هـ/2004م.

📖 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، صيدا، (د، ت).

📖 الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، (د، ت).

- **السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ/1355م).**

📖 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،(د،ت).

- **الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المكي (ت:204هـ/819م).**

📖 الأم، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ/1990م.

📖 مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1979م.

- **موفق الدين الشافعي، محمد بن عبد الرحمن (ت: 615هـ/1218م).**

📖 مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1415هـ/1994م.

- **ابن شاهين، عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي(ت: 385هـ/995م).**

📖 الترغيب في فضائل الاعمال وثواب ذلك، محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت: 588هـ/1192م).**

📖 مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1376هـ/1956م.

- **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت: 548هـ/1153م).**

📖 الملل والنحل، تح: أحمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1427هـ/2005م.

- **الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه** (ت:381هـ/991م).

📖 معاني الأخبار، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، 1379هـ/1959م.

📖 من لا يحضره الفقيه، تح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط2، قم المقدسة، 1404هـ/1983م.

📖 كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة الفجر، بيروت، 1430هـ/2009م.

📖 علل الشرائع، دار قارئ، ط2، بيروت، 1426هـ/2015م.

- **الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت:211هـ/826).**

📖 المصنف، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/**1981م**.

- **الصفدي، خليل الدين بن أيبك (ت:764هـ/1362م).**

📖 الوافي بالوفيات، تح: احمد الارنوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م.

- **الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت:335هـ/946م).**

📖 الأوراق قسم اخبار الشعراء، شركة أمل، القاهرة، 1425هـ/2005.

- **الضبّي، المفضل بن محمد بن يعلي (ت: نحو 168هـ/784م).**

📖 أمثال العرب، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1403هـ/1983م.

- **الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت:360هـ/970م).**

📖 المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، ط2، القاهرة، (د،ت).

- **الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ/922م).**

📖 تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ/1967م.

📖 جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،1420هـ/2000م.

- **محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمد (ت:664هـ/1265م).**

📖 ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار المعرفة، بيروت، (د،ت).

- **الطبّرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل (ت:548هـ/1153م).**

📖 إعلام الورى بأعلام الهدى، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1424هـ/2004م.

- **الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت: 460هـ/1067م).**

📖 الأمالي، تح: مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، 1414هـ/1993م.

📖 المبسوط، تح: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، (د،ت).

- **ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت:463هـ/1070م).**

📖 الانباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/1985م.

📖 الأنساب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.

📖 الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.

- **ابن عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ/1338م).**

📖 مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1991م.

- **ابن عبد ربه الاندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 328هـ/949م).**

📖 العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ/1983م.

- **ابن عبد الملك، حسين بن عبد الملك العصامي (ت: 1111هـ/1699م).**

📖 سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد وعلي محمد، دار

- **عبده، محمد (1323هـ/1905م)**

📖 شرح نهج البلاغة، تح: فاتن محمد اللّبون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

- **أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله (ت:224هـ/838م).**

📖 كتاب الأموال، تح: خليل محمد هرّاس، دار الفكر، بيروت، (د،ت).

📖 الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، 1400هـ/1980م.

- **ابن العبْريّ، أبي الفرج غريغوريوس الملطيّ (ت: 685هـ/1286م).**

📖 تاريخ مختصر الدول، دار الافاق العربية، القاهرة، 1421هـ/2001م.

- **العجلي، احمد بن عبد الله بن صالح (ت: 261هـ/874م).**

📖 تاريخ الثقات، دار الباز، (د، م)، 1405هـ/1984م.

- **ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله (ت:571هـ /1175م).**

📖 تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، 1415هـ/1995م.

- **ابن العمراني، محمد بن علي (ت: 580هـ/1184م).**

📖 الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الافاق العربية، القاهرة، 1421هـ/2001م.

- **أبو عمرو الشيباني، (ت:206هـ/821م).**

📖 شرح المعلقات التسع، تح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1422هـ/2001م.

- **ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 235هـ/849م).**

📖 مسند ابن أبي شيبة، تح: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، 1997م.

- **العيني، محمود بن احمد بن موسى بن احمد (ت:855هـ/1451م).**

📖 الاستذكار، تح: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،1421هـ/2000م.

- **الغزّالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ/1111م).**

📖 إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د ، ت).

📖 عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ت).

- **الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:393هـ/1002م)**

📖 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، **1407هـ/1987م.**

- **ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ/1004م).**

📖 معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، (د،م)، 1304هـ/1886م.

- **الفاسي، محمد بن احمد بن علي الحسني (ت:832هـ/1428م).**

📖 شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م.

- **الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (ت: 272هـ/886م).**

📖 أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تح: عبد الملك عبد الله دهيش، دار الخضر، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت: 277هـ/890م).**

📖 المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

- **أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت:732هـ/1331م).**

📖 المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، (د، ت).

- **أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت:356هـ/966م).**

📖 مقاتل الطالبيين، تح: أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، (د، ت).

📖 الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ت).

- **الفراهيدي، الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم (ت:170هـ/786م).**

📖 كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دمشق، (د، ت).

- **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (: 817هـ/1414م).**

📖 القاموس المحيط، تح : مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1426هـ/2005م.

- **الفيض الكاشاني، محمد بن محسن (ت:1091هـ/1680م).**

📖 الوافي، تح : ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، اصفهان، 1411هـ/1989م.

- **الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت:770هـ/1375م).**

📖 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د،ت).

- **أبو القاسم الآمدي، الحسن بن بشر (ت:370هـ/980م.)**

📖 المؤتلف والمخالف في أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تح: د. ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد المغربي(ت: 363هـ/876م).**

📖 شرح الاخبار، تح: محمد الحسني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة (د،ت).

- **القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون (ت:356هـ/966م).**

📖 الأمالي، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1344هـ/1926م.

- **ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق(351هـ/865م).**

📖 معجم الصحابة، تح: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1418هـ/1997م.

- **ابن قتيبة الدّينوَري، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت:276هـ/889م).**

📖 الإمامة والسياسة، تح: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1427هـ/2006م.

📖 الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/2003م.

📖 عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.

📖 المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1413هـ/1992م.

- **القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت:170هـ/786م).**

📖 جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ت).

- **القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت:671هـ/1272م).**

📖 الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:682هـ/1283م).**

📖 آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د، ت).

- **القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر(ت:454هـ/1062م).**

📖 مسند الشهاب، تح: حمدي عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1986م.

- **القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (ت:646هـ/1248م).**

📖 إنباء الرواة على أنباء النحاة، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:821هـ/1417م).**

📖 صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

📖 مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، عالم الكتب، بيروت، 1427هـ/2006م.

📖 نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

📖 قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1402هـ/1982م.

- **ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي (ت: 507هـ/1113م).**

📖 الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، تح: دي يونج، ليدن، بريل، 1282هـ/1865م.

- **ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت:774هـ/1372م).**

📖 البداية والنهاية، دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ/2003م.

📖 تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمد سلامة، دار طيبة، ط2، (د، م)، 1420هـ/1999م.

📖 السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1395هـ/1976م.

📖 قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1388هـ/1968م.

- **الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد (ت:764هـ/1362م).**

📖 فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1394هـ/ 1974م.

- **الكفوي، ايوب بن موسى (ت:1094هـ/1682م).**

📖 الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح :عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د، ت).

- **ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت:204هـ/819م).**

📖 نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م.

📖 كتاب الاصنام، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، ط4، 1420هـ/ 2000م.

- **الكليني، محمد بن يعقوب (ت:329هـ/940م).**

📖 اصول الكافي، تح: علي اكبر الغفاري، دار الاسوة، ط5، طهران، 1425هـ/2005م.

- **ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:273هـ/886م).**

📖 سُنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د، م)، (د،ت).

- **المالكي، أبو بكر أحمد بن مروان (ت:333هـ/944م).**

📖 المجالسة وجواهر العلم، تح: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ/1998م.

- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:450هـ/1058م).**

📖 الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم، بيروت، (د، ت).

📖 ادب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، (د، م)، 1407هـ/1986م.

📖 تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح: محي هلال وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت).

📖 النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تح: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

- **المبرّد، محمد بن يزيد (ت:285هـ/898م).**

📖 الكامل في اللغة والادب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3 ، 1417هـ/1997م

- **المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (ت:975هـ/1567م).**

📖 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ/1989م.

- **مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي (ت:104هـ/722م).**

📖 تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام، دار الفكر الحديثة، القاهرة، 1410هـ/1989م.

- **المجلسي، محمد باقر (ت:1111هـ/1699م).**

📖 بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ، 1404هـ/1983م.

- **المخَلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس البغدادي(ت: 393هـ/1002م).**

📖 المخلصيات، تح: نبيل سعد الدين جرار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1429هـ/2008م.

- **المرزباني، أبو عبيد الله، محمد بن عمران (ت:384هـ/994م).**

📖 مُعجم الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1402هـ/1981م.

- **المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت:421هـ/1030م)**

📖 شرح ديوان الحماسة، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **المُزّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي (ت:742هـ/1341م).**

📖 تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،1413هـ/1992م.

- **المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت:346هـ/957م).**

📖 التَّنْبِيهُ والإِشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، (د، ت).

📖 مروجُ الذهبِ ومعادنِ الجَوهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

- **مُسلم، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري، (ت:261هـ/874م).**

📖 المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول صلى الله عليه وسلم العروف بـ: (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ت).

- **مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن سليمان الأزدي (ت:150هـ/767م).**

📖 تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، دار احياء التراث، بيروت، 1423هـ/2002م).

- **المقدسي، محمد بن احمد البشاري (ت:521هـ/1127م).**

📖 أحسن التقاسيم، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ/1991م.

- **المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: 355هـ/965م).**

📖 البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د، ت).

- **المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت:845هـ/1441م).**

📖 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المشهور بـ: (الخطط المقريزية)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997.

📖 إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد المنيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م.

- **المقري، أحمد بن محمد الفيومي (ت: 770هـ/1368م).**

📖 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الفكر للطباعة، (د،ت).

- **أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد (ت:370هـ/980م).**

📖 تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ/2001م.

- **ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:711هـ/1311م).**

📖 لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي(ت: 395هـ/1004م)**

📖 معرفة الصحابة، تح: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الامرات العربية المتحدة، 1426هـ/2005م.

- **ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو المروزي (ت: 481هـ/1088م).**

📖 سفر نامه، تح: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3، بيروت، 1404هـ/ 1983م.

- **النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (303هـ/915م).**

📖 السنن الكبرى، تح: أحسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

- **ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت:438هـ/1046م).**

📖 الفهرست، تح: رضا تجدد، (د، ن)، (د، م)، (د، ت).

- **أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت:430هـ/1038م).**

📖 حُلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م.

📖 معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزاوي، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419هـ/1998م.

📖 دلائل النبوة، تح: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م.

- **النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت:676هـ/1277م).**

📖 تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).

- **النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت:733هـ/1332م).**

📖 نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 1423هـ/2002م.

- **النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 518هـ/1124م).**

📖 مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين، دار المعرفة، بيروت. (د،ت).

📖 المستدرك، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (د،ت).

- **الهاشمي، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة (ت: 400هـ/1009م).**

📖 الأمثال، دار سعد الدين، دمشق، 1423هـ/2001م).

- **الهروي، علي بن ابي بكر (ت:611هـ/1214م).**

📖 الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ/2002م.

- **ابن هشام، عبد الملك (ت:213هـ/828م).**

📖 السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ، 1375هـ/1955م.

- **أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت:395هـ/1004م).**

📖 جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، (د، ت).

📖 ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، (د، ت).

📖 الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، 1412هـ/1991م.

- **الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت:**334هـ/ م).

📖 صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، 1884م.

- **الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان (ت:807هـ/1404م).**

📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1988م.

- **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت:207هـ/822م).**

📖 فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

📖 كتاب الردة، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م.

📖 المغازي، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، 1409هـ/1989م.

- **ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت:749هـ/1348م).**

📖 تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ: (تاريخ ابن الوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

- **اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليمني (ت:768هـ/1366م).**

📖 مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت:626هـ/ 1228م)**

📖 مُعجم البُلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1415هـ/1995م.

- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت:292هـ/904م).**

📖 البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.

📖 تاريخ اليعقوبي، دار الزهراء، قم المقدسة، 1387هـ/1967م.

- **أبو يعلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى الموصلي (ت:307هـ/919م).**

📖 مسند أبي يعلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404هـ/1984م.

- **اليوسفي، الحسن بن مسعود بن محمد (ت:1102هـ/1690م).**

📖 زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تح: د. محمد حجي، د، محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401هـ/1981م.

- **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد القاضي (ت: 182هـ/798م).**

📖 الخراج، تح: طه عبد الرؤوف سعد ، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث،(د،ت).

ثانياً: المراجع.

- **الاسكندري، أحمد، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف.**

📖 المفصل في تاريخ الأدب العربي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1425هـ/2004م.

- **إسماعيل، محمود.**

📖 سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور التكوين، الانتشار العربي، ط، 1421هـ/ 2000م.

- **الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد (ت: 1417هـ/1996م).**

📖 أسواق العرب في الجاهلية والإسلام.

- **باجوده، حسن محمد.**

📖 ديوان ابي قيس صيفي بن الاسلت، دار التراث، القاهرة، 1391هـ/1971م.

- **بدوي، عبد الرحمن.**

📖 موسوعة المستشرقين، دار الفارس، ط3، الاردن، 1424هـ/ 2003م.

- **البرقوقي، عبد الرحمن.**

📖 شرح ديوان حسان بن ثابت ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1337هـ/1929م.

- **برو، توفيق.**

📖 تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط2، بيروت، 1422هـ/2001م.

- **حسين، محمد.**

📖 ديوان الأعشى الكبير، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ت).

- **خالد، حميد حنون**

📖 مبادئ القانون الدستوري، وتطور النظام السياسي في العراق، مكتبة السنهوري، بغداد، 2012م.

- **خصباك، شاكر.**

📖 علم الجغرافية عند العرب (مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية)، المؤسسة العربية للدراسات، (د،ت).

- **خليل، محسن.**

📖 في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي دراسة لمقولتي العمل والملكية، دار الرشيد للنشر، 1982م .

- **الزركلي، خير الدين بن محمود (ت:1396هـ/1976م).**

📖 الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 1422هـ/2002م.

- **الزهراني، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان (ت:1427هـ/2006م).**

📖 تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ/1996م.

- **السَّراج، محمد بن علي.**

📖 اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل ، دار الفكر ، دمشق ، 1403هـ/1983م.

- **الشاوي، منذر**

📖 القانون الدستوري (نظرية الدولة)، مركز البحوث القانونية، بغداد، 1408هـ/1987م.

- **الشالجي، عبود.**

📖 موسوعة العذاب، الدار العربية للموسوعات، ط2، بيروت، 1420هـ/1999م.

- **الشرخات، سيد صادق.**

📖 الموارد الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي، منتدى المعارف، بيروت، 1434هـ/2014م.

- **الشمري، ماهر جواد كاظم.**

📖 النبيّ محمد (O) في مؤلفات مونتكمري وات عن السيرة النبوية دراسة تحليلية مقارنة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، 1440هـ/2019م.

- **الشيرازي، محمد الحسني (1422هـ/2002م).**

📖 توضيح نهج البلاغة، دار تراث الشيعة، طهران، (د،ت).

- **الصدر، محمد باقر.**

📖 اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت1430هـ/2009م.

📖 الإسلام يقود الحياة والمدرسة الإسلامية، بغداد، ط4، ، 1434هـ/2011م).

- **الصميدعي، عبد الموجود عبد اللطيف.**

📖 الفكر الاقتصادي بين المدارس الوضعية والمدارس الإسلامية، دراسة تاريخية وتحليلية، أنوار دجلة، بغداد، 1424هـ/2003م.

- **الطائي، أسامة كاظم عمران.**

📖 هشام بن محمد الكلبي وفكره عن الأحوال السياسية في شبه الجزيرة العربية منذ العصور القديمة حتى عصر ما قبل الإسلام، دراسة تحليلية نقدية، التميمي للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، 1424هـ/2013م.

- **طقوش، محمد سهيل**

📖 تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية، دار النفائس، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **عبد الحميد، صائب.**

📖 تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، 1417هـ/1997م.

📖 منهج في الانتماء المذهبي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، 1414هـ/1994م.

- **عبده، محمد**

📖 شرح نهج البلاغة، تح: فاتن محمد اللّبون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

- **العسكري، مرتضى.**

📖 معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، 1410هـ/1990م.

- **العطية، عصام.**

📖 القانون الدولي العام، مكتبة السنهوري، بغداد، 1433هـ/ 2012م.

- **عرموط، صباح كامل.**

📖 الإسلام والمسيحية في عصر الرسالة من منظور المستشرق يوسف فان أس وهانز كونغ، بيت الحكمة، بغداد،1442هـ/ 2021م.

- **علي، جواد (ت:1409هـ/1988م).**

📖 المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 1422هـ/2001م .

- **الغزال، إسماعيل.**

📖 الدساتير والمؤسسات السياسية، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1416هـ/1996م.

- **فاعور، علي حسن.**

📖 ديوان زهير بن أبي سلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م.

- **القرشي، باقر شريف.**

📖 العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين لمالك الأشتر، تح: محمد باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن، النجف الأشرف، 1432هـ/ 2011م.

- **قلعجي، محمد رواس، قنيبي، حامد صادق.**

📖 معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، 1408هـ/1987م.

- **مادون، محمد علي.**

📖 تفاعلات حضارية على طريق الحرير، تدمر، 1416هـ/1995م.

- **الكبيسي، صبحي فندي**

📖 مباحث في الاقتصاد الإسلامي، بيت الحكمة، بغداد، 1430هـ/ 2010م.

- **كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، (ت:1408هـ/1987م).**

📖 معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ/1994م.

- **الكيالي، عبد الوهاب.**

📖 الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.

- **النراقي، حسين بن احمد النجفي (ت1332هـ/1913م).**

📖 تاريخ الكوفة، دار الأضواء، ط4، بيروت، 1407هـ/1986م.

- **الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى(ت: 1362هـ/1943م).**

📖 جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تح: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، (د،ت).

- **وناس، زمان عبيد، أحمد جايد بدر الحسناوي.**

📖 سوسيولوجيا الفكر الاقتصادي العربي بين النظرية والتطبيق، الدار المنهجية، عمان، 1441هـ/2020م.

- **وناس، زمان عبيد.**

📖 دراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي، دار صفاء، عمّان، 1443هـ/2022م.

ثالثاً: الرسائل والأطروحات الجامعية.

- **التميمي، عبير عبد الرسول محمد حسن.**

📖 سياسة توازن السوق في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي عام 41هـ/661م، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة كربلاء، 1436هـ/2015م.

- **العمرات، سلطان عايد .**

📖 النشاط التجاري لمدن الحجاز في صدر الإسلام،، رسالة ماجستير، دار المنظومة، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤته، الاردن، 1428هـ/ 2007م.

رابعاً: كتب ومؤلفات المستشرقين.

- **أرمسترونج، كارين**

📖 سيرة النبيّ محمد، تر: فاطمة نصر، محمد عنانى، سطور،ط2، 1413هـ/1992م.

- **بيغولفسكايا، نينا فكتورفنا.**

📖 العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، لينغراد، 1384هـ/1964م.

- **بيير، بوردو**

📖 العنف الرمزي، (بحث في أصول علم الاجتماع التربوي)،تر: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1415هـ/1994م.

📖 الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط3، 1428هـ/2007م.

- **حتي، فيليب، أدورد جرجي، جبرائيل جبّور.**

📖 تاريخ العرب (مُطَّول)، دار الكشّاف، 1369هـ/ 1949م.

- **درمنغم، إميل.**

📖 الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، تر: عادل زعتر، دار الينبوع الثقافي، دمشق، 1440هـ/ 2019م.

- **لامنس، الأب.**

📖 مكة في الدراسات الأستشراقية، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت،1435م/ 2014م.

- **كاهن، كلود.**

📖 الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، تر: حسين جواد قبيسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م.

- **كرون، باتريشيا.**

📖 تجارة مكة وظهور الإسلام، تر: آمال محمد الروبي، المركز القومي، 1426هـ/ 2005م.

- **لوبون، غوستاف**

📖 حضارة العرب، تر: عادل زعتر، دار التنوع الثقافي، دمشق،1440هـ/ 2019م.

- **لويس، برنارد**

📖 العرب في التاريخ، تر: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، 1374هـ/ 1954م.

- **واط، و، مونتغمري**

📖 محمد في مكة، تر: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1423هـ/2002م.

📖 محمد في المدينة، تر: شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت،(دوت).

📖 محمد النبيّ ورجل الدولة، تر: حمّود حمّود، دار التكوين، بيروت،1435هـ/ 2014م.

خامساً: المجلات العلمية المُحَكْمَة.

- **عبد العظيم، حسني إبراهيم.**

📖 الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي، قراءة في سوسيولوجيا بيير بوردو، مجلة إضافات، جامعة بني سويف،مصر، العدد الخامس عشر، 2011م.

- **أبو خضير، خمائل شاكر.**

📖 الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة ايران قديماً، العدد55، 1437هـ/2016م.

- **وناس، زمان عبيد، اياد عبد الحسين الخفاجي.**

📖 أهمية العمل في الإسلام ونبذ التوكل في طلب الرزق من خلال كتاب أبي بكر الخلال، الحث على التجارة والصناعة والانكار على من يدعي التوكل في ترك العمل، مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثالث، العدد الثالث عشر، 1425هـ/ 2005م.

- **وناس، زمان عبيد.**

📖 الفئة الاوليغاركية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي لمكة عصر النبوة دراسة في القرآن الكريم، مجلة جامعة كربلاء، العدد الخامس والعشرون، 2018م.

- **يونس، عمار محمد .**

📖 حزب الله مصداق الاصلاح بين الإمام علي(T) وانحراف الأُمة، بحث غير منشور.

Abstract:

Capital is one of the statistical components of the desired areas for any business, and therefore it is a source for natural and moral persons; its chief, both vertically and fundamentally, and on top of it and its success with its dependencies, its capital, its capital, its capital, its capital, And he left clear

imprints on it since its establishment until its demise, and since it had different types, including material and moral ones, they give the same effect that lies in the power that is embodied in capital to do its work in influencing the course of things, and thus its deviation from the desired path for it, and when following the path of the Arab state. Islam since its inception at the time of the Prophet through those who succeeded him in the leadership of the Islamic nation until the year 41 AH / 661 AD, I find the clear impact of capital in changing the path set by the Prophet of the nation, and here lies the importance of the study.

Accordingly, I named the title of the research as: (The Impact of Capital in the Arab Islamic State until 41 AH / 661 AD), and the definition of the study in the period of time goes back to the statement of what the Great Messenger was aiming for in his heavenly message for which he was sent in the Arabian Peninsula To be a niche to be emulated to correct the path, and the customs, traditions and customs that the Arabs used to follow that are not consistent with the heavenly laws, and for the Islamic state to be the beacon that pervades the world, but some obstacles prevented the continuation of what the Prophet built, In the forefront of

which is the capital, and on this basis the study was determined in the Arabian Peninsula, which includes many cities, the most important of which are: (Mecca, Medina and Taif), as these cities near the main center of the state witnessed, as they had a remarkable impact; After consulting with Prof. Dr. Zaman Obaid Wannas, the supervisor of the thesis, he recommended that I write on this topic, which is one of the important topics, and I looked at the historical incidents that were mentioned in it and found them worthy of study, and here lie the reasons for my choice of the topic of research.

The nature of the study necessitated dividing it into an introduction and four chapters, followed by the conclusions of the research and a list of sources and

references. The concept of capital in the language and what it gives of many meanings, then its fixed, movable, ruling, symbolic and intellectual types, which perform the same purpose, that is, they do their work in the ether, meaning that symbolic capital gives the same effect as monetary capital, as the beginnings of the formation of capital Money in Mecca with some historical evidence, either The second topic: It reviewed the capital resources of the time period under study, in which trade is at the forefront of those resources, in which it dealt with the slave trade and alcohol as the popular commodities during that era, without neglecting other resources; I will then turn to the second chapter, which is titled: The Impact of Capital on Political and Religious Decisions; Because of the importance of these two decisions on the one hand, and the correlation and coupling between them on the other hand, it was divided into two sections: The first topic was Entitled: The concept of the state and the impact of capital on the political decision, and I presented it on the religious decision, as it is the most likely decision on the religious decision among the Arabs. The impact of capital on religious decision, in which I dealt with some historical incidents in which capital had an impact, to move then to the third chapter, which I named: The impact of capital on political and religious revolution, after it was divided into two sections as well, dealt with in the first topic: The impact of capital on the political revolution (the leadership of Muslims), in it I shed light on the historical events that accompanied the incident of the shed, and how the nation turned on its heels, to move after that to the impact of capital in the religious revolution, i.e. obligating them to congregate and obey, contrary to what the Prophet of the nation wanted. This is in the second topic of this chapter. I will then turn to the fourth chapter, which was entitled: The impact of capital on political and religious reform, after I divided it into two sections as well. The first topic was: The impact of capital in the face of political and religious reform, in which I dealt with some

historical incidents that confronted the religious reform adopted by an elite of the Companions, and the capital had an impact on it. As for the second topic, it was called: The effect of capital in confronting the pioneer of political and religious reform, represented by Imam Ali bin Abi Talib and his son Imam Al-Hassan (peace be upon them). The researcher explained what theory they adopted in reform that came to fruition in correcting the course of the Islamic state, and how it faced the obstacles it encountered, while The capital had the effect of weakening it and then diverting it from its course, then the most important results of the study, which is the beginning of my research.

As for the methodology adopted by the researcher, it is to mention the famous from the name of the author and the book in brief, and it is sufficient to mention the details in the list of sources and references; In order to be accurate, non-repetition and reduce errors and effort and ease of reference upon request, I also adopted the critical analytical approach that is based on dismantling the text and rebuilding it, and then linking it to other texts to come up with acceptable results, and as a result, it remains the efforts of a novice researcher who is plagued by slips and errors and is beset by falsities, While trying to delve into this topic, I encountered It has a number of difficulties in addition to the traditional difficulties from the lack of sources that dealt with the study, as researching this topic is one of the thorny and difficult matters that require double time and effort; Due to the lack of specialized sources with this title, it cost me to search in the bellies of the mothers of historical books of all kinds; To obtain a material through which I can complete the scientific material to complete the research.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of karbala

College of Education for Human Sciences

Department of History/Higher studies

The impact of capital in the Arab Islamic state until 41 AH / 661 AD

Dissertation submitted to the council of the college of Education for Human Sciences, University of Karbala, As a partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of PHD in Philosophy of Islamic History

by

Methaq kahdum Hadi AL-Kafagi

supervised

Professor Dr

zaman obaid wannas

2022 A.D 1443 A.H